
ولا غالب إلا الله ولا غالب إلا الله ولا غالب إلا الله ولا غالب إلا الله
الحمد لله على نعمة الإسلام
بسم الله الرحمن الرحيم
" لقدْ كانَ في قصصِهِمْ عِبرةٌ لأولِي الألبَبِ ... " صدق الله العظيم.
[سلسلة صفحات من تاريخ العربية السعيدة]
تأملات عن تاريخ حضرموت
قبل الإسلام و في فجره
مع
مسح عام عن هجرة ونتائج
علاقات الحضارمة عبر الأزمنة
بشعوب جنوب و شرق آسيا
- تأليف -
(السلطان غالب بن عوض القعيطي)

بسم الله الرحمن الرحيم

" لقدْ كانَ في قصَصِهِمْ عِبرَةٌ لِأولي الألبَابِ ... " صدق الله العظيم.

[سلسلة صفحات من تاريخ العربية السعيدة]

تأملات عن تاريخ حضرموت

قبل الإسلام و في فجره

مع

مسح عام عن هجرة ونتائج

علاقات الحضارمة عبر الأزمنة

بشعوب جنوب و شرق آسيا

- تأليف -

(السلطان غالب بن عوض القعيطي)

(الطبعة الأولى : سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)

ح مكتبة كنوز المعرفة ، ١٤١٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القعيطي ، السلطان غالب بن عوض

تأملات في تاريخ حضرموت قبل الاسلام وفي فجره – جدة

٠٠٠ ص ١٠٠١ سم

ردمك ٩٩٦٠-٣١-٥٠٠-٢

١– حضرموت – تاريخ ٢– التاريخ الاسلامي أ – العنوان

ديوي ٥٣٣٤ ، ٩٥٣ ١٧/٠٨٤٥

رقم الإيداع : ٠٨٤٥ / ١٧

ردمك ٩٩٦٠-٣١-٥٠٠-٢

بسم الله الرحمن الرحيم



صورة للمؤلف وهو يمارس احدى هواياته، فحص وتجميع الطوابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بكل تواضع ، أقدم هذا المجهود المتواضع مني إلى الوحدة اليمنية – مع الأمل بالإبتهال إلى الله العلى القدير أن تكون منارا مضيئاً يهدي السبيل بالقدوة والمثل الأعلى إلى الوحدة العربية والإسلامية الصادقة المبنية على أسس متينة من الأخلاص والوفاء والتضحية والتعاون الجاد وبدون عوامل الأنانية –

و

إلى كل من ساهم في تسجيل وتخليد تاريخ وذكرى هذه المنطقة عبر العصور بنية صادقة وأمانة وأخلاصاً للعلم – العربي منهم والعجمي والمستشرق .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

أتوجه أولا عبر هذه الكلمات، التي أعلم أنها متواضعة وغير كافية، بالتعبير عن مشاعر شكري وتقديري وتقديمها لآل فيصل النبلاء الذين أحدقوني وأسرتي بعطفهم الغالي أثناء اقامتنا في هذه الديار المقدسة –

ثم لذكرى أقطاب مهاجري الحضارمة اليها خلال هذا القرن، الذين بذلوا مجهودا كبيرا وكريما في ترتيب أمور وأحوال الوافدين الجدد من أبناء وطنهم وعلى رأس هؤلاء: المرحومين محمد أبوبكر باخشب باشا وابنيه سالم وابوبكر، وسالم بالعمش، والأخوة عبدالله وأحمد وسليمان سعيد بقشان وأولادهم، وسالم أحمد وسعيد بن صالح بن محفوظ وأسرتيهما، وأسرة آل العمودي، ومختلف الآسر العلوية، وعمر قاسم وعلي عبدالله العيسائي، والمعلمين محمد وعبدالله عوض بن لاذن وأولادهما وبالخصوص صديق الصبا سالم محمد بن لاذن (الذي كان شجعني في المراحل الأخيرة من بحثي هذا)، محمد واسلافه من آل باحارث، وشاعر وأديب الجزيرة العربية الشيخ عبدالله بلخير وأسرته وجميع أمثالهم؛ –

ولزميلي المرحوم السلطان حسين والاخ الكبير الامير عبدالمجيد ابني علي الكثيري وجميع اولئك الوطنيين الغيورين والناصحين الأوفياء في هذه الديار وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بامخرمة، محمد بن طالب وعبدالخالق عبدالله البطاطي، حسن قحطان وعلي محمد وسعيد النقيب، حسين بن محسن وناصر عمر مخارش، عبدالله عبدالحبيب الفضلي، أحمد محمد وأحمد سالم ويسلم سالم الديني، علي العماري، سالم بن صالح بن ثابت، صلاح البكري، أحمد بن صلاح الاحمدي. صالح حبيب وعبدالله علي آل علي جابر، أحمد بايزيد، السيد عبدالله الشاطري، خميس حمدان، جودة البهيشي، والعديد من أمثالهم؛ –

ورجالات كل القبائل العزيزة والباسلة دون احصاء أو استثناء والمستحقة كل الاستحقاق بالذكر، والذي لايسع لي أن أدون حتى أسماء كل منها (اي القبائل) هنا، فكيف أحاول تدوين أسماء منفردة! –

ومن أفراد العائلة بعض الذين قد ساعدوني في هذا المجهود بمعلومات أو صور: السيد حامد المحضار، الأعمام حسين بن عمر، عوض وناصر ابني حسن، محمد بن محسن، الأخ عمر، فضل محمد هرهرة، والولد صلاح (الذي بذل مجهودا مميزا مع ابني أرض الكنانة، زكريا وجمال عمير في طباعة هذا الكتاب، كما للأخوين الفاضلين خالد الحوثري والشريف صالح الفضل على مساعدتهما في مراجعته النهائية)؛ –

وللعديد من أولئك الذين زودوني بمعلومات أو ناقشوها معي في فترات مختلفة من مراحل بحثي الطويل حول هذا الموضوع (بما فيهم السيد أحمد حمزة العطاس، الذي كان بمعية أسرته الكريمة مرجعا قيما للمعلومات عن الشرق الأقصى) ومعهم السيد غازي العطاس.

وأخيرا وليس آخرا، لأساتذتي الأفاضل الذين طوقوني بعنايتهم طوال فترة تعليمي، وللوالد الفاضل الشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي (العسكري والاداري ورجل الدولة القدير ومشيرها الوفي، العالم والشاعر، الأديب والمؤرخ، والمساهم في نهضة منطقة حضرموت الحديثة ومعارفها، والمصدر والمرجع دون نزاع للعديد من أحداث تاريخها المعاصر)، الذي أكرمني بكتابة مقدمة هذا البحث المتواضع وبمراجعته، والسيدين المباركين الناصحين والمحبوبين والمحبين الحبيب عبدالقادر السقاف والحبيب محمد بن صالح المحضار وللمرحوم منصور عبيد (ابن الحاشية الوفي).

(الفقير الي البارئ تعالى والطالب الي مغفرته وهداه، أحقر العباد)،

غالب بن عوض بن صالح القعيطي

فهرس محتويات الكتاب

ملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد طال إنتظارنا وتلهفنا إلى بروز ما تحتويه ضميمة مولانا السلطان غالب بن عوض القعيطي التي طالما ضم فيها من تاريخ حضرموت ، ولقد تجمع لديه من مراجع ما لم تتجمع لغيره ممن كتب عن حضرموت سواء كانوا من العرب أو من الغرب أو من الهند، ولم يطل إنتظارنا كثيراً ، فقد فاجأنا بمقالات نشرتها صحيفة الشرق الأوسط ثم لم تستمر في النشر واليوم يتحفنا بأول ضميمة في سفر صغير الحجم ولكنه غني بالمعلومات النادرة والتي يجهلها الكثير من الناس ، وكيف لا وهو الأديب والمؤرخ رزقه الله عقلا نيراً وحافظة لا تنسى وذاكرة لا تطيش وذكاءاً وقاداً، درس ثم هضم ثم أنتج وبين أيدينا اليوم هذا السفر الذي لا تمل قرأته وأعجابنا به يفوق كل أعجاب ولا غرابة فجده العلامة ، المؤلف ، اللغوي ، الفقيه ، والمحدث ، السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي كان له في العلوم والفنون والطبيعة والملم بأختراعات عصره وغيرها القدح المعلى . فلقد كانت جلساته بعد المغرب عبارة عن مدرسة ينهل منها كل من حضر في هذا المجلس ما يشفي غليله ويرضي ميوله ، فتراه فلكياً مع علماء الفلك ، فقيها مع الفقهاء ، محدثاً مع المحدثين ، خبيراً بمستجدات الصناعات والمخترعات . وصاحبنا له أسوة بجده، فلا غرابة ، فالشبل بن الأسد . ولا زلت أتذكر ، وأنا وقتئذ عضو في مجلس الدولة الذي كان يهتم بمناقشة ورسم برنامجه الدراسي وبمتابعة نتائجه ، الأرتياح والأمل الذي كان يشعر به زملائي عندما يقوم ناظر المعارف بإفادتنا عن تقاريره المدرسية وتقدمه في دراسته ، أولاً في المكلا ثم السودان وبعدها في بريطانيا .

لقد طاف بنا المؤلف حفظه الله بدءاً بعاد ثم تدرج بنا إلى الأحقاف سباء وحمير وكندة ماراً بنا عبر القرون الغابرة حتى حط الرحال في الفتوحات الإسلامية ونصيب حضرموت في تلك الفتوحات بدءاً بجزيرة العرب ، مارا بشرق وشمال إفريقيا والإنسياح في آسيا حتى نهاية الجزر والأرخبيلات الشرقية ، وركز على الدول المتعاقبة في الهند (بما فيها الدويلات العربية) وما كان لها من القوة والثراء ، وخدماتها في سبيل نشر الدعوة والمعرفة الإسلامية والثقافة العربية .

لقد وجدناه دقيقاً في البحث ، منصفاً في تناول الأحداث، لم يكن متحيزاً ولا متعصباً ، وأتى لنا بمعلومات وطرائف وأخبار لم نكن في الغالب على علم بها ، ومنها على سبيل المثال ما ذكر عن زواج كثير من أهل البيت من نساء تلك الضواحي كأم محمد بن الحنفيه زوجة الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه بأنها هندية وزوجة زين العابدين وما إلى ذلك، كما يسعدنا أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى نسبة تنويع هذه الطرائف بالذكر أنه أفادنا أيضاً ، ولاول مرة ، عن تضحية مجموعة ثلاثمائة من شباب يافع من المرشحين للتدريب العسكري النظامي والإلتحاق بوحدات جبهة التحرير بمصر ، والذين تطوعوا مع إنفجار حرب حزيران ١٩٦٧م وأرسلوا إلى ممر متلا لمقاومة الزحف اليهودي . والتقى هناك شباب يافع بهذا الزحف الكبير المتستر بالمدرعات وبالرغم من الأوامر التي صدرت اليهم ضمن الآخرين بالإنسحاب الشامل ، إلا أنهم رفضوا وقاوموا بأسلحتهم الخفيفة حتى آخر رجل منهم .

وبالإختصار ، فلقد زف إلينا بمعلومات تاريخية وأدبية قيمة كنا نجهلها وأخذ ينقلنا في سفره القيم من إقليم إلى إقليم بطريقة ميسرة وأسلوب جذاب ، لا نستغرب ، فقد عكف على دراسة التاريخ مدة طويلة ، فقد بدأ في مراحل التعليم يجمع ويسأل حتى أتى على تاريخ حضرموت من كل جوانبه وعلى ما أعتقد أن هذه النبذة المهمة لم تدع لباحث مجال غير المجال الذي أختاره هو ولأن هذا السفر لم يكن إلا بداية لمسار عريض وشوط طويل ، سيفاجئنا به على المدى القصير والطويل ، نظراً لموسوعيته وضميمته الهائلة ، وإن الأسلوب الذي أتخذه لهذا السفر مع التبويب البديع والمختصر يعيد إلى الأذهان قول القائل " كلام الملوك ملك الكلام " .

هذا السفر يعتبر عصارة لمؤلفات كثيرة ، سبكه المؤلف بجمل قصيرة تحمل معاني كبيرة ، وكيف لا وهو المؤهل القدير الذي يحمل عقلية نيرة وملكة فريدة وإلمام شامل بالمعلومات العامة والتاريخ بصفة خاصة، بارك الله فيه وأمده بالعمر الطويل وبلغه آماله إنه القدير على ذلك .

عبدالله أحمد الناخبي

حرر في جدة ١٥ جماد أول ١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لايخفى على القارئ مستوى جهل وتغافل العالم عن تاريخ الجزيرة العربية وشعوبها عبر الأزمنة بصفة عامة وتواريخ مناطقها المختلفة قبل الإسلام بصفة خاصة ، سواء كانت هذه المناطق معروفة بسبب صلاتها المتواصلة مع العالم الخارجي مثل اقليم الحجاز الذي يضم الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، أو هي منعزلة لأسباب شتى مثل حضرموت والمناطق المتاخمة لها في جنوب شبه الجزيرة العربية، غرباً وشرقاً . ويؤلمنا أن نقر هنا بأن هذا الوصف بالتجاهل والتغافل يشمل دون إستثناء شعوب العالم العربي كما أنه يشمل الغالبية من أبناء المناطق بحد ذاتها .

إن لعلم التاريخ جوانب عدة لا تنحصر في سرد أساطير الأولين بحالها ، بل لها ردود فعل أيضاً تنعكس على مصير مستقبل الشعوب بطرق مباشرة وغير مباشرة . وعلى سبيل المثال فإنه بالإمكان أن نذكر نظرية لعلها للعلامة الحضرمي الأصل ، عبدالرحمن إبن خلدون ، (الذي عاش من سنة ٧٣٢هـ/١٤٠٦م إلى عام ٨٠٨هـ/١٣٣٢م) ، الذي يعد أبا لعلم التاريخ والعلوم الإجتماعية ، بان "ما تؤمن به الشعوب عن تاريخها المبكر له في الغالبية أهمية في صياغة تاريخها المستقبلي أكثر مقارنة بنسبة الحقائق المؤكدة والمنسية . "

وبغض النظر عن نسبة الصواب الموجود في هذه النظرية بإستثناء ردود فعل الماضي وإنعكاساته على صياغة المستقبل التي تحويها هذه النظرية ، فإن معانيها بالجملة تعد كافية لغرس مشاعر الإحساس فينا عن أهمية المعرفة بماضي تاريخنا وحقائقه لكي نتعلم ونستفيد من دروسه في سيرنا نحو تخطيط وبناء مستقبل صائب وهادف ، مع العلم أن دراسة التاريخ لا تنحصر في محاولة الإلمام باساطير الأولين فحسب ، بل أنها تأخذ بعين الإعتبار كل الزوايا المتعلقة بتنمية المجتمعات بمفاهيمها القديمة والحديثة، والتي تشمل الإجتماعيات (بما فيها تطور علوم المعرفة والأدب) والإقتصاديات والتجارة المحلية والدولية، والسياسيات والعلاقات الدولية ، ومقومات أخرى للمجتمع . بحيث أنها ترسم للفرد صورة مركبة ومتكاملة .

ومصادقة لقول الشاعر :

" إذا عرف الإنسان أخبار من مضى   تخيلته قد عاش من أول الدهر. "

أو كما ذكر أيضاً في شكل آخر :

" إذا عرف الإنسان أخبار من مضى   تخيلته عاش حيناً من أول الدهر.
فقد عاش كل الدهر من كان عالماً   كريماً حليماً فاغتنم أطـول العمر. "

إن غرضي هنا من كتابة هذه المقالات وجمعها في شكل كتاب مع بعض الإضافات لايهدف إلى هذا المستوى من التعمق في البحث لأنني لا أعتقد بأن القارئ يريد ذلك مني في تأليف مختصر كهذا ! – ولكنني حاولت في نفس الوقت أن أستخدم جميع المصادر التي قد يكون عثرت عليها أو كانت متيسرة لي، وتقديم ما نلت منها بأسلوب قد يشجع ويسهل أمر البحث – ولو لبعض الشئ– على من يريد يهتم بالخوض في أي جانب من محتويات هذا الكتاب بجدية والمزيد من التعمق، فلقد حاولت أن أضع بعض المعالم والخطوط العريضة لتاريخ هذه الرقعة من الوطن العربي للذين يجهلون أو يتجاهلون تاريخها تماماً ، كما حاولت في الوقت ذاته أن أقدم للذين يملكون إلماماً بتاريخ المنطقة أو يهوونه بطرائف أخبار موطنهم من تلك النوعية التي لا يكاد الفرد العادي يحصل عليها بسهولة ، آملاً وسائلاً من المولي العلي القدير أن يوفقني في تحقيق كل ما أصبو إليها من أهداف عبر هذا المجهود المتواضع وأن يسدد خطانا دوماً لكل ما فيه الخير والصلاح ، إنه ولي التوفيق وإنه سميع الدعاء.

مع بالغ الإعتذار المسبق لكل من تكون لديه مآخذ عليي ، وبالخصوص من باب الإهمال أو التقصير في إعطاء العديد من الجوانب حقها الوافي – وبالخصوص موضوع هجرة الحضارم إلى الشرق الأقصى وتاريخهم المجيد في تلك الديار، وسببها عدم توفر المصادر الكافية لهذا الموضوع لديي ، كما وللأسف ، عدم تمكني من زيارتها لغاية هذا التدوين. كما أعتذر على عدم الإيفاء بشرط إعطاء فهرس للمصادر في المؤخرة ، وذلك بسبب ذكري أهمها في متن الكتاب بجانب الخبر المذكور أو المقتطف المنقول لكي يسهل على القارئ الكريم أمر الإطلاع على المآخذ دون كلفة وفي حينه . فأرجو أن يحظى هذا الترتيب أيضاً بإستحسانه .

غالب بن عوض القعيطي

تسمية حضرموت والحضارم في الكتب السماوية

" واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف " (سورة الأحقاف) –
هكذا يشير القرآن الكريم إلى أرض حضرموت أو صقع منها . فهي أرض الرمال الملتوية أو المغربلة التي قطنها في الماضي الغابر قوم عاد، أولو بأس شديد وبناءون مقتدرون ، الذين عاشوا في نعيم كبير حتى أصبح يضرب به المثل، وهم ينتسبون إلى أوس بن إرم ("ذات العماد " والجنات الأسطورية التي يصفها القرآن الكريم بأنها " لم يخلق مثلها في البلاد ") بن سام بن نوح عليه السلام الذين انقرضوا بسبب عذاب شديد أنزله الله عليهم في شكل ريح "صرصر " في" أيام نحسات "– سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما– والتي لم تذر من شئ " أتت عليه إلا "جعلته كالرميم " وحتى جعلت القوم فيها صرعى كأنهم" أعجاز نخل خاوية " ، وحتى لم " تر لهم من باقية "، ولم ينج منها سوى النبي هود عليه السلام ومن آمن معه . ويذكر النسابون والرواة العرب بأن إبن نبي الله هود عليه السلام قحطان (يقطن) ويعتبره النسابون أبا للعديد من الشعوب العربية . وقد أنجب أبناء كثيرين منهم " يمن " و"حضرموت " و "عمان إلى آخره. وهذا ما نستطيع أن نستدل به من كتاب "سفر التكوين" الذي يعد أقدم مصدر بالإمكان العثور عليه للقيام بأية دراسة تحليلية لبعض الروايات المنتشرة في ما يخص تسمية حضرموت وجذور شعبها إضافة إلى القرآن الكريم .

حضرموت في الجغرافيا التاريخية

والرواة الحضارمة عندما يتكلمون عن نطاق حدود أرض موطنهم فإنهم يميلون إلى الوصف والحديث عن "حضرموت الكبرى " و "حضرموت الصغرى ". فالمفهوم الجغرافي لحضرموت الكبرى كما هو منتحل من التاريخ وتأليفات جغرافيي العصور الوسطى يشمل في نطاقه الأوسع:

١– الشحر : وهي عبارة إستخدمت آنذاك لوصف غالبية ساحل جنوب الجزيرة العربية، الذي يمتد من أبين غرباً ، إلى رأس الحد شرقاً بما فيه ساحل بلاد المهرة وظفار .

٢– حضرموت : وتشمل هذه العبارة أراضي الداخل بما فيها الوادي الكبير بهذه التسمية مع فروعها والمناطق المتاخمة لها التي يحدها شمالاً رمال الربع الخالي الممتدة من صيهد في الشمال الغربي الى مقشن في الشمال الشرقي حيث يلتقي شمال ظفار بعمان الصغرى .

وبإمكاننا أن نذكر هنا بأن هذه المساحة تغطى ما وصفه الجغرافيون الكلاسيكيون من اليونانيين بمنطقتي (LIBANOTOFERA REGIO) و (SMYRNOFERA REGIO) أو" أراضي المر واللبان ". بينما شمل التعريف السياسي لـ "حضرموت الكبرى" (في العصور الحاضرة) منطقة منكمشة الرقعة تمتد من عين بامعبد في الغرب إلى رأس ضربة علي في الشرق محتويا فيها بلادي الواحدي والمهرة إضافة إلى دولتي القعيطي والكثيري السابقتين ويجمع سكانها عدداً من الصفات البارزة والخصائص المشتركة من حيث اللكنة اللغوية وغيرها . وعلى سبيل المثال، ينطق هؤلاء حرف ال "ق " بأسلوب صوتي يشابه نطق حرف ال "ج " في المناطق المجاورة غرباً مثل عدن واليمن وينطق هؤلاء حرف ال "ج" كحرف ال "ي "، بينما ينطقه السكان المتاخمون لحدود حضرموت الغربية كما ينطق حرف الـ "ق " في حضرموت . وينطق بعض سكان حضرموت حرف " ي" كحرف ال "ج " فيصبح "الجمل " "يمل" وتصبح بعض الكلمات التي تبدأ بحرف ال "ي " في هجائها وكانها تبدأ بحرف ال "ج ". وكما أن السكان في غرب حضرموت يتميزون بنطق حرف ال "ق "بصوت أقرب إلى حرف ال " غ " وكلمات تبدأ بحرف ال "غ " كانها بحرف ال "ق ". وبالطبع فهذه الأمثلة تنطبق على السكان السذج وليس على المثقفين.

ويشمل تعريف "حضرموت الصغرى " في سعة مساحتها الشريط الساحلي الممتد من رأس الكلب في الجنوب الغربي إلى دمخ حساي في الجنوب الشرقي ومن صيهد في الشمال الغربي إلى صناو والمهرة في الشمال الشرقي . وهذه الرقعة تشكل مساحة تقارب ٨٠ر٠٠٠ ميل مربع بالتقريب، حكم عليها السلاطين القعطة (أي– القعيطيون) والكثيريون حتى قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

حضرموت و الوادي و جغرافيتها

تتميز حضرموت ببعض خصائص طبيعية بارزة منها سهل ساحلي ضيق محصور بين البحر وسلسلة من الجبال القاحلة وأجوال أو نجود ترتفع في بعض الأحيان الى ٨ر٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، يتقلص ارتفاعها بنحو تدريجي حتى تلتقي بهضاب الصحراء في الشمال . وتتشطر هذه الأجوال من الصخور البركانية وهدات أو وديان ضيقة بصباب أو جوانب منحدرة ووديان ضخمة وأكبرها وادي حضرموت المشهور الذي يجري من الغرب نحو الشرق مع فروعه . وتنزح مناطق إستجماع المياه التي شكلتها هذه الأجوال الواقعة في شمال وادي حضرموت إلى اتجاه شمالي، وذلك من إرتفاع يقارب ٣٥٠٠ قدم فوق سطح البحر إلى هضاب الربع الخالي، وكذلك جنوباً إلى وادي حضرموت بذاته .

وتنزح مناطق إستجماع المياه الواقعة في جنوب وادي حضرموت إلى اتجاه الشمال كما إلى البحر العربي . وفي بعض الأحيان ، يمتد القاع الأدنى للوادي إلى مسافات طويلة نحو الداخل حيث توجد ينابيع مياه ساخنة تتميز بنسبة وافرة من الكبريت ضمن مركباتها، وذلك في موقع مثل الحامي على الساحل ، وتبالة على بعد ستة أميال من ميناء الشحر، وكذلك غيل باوزير وأيضاً الصدارة في حجر التي تقع على بعد ستين ميلا من الساحل.

ومن الجدير بالذكر أن الصدارة تعد المنبع الذي يأتر اليه مصدر نهر حجر ، وهو النهر الوحيد في شبه الجزيرة العربية الذي يتمتع بسمعة الجريان إلى الساحل (البحر العربي) طوال السنة ، مكوناً في طريقه دلتا خصبة وبيئة مؤثرة بالملاريا . ويسير نهر حجر نحو ٢٠٠ كيلو مترا ويتراوح عرضه من خمسة أمتار إلى عشرة أمتار وعمقه في غالبية الأحيان لايزيد عن ٢٥ سم .

المناخ

ويتميز طقس حضرموت بصيف حار تصل فيه درجة الحرارة اثناء النهار إلى ١٠٠ (فهر نهايت) بين شهري مايو (أيار)، (التي فيه السموم الأربعينية) ، وسبتمبر (أيلول) ، كما يسجل انخفاض ملحوظ في درجة الحرارة خلال الليل وندى ، يعود بمنفعة للنمو النباتي وتلطيف الجو . وفي فترة الشتاء وبالخصوص خلال شهري نوفمبر (تشرين الثاني) وديسمبر (كانون الأول) تكون درجة الحرارة في السبعينات وتهبط في بعض المناطق الداخلية إلى الخمسينات والثلاثينات .

وتتراوح نسبة الأمطار التي تحكمها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية بين ٢ بوصة و٤ بوصات وفي النادر ما تعلو عن ٨ بوصات . وتأتي هذه الأمطار في الغالبية في شكل مفاجئ بحيث إذا تدفقت في أعالي الجبال بأية نسبة من الغزارة ، تنصب على الوديان الجافه في شكل سيول يرتفع فيها منسوب الماء فجأة إلى عدة أقدام . وهذا من أهم الأسباب التي جعلت الأهالي يبنون بيوتهم على جانبي الوديان ومجاري السيول، وعلى إرتفاعات تجعلها محفوظة من الضرر والتلف الذي قد ينتج من مياه السيل .

الممالك القديمة

وعندما نتكلم عن حضرموت في عصور ما قبل الإسلام فإنه من الجدير بالملاحظة أن من ضمن كل الممالك التي كانت لها وجود في جنوب شبه الجزيرة العربية ، فإن حضرموت هي الوحيدة التي ما زالت تحتفظ بإسمها منذ العصور الواغلة الى يومنا هذا . وننوه هنا بأن هذه المنطقة كانت في فترات وجيزة من الزمن موضعاً لعناية بعض خبراء الآثار والمستكشفين الغربيين وإن كان ذلك في شكل مشتت ، كما أولاها الإهتمام بعض من خبراء الآثار والمؤرخين العرب، وكل ذلك خلال فترة لاتزيد عن قرن. وإستكشافات وإستنتاجات هؤلاء ، إن دلت على شئ فإنما تدل على حجم التحديات المستقبلية الضخمة التي تنتظر مساعي هؤلاء الخبراء لرفع الستار عن الماضي العظيم للشعوب التي قطنت هذه المنطقة عبر الحقبات الطويلة من الأزمنة وساهمت خلالها بدور أكبر بكثير من حجمها في المحافل الدولية والشؤون العالمية. وبصرف النظر عن هذه العجوزات، فإنه بالإمكان أن نستنتج ونذكر بشئ من اليقين بناء على الإستكشافات الأثرية وبالأخص بعض النقوش التي تتحدث عن هذه العصور والتي تم فحص وتفسير رموزها (بفك شفرة لغاتها) ، ومن خلال دراسة أعمال ومؤلفات العلماء الكلاسيكيين ، و ما تركه النسابون والرواة العرب بأن حضرموت في العصور التي سبقت ظهور الإسلام كانت لفترة طويلة من الزمن مملكة مستقلة وقوية وتتمتع بنسبة وافرة من الرخاء والإزدهار .

ومن العوائق والاشكالات التي واجهت علماء الآثار والتاريخ قديماً وحديثاً تحديد تواريخ للأحداث بأسلوب يكون في متناولنا أن نستدركه بشئ من السهولة ، حيث أن حضارم تلك العصور كانوا يربطون بداية ونهاية تعداد دهورهم ببداية ونهاية عصور ملوكهم بحيث أن بداية عصر حكم كل مليك لهم كانت بداية تعداد عصر جديد يبدأ من السنة الأولى للحكم وينتهي مع نهاية عصر حكم ذلك الملك .

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات، إستطاع بعض الخبراء وعلى رأســـهم "هومل" (HOMEL) الألماني وعبدالله فيلبي (PHILBY) البريطاني وغيرهما إعطاء ترتيب تسلسلي للممالك المبكرة تشمل ما ينيف عن عصور حكم عشرين مليكاً حضرمياً إبتداء من الملك "صديق ال" الذي يبتدي حكمه في ما يوازي سنة ١٠٢٠ ق.م، ونعلم أيضاً فضلاً لمساعي هؤلاء الخبراء بأن حضرموت عند وفاة "معدي كرب" (المتولي الحكم

في ما يوازي عام ٩٨٠ ق .م) إتحدت مع دولة معين تحت حكم "يدع اب يتع " (لعله إبن أخ لمعدي كرب) ودام هذا الاتحاد حتى سنة ٦٥٠ ق .م ، وبعدها إنفصلت حضرموت تحت حكم الملك "ال سماء ذيبان بن ملك كرب " واحتفظت بإستقلالها لغاية سنة ٥٢٠ ق.م (أو حسب بعض التقديرات خلال عام ٥٩٠ ق.م) إذ ضمتها بعد ذلك مملكة قتبان . ولقد إستمر الأمر عليها حتى انقراضها وضمها في دولة سبأ .

ومن الجدير بالذكر انه في حوالي سنة ١٨٠ ق .م قام الملك "يدع ال بين بن رب شمس "بتأسيس سلالة ملوك حضارمة جدد وإتخذ من شبوة عاصمة له بعد طرد السبئيين من رقعة مملكته . ولقد استطاعت مملكة حضرموت أن تحتفظ بإستقلالها حتى قيام وصعود الدولة الثانية لملوك حمير في سنة ٢٧٠م تحت الملك "شمريهرعش" ("يرعش ") الذي استطاع أن يمد نفوذ مملكته حتى شملت مناطق شاسعة من الجزيرة العربية ، وأصبحت حضرموت جزءاً من إمبراطوريته، فنادى هذا الملك نفسه "ملكاً على سبأ وريدان وحضرموت ويمنات " .

وبناء على إستكشافات ومساعي هؤلاء الخبراء وإن كانت وما زالت غير كافية في هذا المجال، فبإمكاننا أن نقول بأن بين يدي هؤلاء العلماء المبرر الكافي لتكوين صورة دقيقة وواضحة عما كانت عليها الأمور في مجتمع حضرموت، وفي ما يخص معلومات عن ملوكهم ومراسم تتويجهم التي كانت تقام في "العقلة" في وادي عرماء ، والتي بعدها كان يمنح فيها هؤلاء الملوك القابهم الملكية الرسمية . ومن طرائف أخبار "العقلة " الحالية أن بعض آبار النفط في حضرموت تقع فيها.

وعن نظام الحكم لديهم، نلمس أنه نظراً لمجتمعهم القبلي ، فإن مليكهم كان يحكم من خلال مجلس شورى، وهنا نلاحظ ما يقوله القرآن الكريم في هذا الصدد في سورة النمل عندما استلمت الملكة بلقيس " كتب" سليمان عليه السلام وإستفسرت من قومها قائلة "يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون"، وعن وضع المرأة في مجتمعهم كما نفهمه من قصة هذه الملكة، وعن تركيب مجتمعهم الذي كان طبقيا وليس إقطاعيا (في مفهومنا الحالي) ، وعن دياناتهم وآلهتهم وأساليب عبادتهم ، والتي سوف نتكلم عنها فيما بعد بشئ من التفصيل مع العلم بأن عقيدتهم كانت في عبادة السماء والنجوم، وكذلك عن نشاطهم المعماري العظيم الذي ما زال مثيراً للعجب بسبب فنه المعماري ومزاياه الهندسية ومقدرتهم على نقل صخور كبيرة عبر الرمال والطرق الوعرة لمسافات طويلة ، وتفكيرهم الإستراتيجي في نصب حصون وقلاع على إمتداد الخطوط التجارية لغرض تأمينها، وعن غزواتهم ومعاركهم ، وعن

إيلافهم وأحلافهم . وفضلا عما حققه علم " الإبيغرافي"(EPIGRAPHY) (أو دراسة كتابة النقوش) من نجاح ، حتى عن لهجاتهم المحلية اضافة على لغاتهم والتي كان لحضرموت أيضاً نصيب فيها .

ولعل من غرائب الأمور الخاصة بتاريخ حضرموت أنه لم يحدث أي تغير جذري عبر العصور وحتى الآن في نمط الأسس التي تمت عليها (ولاتزال) إشادة وبناء الرخاء والإزدهار الإقتصادي الحضرمي . وكما كان في الماضي ، فهو ما يزال إلى الآن يعتمد الى درجة كبيرة على الظروف الدولية الإقتصادية والسياسية السائدة في الفترات التي نحن قد نكون بصددها، كما يعتمد على مقدرة ولباقة أبنائها على الإقدام في إستغلال الإيجابيات منها وعلى الوقاية من منفياتها وقلبها بقدر الإمكان لصالحهم.

وبإمكاننا أن نعمم هذا القول أيضاً على جميع الممالك والدول التي كانت لها وجود في جنوب شبه الجزيرة العربية السابقة لعام ١٤٠٠ ق.م وحتى إلى ظهور الإسلام، بما فيها ممالك "معين " و "قتبان" و"أوسان" (التي أسست كجزء من"قتبان") و"سبأ" و "حمير" و "حضرموت" و "حبشات" .

وبغض النظر عن سيادة أي من هذه الممالك على مملكة أخرى ، وبصرف النظر عن نزاعاتها وتنافسها وتناحرها الداخلي- (وكانت تحاول هذه الدول بصفة مستمرة الإحتواء والتغلب على سوء نتائجها عن طريق رسم وإتباع نظام دقيق من الأحلاف هدفها حماية خطوط الطرق التجارية في صالح المنفعة والمصلحة العامة) - فإن أسس ثروة ورخاء كل منها كانت مبنية على الطلب الكبير للمنتجات التي كانت تنبت في مناطقها مثل اللبان والمر ، بالإضافة الى نتائج نشاطها في استغلال التجارة بين الشرق والغرب والعابرة لصالح المملكات عبر أراضيها، والتي نظراً لجغرافيتها الوعرة ، كانت بحاجة إلى مهارات أبنائها في ريادة القوافل والملاحة في البحار . وكانت هذه التجارة بدورها بحاجة إلى الجمال القوية التي كانت تتناسل في حقولها في بلادي المهرة والصيعر ، ومن ثم الإستثمار الحكيم لهذه الثروات في إنشاء وتطوير وتحسين تسهيلات ونظام الري الذي لم تتمكن المنطقة في تقليدها أو تكرارها مطلقاً منذ تلك العصور وعبر التاريخ إلى يومنا هذا .

وعن النتائج الإيجابية وفوائد نظام الري لدى هذه الممالك ، بإمكاننا أن نستدل بما يذكره صاحب "معجم ما إستعجم من البلدان والأماكن " و "المسالك والممالك "

وهو الجغرافي الأندلسي أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري القرطبي (المتوفي سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م) الذي كتب عن شبوة بأنه في الإمكان شراء حمولة جمل من الفواكه بدرهم .

وجدير بالإثبات هنا ما ذكره " فيلبي " المذكور سابقاً – وهو المستكشف والمؤرخ المشهود له بقلة إستخدام المدح إلا في حالات إستثنائية – عن حضارة هذه المنطقة خلال تلك العصور أمام الجمعية الملكية الجغرافية في لندن مرة ، أثناء الفترة المحددة للنقاش لمحاضرة في ١٨ ديسمبر ١٩٤٤م (محرم ١٣٦٤هـ) وفيما يلي نصه:

"سيداتي وسادتي، أريد أن أؤكد لكم بأنكم كنتم تبصرون هذه الليلة على مناظر وعلى شعب ينتميان إلى بلد كان مصدر أبكر مراحل الحضارة البشرية. ولا أعتقد بأنني أبالغ عندما أذكر بأن هؤلاء الناس الذين شاهدتم صورهم في هذه الليلة ينتسبون إلى ذلك الشعب الذي إخترع الأحرف التي تستخدمونها اليوم والتي ترتكز عليها حضارتكم . إن هذا الشعب ، وإن لم يكن حالياً في عصر أوج سلطانه، هو الذي تعود إليه بداية تدوير دواليب كرة التطور الحضاري ، فإنه أهل لكل التقدير والإعجاب اللذين بإمكاننا أن نقدمهما له مقابل هبته العظيمة للحضارة التي نفتخر بها غاية ."

بداية الإنحدار

بدأ إزدهار هذه الممالك يتقلص عندما استطاع "السلوقيون" اليونانيون (SELEUCIDS) و"الفرثيون" (PARTHIANS) أخيراً في تحويل خط التجارة الساحلية المارة عبر مناطق اللدائن إلى الطريق البرى المركزي الذي يمر عبر الخليج العربي (الفارسي سابقاً) إلى حوض البحر الأبيض المتوسط والتي كان قد تنافس عليها "الآشوريون" (ASSYRIANS) والفراعنة الأوائل (THE FIRST DYNASTY) ومن ثم "البطالمة" ("البطالسة")(PTOLEMIES) وأيضاً حكام سوريا السلوقيون المشار اليهم أعلاه .

وقد أثرت على إنخفاض ازدهار وتجارة هذه المنطقة الملاحة التجارية المتزايدة من قبل الرومان في البحر العربي والبحر الأحمر بفضل إستكشاف أسرار الملاحة في هذه المياه من قبل الملاح اليوناني "هبالوس" (HIPPALLUS)، وذلك خلال السنة الثالثة الميلادي بالتقريب .

ويذكر صاحب كتاب "بيريبلوس" أو (PERIPLUS MARIS ERYTHRAEI) أي "الرحلة" أو "الطواف بسواحل البحر الأريثري" (الأحمر) – وهو ربان يوناني مجهول من الإسكندرية الذي إنتهى من جمع وترتيب المعلومات فيه في حوالي سنة ٦٠م، والذي سيتم الإشارة إليه في فصول لاحقة أيضاً – بأن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية أيضاً كانت تسمى "هبالوس". ويوضح البروفيسور "والبانك" (F.W.WALLBANK) من جامعة "ليفربول" (LIVERPOOL) ببريطانيا بأن مفهوم البحر الأريثري أو الأحمر لدى اليونانيين كان يحوي معاً ما نعرفها اليوم بأسماء البحر الأحمر والبحر العربي والخليج الفارسي . وعلينا بالذكر هنا بأن التدوينات الجغرافية من قبل الأقدمين – وعبرها الملاحة – قد إستفادت كثيراً من المناهج لإستقصاء وتدوين المعلومات الرياضية والفلكية وبالخصوص الجغرافية التي وضعها أمثال "إرا توستينز" (ERATOSTHENES) الذي عاش بين سنتي ٢٧٥ و ١٩٤ ق م ، و" هيباركوس "(HIPPARCUS)الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد (وتخميناً بين سنتي ١٩٠ و ١٢٥ق م) ، مع العلم بأن الذي قام بإقتباس كتاباته (المفقودة حالياً) خلال القرن الثاني الميلادي، "كلوديوس بطوليموس"(CLAUDIUS PTOLEMAEUS)" مؤلف الكتاب القيم المجسطي " (ALMAGEST) × ويعد "هيباركوس"من أعظم الفلكيين والرياضيين والجغرافيين الأقدمين ، حيث إكتشف ناموس أعتدال الليل والنهار ، وحاول توضيح دوران الأجرام السماوية بتقديم نظريته أنها تدور في شكل مجموعة مؤتلفة من الدائرات "الإبيسيكلية" أو التدويرية بحيث يعد كل فلك تدوير بمثابة دائرة يدور مركزها على محيط دائرة أكبر منها وكأنها عملية جارية ضمن عملية أوسع منها ، متخذاً الكرة الأرضية كقلب للكون ، كما فسر جاذبية الأرض للأجسام الثقيلة ، ووضع معالماً لرسم الخرائط الجغرافية ، منها تقسيم الخريطة إلى أجزاء منظمة ومتساوية ، كما أعد جدولاً للخطوط العرضية والطولية ، تساعد مجهودات الرسام في تحقيق المزيد من الدقة ، بحيث تعتبر مساعيه في هذه المجالات أوج ما دونه اليونانيون الأقدمون من نظريات جغرافية تعد مدهشة إلى آخر درجة لذلك العصر والتسهيلات العلمية من معدات وغيرها التي كانت متيسرة لهم . ولقد ذكر" بليني" (PLINY) (الذي عاش بين سنتي ٢٣م و ٧٩م) عن مساعيه في مجالات علم الفلك والأجرام السماوية في كتابه "تاريخ الطبيعة" بأنه" تقدم على فعل أمر يعد طائشاً حتى (لمقدورات) إلاه ".

ويجدر بالذكر هنا أيضاً بأن الملاحين العرب حاولوا مرات عديدة أيام سيادتهم في هذه المياه منع الدخول فيها لسفن تجارية تابعة لتجار دول أخرى ومن إختراق المضايق

المعروفة اليوم بإسم مضيق باب المندب للعبور إلى البحر الأحمر خشية أن يصاب إحتكارهم للنشاط البحري التجاري في هذه المياه بأية مضرة .

لقد ذكرنا سابقاً بأن عرماء كانت العاصمة الأولى لحضرموت ثم شبوة، وعندما آلت السيادة في المنطقة لمملكة معين، إزدهرت مملكة حضرموت بسبب تحالفها معها ، والتي تعززت أكثر مع الدخول من قبل الطرفين في روابط المصاهرة، وعندما سطع نجم سبأ دخلت مملكة حضرموت في تحالف عسكري معها مساهمة في غزوات على دولة أوسان، كما قامت في فترة ما على إحتلال دولة قتبان ، وهذا مما يدل على مهارة حكامها وقادة شعبها السياسية والدبلوماسية.

وشاهدت مملكة حضرموت انقراض دولة حبشات خلال السنة الأولى قبل الميلاد بالتقريب مما أدى إلى هجرة هذا الشعب من جنوب الجزيرة العربية إلى مرتفعات جبال "التيقري" (TIGRE) على الساحل الإفريقي ، حيث قام هؤلاء بتأسيس مملكة "أكسوم" (AXUM) (الحبشية) ، وقد تعاون هؤلاء في فترة أخيرة مع الرومان الشرقيين ضد حلفائها السابقين في الجزيرة العربية بنتائج رصينة .

ويذكر أيضاً بأن نفي شعب الحبشات من الجزيرة العربية تم خلال الفترة التي كانت مملكة سبأ في تحالف معها بهدف احتواء نفوذ مملكة حضرموت ، بالإضافة الى وضع حد لقوة الحميريين النامية التي كانت قد بدأت في وقتها تهدد دولة سبأ .

مملكة حمير

ومن نتائج تطور قوة مملكة حمير أن السيادة على "أرض اللبان" آلت لفترة ما من مملكة حضرموت إلى دولة حمير . وبإمكاننا أن نخمن بأن هذا التحول السياسي المهم حدث بعد فشل محاولة الجيش الروماني على فتح جنوب الجزيرة العربية سنة ٢٤ ق.م ، تحت قيادة " أيليوس قالوس" (AELIUS GALLUS) حاكم مصر من قبل الإمبراطور "أوغسطوس" (AUGUSTUS) الذي حكم بين عامي ٦٣ ق.م ، و ١٤م ، وكذلك بعد القيام من قبل البحار اليوناني المجهول من الأسكندرية في جمع وترتيب المعلومات الموجودة في كتابه "بيريبلوس" الذي سبق ذكره ، وذلك لأن هذا الكتاب يحمل الوصف بأن ملك حضرموت هو ملك "بلاد اللبان" .

ويهمنا أن نذكر هنا ما رفعه "أيليوس قالوس" في تقريره الناتج عن مهمته العسكرية

الفاشلة بأن الحضارم بصفة خاصة يمتازون كمحاربين ضمن شعوب جنوب الجزيرة العربية لذلك العصر. وفي مساعينا لإعطاء تاريخ لسقوط مملكة حضرموت تحت السيادة الحميرية، بإمكاننا أن نذكر سنة ٢٧٥م ، الذي تبناه بعض المؤرخون كحل وسط ، علماً بأن هناك مؤرخون آخرون يضعون لهذه الحادثة تاريخاً سابقاً لهذه السنة، كما أن هناك غيرهم من الذين يتبنون تواريخ تليها . ولعل الإكتشافات المستقبلية ستساهم في تسهيل مهمة تحديد هذا التاريخ بشكل أدق، إذ أنه معلوم بأنه لم يمنح لقب "تبع" لأي ملك حميري مالم يكن مسيطراً على رقعتي حضرموت والشحر والذي يعني على بر وسواحل هذه المنطقة المهمة في جنوب الجزيرة العربية.

ومن الجدير قوله أنه بصرف النظر عن السيادة الحميرية على هذه المنطقة المذكورة ، فإن الهيكل الداخلي (بإستثناء تعديلات بسيطة في مثل الالقاب والأسماء) دام لغاية القرن العشرين ميلادي. فكانت حضرموت منقسمة إلى "محافد" (مفردها "محفد") وهي مجاميع لقرى برأس كل مجموعة منها صاحب حصن أو حصون ، والذي كان يحمل آنذاك لقب " ذو" أو " الشخصية التي يدين لها سكان هذه المجموعة بالولاء". وإذا أصبح أي " ذو" صاحب سيطرة على مجموعة من هذه المحافد الموصوفة، صار بإستطاعته آنذاك أن ينتحل أو يلقب من قبل رعاياه لقب " قيل" الذي جمعه "أقيال" ، وفي بعض الأحيان أن يدعى بلقب أبهل " الذي جمعه " أباهلة " . ويعلمنا الرواة بأن دمون وشبام وعندل والشحر كانت ضمن المقرآت المشهورة التي سادها هؤلاء الأقيال. وقد قام الشاعر الحميري المشهور نشوان بين سعيد (الذي عاش خلال القرن السادس للهجرة /الثاني عشر الميلادي) بتخليد الكثير من أسماء هؤلاء الحكام في قصيدته المشهورة وهي مطبوعة.

يقسم المؤرخون فترة الحكم الحميري على هذه المنطقة إلى دورين . ويبدأ الدور الأول حسب هؤلاء من شروع الفترة التي بدأ فيها الحميريون التنافس مع حلفائهم وذوي السيادة عليهم من سبأ ويديم لغاية إنتهاء محاولاتهم بتجريد حكام سبأ من نفوذهم وإستبدال سيادتهم بحكام منهم ، حتى أصبح ملكهم يلقب ويخاطب ب" ملك سبأ وذو ريدان" . وحدد خبراء التاريخ والآثار فترة هذا النشاط بين سنتي ١١٥ق.م و ٣٠٠ م بناء على ماتم عليه من إستكشاف إلى فترة قريبة.

وعندما نأتي إلى الدور الثاني للدولة الحميرية التي يصفها العرب بـ "دولة التبابعة" (مفردها "تبع ") حيث أنها شملت حضرموت ضمن ممالكها ، فيحدد تاريخ بداية هذا الدور من تلك الفترة حينما قام الحميريون ، بعد فترة من الزوال، بتجميع قواهم بدرجة كبيرة من الحيوية والإنتعاش حتى إستطاعوا مد سلطانهم على مساحات كافية من الجزيرة العربية لكي يلقب حكامهم بهذا اللقب الكبير والفخم وهو " ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات "، والذي ضم

اليه لقب"وعريها في الجبال والتهائم".

ويسعنا أن نضيف هنا ما ذكره "أيليوس قالوس" عن الحميريين بأنهم: "من أغنى شعوب العالم، إذ تجتمع بين يديهم ثروات عظيمة من" روما" (ROME) و "فرثيا" (PARTHIA) بسبب نشاطهم في بيع البضائع الواردة اليهم عبر البحر أو الناتجة عن غاباتهم ولم يشتروا شيئاً في المقابل".

ظهور المسيحية

يمتد دور الحكم الحميري الثاني من سنة ٣٠٠م إلى ٥٢٥ م ، ويتميز بظهور الديانة المسيحية في المنطقة للمرة الأولى ، فضلاً لمساعي المنصر (المبشر المسيحي) الهندي "ثيوفيلوس" (THEOPHILUS INDUS) المتحمسة ، كما لوصول حملتين حبشيتين في تأييدها ، وذلك بإيعاز ودعم من البلاط البيزنطي، وسببت هذه الأحداث مجتمعة ردود فعل عنيفة لدى السكان المحليين ، ومنها إعتناق بعض الحكام الديانة المنافسة آنذاك للمسيحية والتي تلتهم فيها شعوبهم ، وهي الديانة اليهودية .

وقد أدى إعتناق اليهودية من قبل المذكورين إلى مقاومة المسيحية وتعذيب أتباعها، وعندما لم يجد هؤلاء من ذلك بداً ، قاموا بدعوة الساسانيين (SASSANIANS) لغزو المنطقة ومساعدتهم في قمع سلطة الحبشيين . ولكن حضرموت لم تتأثر كثيراً -كما يبدو- من هذه الأحداث في جوارها ونكتشف ذلك وبالخصوص عندما نتمعن في مدى صدى هذه التطورات وتأثيرها على شؤون حضرموت الداخلية. وبالرغم من أن بعض الأساطير المحلية تتحدث عن بئر مع بستان في جوار المكلا يسمى " بئر باكزيبور " قائلة أنه كان محطاً لفرقة من فرق الجيش الفارسي الذي يعود له الفضل في حفر البئر ، وأن إسم هذا البستان الأساسي كان " باغ شاه بور " (أو بستان شاه بور) الذي أصبح في ما بعد " باغ صابور " ومن ثم "باكزيبور" ، والله أعلم بالصواب .

بروز كندة

ويتميز الدور الثاني للحكم الحميري بتطور هام آخر وهو بروز وصعود قبائل وفخوذ بني كندة ولنفس الأسباب وبنفس الأساليب التي كانت قد ساهمت سابقاً في صعود

الحميريين خلال فترة الحكم السبئي .

فمثلما كان يعتمد السبئيون على الحميريين في حماية الطرق ومصالح دولتهم التجارية وبالخصوص على إمتداد الخطوط الساحلية ، فقد حذا تابعة حمير حذوهم ولكن بالإعتماد على قبائل كندة وحلفائها لحماية خطوطها التجارية الشمالية ، وذلك كما أشرنا سابقاً، لتحول زخم الحركة التجارية من الخطوط الساحلية إلى الخطوط التجارية الشمالية البرية. ولقد شرع هؤلاء أيضاً الدخول في تحالفات جديدة عبر المصاهرة بهدف تقوية الروابط والصلات الدموية بينهم وبين كندة .

ومن الجدير بالإحاطة أن النسابين العرب يمنحون بني كندة نسباً قحطانياً، كما يتفق الغالبية منهم على أن أول من لقب بكندة هو ("الملك") ثور الذي أطلق عليه والده ذلك الوصف لأنه " كند " آباءه ولحق بأخواله. ويتفق غالبية الرواة بأن مواطن كندة كانت أصلاً في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، ومن ثم إنتقلت هذه القبائل في فترة غير محددة من تلك المنطقة بسبب ضغوط من قبيلة حضرموت التي إستطاعت أن تحقق لنفسها اليد العليا على كندة في تناحر قبلي عنيف دام فترات طويلة من الزمن .

ويقول بعض الرواة الآخرين بأن سبب إنتقال كندة من مواطنها الأصلية يعود إلى إختيارها ولاة أمور على المنازل الوسطى والشمالية من الجزيرة العربية من قبل الملوك الحميريين ، وكان من نتائجه تأسيس تحالف قبلي بين بني كندة القحطاني النسب وبني معد العدنانيين .

وإستطاع هذا التحالف القبلي أن يمد سيطرته على مساحات واسعة من الجزيرة العربية والتي إمتدت من حدود الحجاز الشرقية إلى الشام والعراق في الشمال وإلى البحرين وعمان في الشرق. ودامت هذه السيطرة من أواسط القرن الخامس الميلادي لفترة لاتقل عن ١٥٠ عاماً . وعندما بدأ الضغط يتزايد عليها يوماً بعد يوم من الدول العربية المحلية الموالية للبلاط البيزنطي مثل الغساسنة ، وللبلاط الساساني مثل لخم أصحاب الحيرة ، فلقد إستجاب هذا التحالف القبلي بين كندة وحلفائها لهذه الضغوط حتى أنفصم، ممهداً بذلك السبيل لتأسيس سيادة اللخميين في المنطقة ولو لفترة وجيزة ، ثم إنخضع بالتالي أمام انفجار مجدد

للتناحرات القبلية التي أدت إلى فوضى عارمة في غالبية المناطق الشمالية والشرقية والوسطى للجزيرة العربية والتي إستمرت حتى ظهور الإسلام.

ولم يستطع المؤرخون الى يومنا هذا إعطاء تاريخ محدد يتميز بنسبة وافرة من الدقة لحدث عودة قبائل كندة الى مواطنهم الأصلية في جنوب الجزيرة العربية، الا إذا سعينا للوصول الي تاريخ دقيق لهذا الحدث من خلال ما اورده بعض المؤرخين بأن بداية نزوح هذه القبائل جنوباً كانت من اليوم الذي خسر فيه هؤلاء معركتهم الضارية في "شعب جبلة " ضد القيسيين والتي انتهت بأسر وقتل اميرهم معاوية بن الجون الحاكم آنذاك على اليمامة والبحرين .

وقد حسب أبو الفرج الأصفهاني (المتوفي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م) بأن هذه الواقعة حدثت قبل ظهور الإسلام بتسع وخمسين سنة وقبل ميلاد النبي صلي الله عليه وسلم بتسعة عشر سنة. وبينما يذكر أبو الحسن الهمداني (المتوفي عام ٣٣٤هـ / ٩٤٦م وقيل سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) بأن تعداد الكنديين الذين عادوا إلى مواطنهم الأصلية بعد تلك المعركة الحاسمة لا يقل عن ثلاثين الف نسمة ، لعله من الممكن القول أن هذه المعركة لم تكن السبب الوحيد لهذه الهجرة الجماعية، بل الحلقة الأخيرة لسلسلة من الضغوط المتزايدة التي عانتها هذه القبيلة الكبيرة عبر السنين لأسباب شتى ، على رأسها الحسد والغيرة المتبادلة بين "ملوك " كندة ، والمنازعات والمنافسات بين بطونها وفخوذها والتي استغلها وأجج نارها الأمراء الغساسنة واللخميون ، ومن خلفهم الدولتان العظميان في ذلك العصر– الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية.

ويوجد إضافة إلى ما سلف ، سبب هام آخر وهو سوء الحكم الناتج بشكل رئيسي عن التصرفات المغرورة، التي لعبت دوراً كبيراً في زرع الشقاق والنفور بين الكنديون والقبائل المتحالفة معهم والموالية لهم والتي كانت قبلتهم أساساً حكاماً عليها، كي تتجنب التناحرات القبلية التي كانت سائدة في مجتمعها قبل قبولها وإستقبالها لملوك كندة كوسطاء محايدين ومحكمين بينها .

ولا يسعنا هنا أن نقبل أن هذه الهجرة كانت في شكل دفعة واحدة فحسب ، بل في شكل يميل في نظرنا نحو التدرج . وإننا لانستطيع أيضاً أن نجزم بأنه لم يكن لهذه البطون الكندية خلفاً في حضرموت وجنوب غرب الجزيرة العربية بعد

هجراتها السابقة منها ، وكذلك بأنه لم تبق بعد هذه الهجرة الأخيرة لها نحو الجنوب أية آثار لبطونها (أي لقبائل كندة) في المناطق الشمالية والوسطى للجزيرة العربية.

وفي إعتقادنا ، إن العامل الرئيسي الذي شجع بني معاوية الكنديين وأتباعهم على الهجرة نحو حضرموت هو وجود أعداد من بطون وفخوذ كندية مثل " السكون " و السكاسك"و" الصدف " (الذي يربط بعض الرواة أصلها بقبيلة "حضرموت") .

وحيث أن كل هذه البطون كانت تنتسب في أصلها إلى أولاد وأحفاد "الأشرس" كما هو ظاهر من الأسماء التي اطلقت عليها ، فإنها أصبحت معروفة جمعاً في التاريخ بـ " بني الأشرس" ويجدر بنا أن نذكر أن "سكون " و "سكسك" كانا ابنان للأشرس بينما "صدف" ، الذي يعرفه التاريخ بإسمه الحقيقي أيضاً وهو عمرو – كان حفيداً لحفيد السكون. أما قبيلة " تجيب " فهي تنحدر من أبناء عدي وسعد، وهما ابنان آخران للأشرس، والغريب عن أمرهما بأنهما ينتسبان في التاريخ لأمهما المشهورة " تجيب بنت ثوبان" ! . وكما أن الرواة يصفون مجموعة الفخوذ والبطون المذكورة معاً بتسمية "بني الأشرس" فإنهم يطلقون تسمية بني معاوية علي القبائل التي عادت إلى حضرموت .بعد معركة شعب جبلة، التي ذكر عنها– (أي بني معاوية) – غالبية الرواة، بما فيهم الهمداني، بأنها قدمت للعرب ما لايقل عن سبعين " ملكا" . ولقب "الملك" هذا في مفهوم يومنا يعادل "شيخ" أو " أمير" قبيلة أو مجموعة لها. وما زالت بعض الأسر الحضرمية مثل آل بن محفوظ وآل باجمال وآل بازرعة وآل باكثير وآل بارباع تفتخر بانتسابها الى هؤلاء "الملوك" ، كما يجب أن يضاف إلى هذه القائمة للأسر الكندية في حضرموت (وذلك حسب تخميني وبناءً على ما سمعته من بعض الرواة) أسرة آل بن لاذن أيضاً التي كانت في شأن قبل إستضعافها بسبب عدة عوامل طبيعية وسياسية مضطربة . كما أن هناك أسر أخرى تدعى نفس الإدعاء ، والحمد لله علي نعمة الإسلام الذي مع معارضته المعلنة لمبادئ الطبقية حدد تقييم منزلة الفرد بناء على حسن أعماله .

ميزان التحالفات القبلية

ويذكر صاحب كتاب " المحبر " الأخباري النسابة محمد إبن حبيب الهاشمي (المتوفي سنة ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م) بأن عودة بنى معاوية إلى حضرموت – وهي كما لا يستبعدها العقل ، لم تكن خالية من الصراعات أو المخاطر – وكما كان يتوقع ، أخلت بالتوازن

الدقيق للتحالفات السياسية المتواجدة عادة في المجتمعات القبلية كما كان الحال في حضرموت خلال تلك الفترة، والتي تجبر فيها العوامل الجغرافية القاسية (وقلة المواقع اللائقة للإقامة والموارد) المتنافسين علي الإختلاط والتعايش جنباً إلى جنب حتى بعد عقود وقرون من التناحر والصراعات والحروب القبلية .

وكما يتصوره العقل ، فإن ميزان هذه التحالفات يظل حساساً بصفة مستديمة لأصغر وأبسط وأخف التقلبات والتحولات ، فما بالكم من هيجان أو مجموعة إضطرابات هائلة في صورة تعريف وإدخال ثلاثين الف مهاجر آنذاك في أوساط المجتمع الحضرمي من الذين يحملون ما يحملون من إدعاءات وتاريخ للزعامة ، إضافة الى أواصر القرابة مع بعض وليس مع الكل من القبائل التي تسكن في هذه الديار ! –

وبوسعنا أن نتخيل مدى وضروب أثر هذه الهجرة إلى حضرموت بألوانها المختلفة عندما نتذكر بأن مجموعة كبيرة من هذه القبائل الكندية كانت قد غادرت المنطقة أساساً نحو الشمال نتيجة للضغط عليها من قبيلة حضرموت وفخوذها والتي كانت أصبحت في ما بعد صاحبة الشأن وساكنة في الضواحي الشرقية والوسطى لوادي حضرموت متخذة من مدينة شبام مركزا لممارسة نفوذها السياسي .

فكما لم ترتاح قبيلة حضرموت لعودة هؤلاء الكنديين لتقوية سواعد منافسيها من بطون كندة القاطنة بجوارها ، إضافة إلى العوامل الأخرى التي ذكرنا ، لم تطمئن فخوذ بني الأشرس الكندية أيضاً لعودة هؤلاء المنافسين على المساكن والموارد والزعامة السياسية وإن كان نسبهم يجمعهم بهم ، وذلك لأن بني معاوية كانوا يعتبرون أنفسهم ليس أقل منزلة من "ملوك" وأصحاب الصدارة والرياسة لإمبراطورية قبلية كانت تشمل في يومها غالبية مساحة الجزيرة العربية .

المهرة و القبائل الأخرى

وبالإضافة إلى القبائل الفرعية التابعة لقبيلة حضرموت الرئيسية، كانت هناك قبائل أخرى صاحبة سيادة ونفوذ سياسي ، مثل المهرة ، وذلك على إمتداد الرقعة الساحلية شرقي الشحر . وكانت هناك كذلك فروع لمجموعة قبائل همدان بما فيها "ذي الجراب " التي كانت تعيش في مودة مع قبائل حضرموت و "الجعفيون" من سكان وادي جردان والذي يظهر وفد رؤسائها ضمن الوفود التي استقبلها رسول الله صلي الله عليه وسلم. وفي هذا

السياق ، بإمكاننا أن نضيف إسم قبيلة "بلحارث بن كعب " ومجموعة كبيرة من بطون كندية أخرى تابعة لبني الأشرس ، وكلها كانت تتعايش في حالة سلام ، كما كانت تحاول بمقدور الإستطاعة أن تحافظ عليه، وذلك حتى اذا اعترفنا بأن هذه العلاقات بينها لم تتميز بسمات المودة البالغة.

ولكن بالرغم من وجود كل هذه العوائق السالفة الذكر، سادت صلات النسب المشترك وقيم المروءة وطفت على مخاوف سكان حضرموت ، وإرتفعت معها أيضاً نسبة آمال بني الأشرس الخفية في ما يخص النتائج المتوقعة من خلال أية مشاجرة قبلية بينهم وبين قبائل أخرى، بعد ذلك اليوم ، حيث أنه سيكون بإمكانهم الإستعانة عند الضرورة ببني عمهم من بني معاوية – ولكن من الممكن أن نضيف لهذا من جانب آخر ، بأن ظهور هذه الأفواج الكبيرة من المحاربين الكنديين أفاد المجتمع الحضرمي آنذاك بإدخال عامل الردع في صفوفه للتناحر القبلي، حتى وإن كان مفهوماً بأنه يميل لصالح بني كندة وضد القبائل الأخرى.

وقد إستطاع بنو معاوية مستعينين بهيمنة سمعتهم الملكية وكثافة تعداد بطون قبائلهم وأتباعهم على الإنتشار في مساحات من رقعة بلاد حضرموت باحثين عن أماكن صالحة للسكن، إلى أن انتهى أمر تركيز تعدادهم في وديان عمد وهينن وحجر وجردان ، وأيضاً على الشريط الساحلي .

وخلال فترة وجيزة ، تمكنت هذه البطون بالضغط علي الصدف للتنازل عن سيادتها على مدينة دمون،التي أسست فيها مقرها السياسي رمزاً لنفوذ سيادتها القبلية. ولئن أصبحت دمون مدينة صغيرة في أنظارنا اليوم مقارنة ببعض المدن الأخرى لهذا العصر، فلقد كانت في يومها مصدراً وموضعاً للمدح والثناء من قبل "الملك الضليل" الشاعر إمرؤ القيس الكندي (المتوفي في سنة ٥٤٠م) صاحب أحدى المعلقات السبعة، الذي خلد ذكراها بما يلي ، ولو أن هناك من يزعم بأن الإشارة هنا لموقع في البحرين التاريخية – أي شرق الجزيرة العربية –

" كأني لم أله بدمون ليلة   ولم أشهد الغارات يوماً بعندل. "

ومن الجدير بالملاحظة هنا أنه بالرغم من هيمنة بني معاوية ونفوذهم وأبهة سلطانهم ، فإن هذا لم يؤثر التأثير الكبير على طبيعة السيادة السياسية المتجزئة في حضرموت ، ولعله يصبح واضحاً من دراسة أحداث "عام الوفود " (السنة ٩ للهجرة /٦٣٠م

-٦٣١م) الذي إستقبل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوداً مستقلة من عدة قبائل حضرمية وغيرها ، علماً بأنه كانت توافدت إليه وفوداً قبل هذه السنة أيضاً ومن بعدها.

الأسواق التجارية

وبناء عليه، فإننا نذكر هاهنا بنسبة كبيرة من اليقين أن سيادة كندة على سياسة حضرموت كانت تمارس بأسلوب قبلي يتميز بمنح الإستقلال للقبائل الأخرى في كثير من الأحيان والغالبية من الأمور ما عدا أهمها. ولم يتغير تركيب ممارسة السلطة من تلك الفترة حتى يومنا هذا بكثير . وذلك بسبب إنعدام عوامل دولية كافية لإنتعاش إقتصاديات هذه الرقعة وحتى إلى نسب ما شاهدته من رخاء وإزدهار في العصور السابقة. غير أنه بالرغم من ذلك ، إستمر النشاط التجاري عبر خطوط القوافل والخطوط البحرية ، ولو بنسبة منخفضة كثيراً ، مقارنة بعصور الإزدهار الماضية ،التي أشرنا إليها سابقاً – كما كان هدف هذا النشاط الأساسي تغذية الأسواق المحلية إلى حد كبير بدلا من المتاجر الدولية حسب السالف في الماضي . وقد إشتهر في ذلك العصر سوق الشحر الذي كان يقام على أسس سنوية من تاريخ ١٥ إلى نهاية شهر شعبان ، مصادفاً في تواريخ وقوعه فترة وصول القوافل التجارية إلى محطة الشحر ، وأيضاً فترات الفراغ والنشاط الإقتصادي الموسمي لأبناء المنطقة .

وأما بالنسبة لسوق رابية في وادي العين ، فإنه كان يقام خلال ذلك العصر في شهر ذي القعدة (المعتبر آنذاك من الأشهر الحرم إضافة الى شهور رجب وذي الحجة ومحرم).

ونظراً لما كان يتمتع به هذا السوق من أهمية بالغة في الجزيرة العربية تكاد تصل إلى منافسة سوق عكاظ ، فإنه كان يبتدئ وينتهي في تواريخ متزامنة لبداية ونهاية سوق عكاظ. وإحترام السلام خلال هذه الفترة كان يصبح أمراً ضرورياً ومفروضاً على الجميع ، بحيث يتسنى للعدو والصديق ، من القريب والبعيد ، الوصول إليه لقضاء حوائجه في سلام وأمان.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من المصادفة بين تواريخ سوق رابية وتواريخ سوق عكاظ ، فقبيلة قريش والقبائل الأخرى لم تتجاهل وتتأخر عن إرسال قوافلها إليه بصفة منتظمة ، حينما كانت تقدم لها قبائل حضرموت وكندة (نظراً لما تتمتع بها من سمعة ونفوذ وتجربة في هذه المجالات) خدماتها كأدلة وسيارة وذلك عوضاً عن الخدمات التي كانت تقدمها لهم قريش والقبائل الأخرى في مواطنها حسب العرف وترتيبات مسبقة ناشئة بين هذه القبائل منذ عصر الحكم الحميري ومن قبل ذلك . وخلال فترات هذه الأسواق ، كانت تقام مسابقات ومبارزات

رياضة وأدبية مختلفة وكان يساهم فيها المشاهير وأبطال الممارسات المختلفة من مسافات قريبة وبعيدة . ومثلما كانت ألعاب الفروسية من أهم الممارسات الرياضية ، كان إلقاء وإنشاد القصائد من أهم النشاطات الأدبية .

وكانت تأتي إلى هذه الأسواق جميع أصناف البضائع والسلع المنتشرة الإستهلاك والنادرة لغرض البيع والمبادلة والمقايضة – ومن أشهر هذه المنتجات المنتسبة إلى حضرموت التي وصل إلينا وصفها: اللبان والمر واللدائن والعسل والعنبر الشحري والملح الطبيعي من شبوة والنعال والمنسوجات والبرد الحضرمية – وتذكر بعض كتب التاريخ وعلى سبيل المثال إبن سعد (المتوفى سنة ٢٣٠/٨٤٥م) في "الطبقات الكبرى " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك برداً حضرمياً، لبسه في مناسبات مهمة مثل إستقبال الوفود ، وأورثه من بعده سيدنا الإمام علي بن إبي طالب كرم الله وجهه – وهذا البرد لايزال موجوداً ومحفوظاً في متحف " توب كابو " (TOP KAPI) في "إستانبول" (ISTANBUL) . ولقد إشتهرت أيضاً في تلك الفترة الخيول الحضرمية مما يثير عجبنا ، إذ لا توجد في حضرموت في يومنا هذا أية خيول تذكر – كما كانت إشتهرت فيها الجمال من بلادي الصيعر والمهرة.

ديانات الحضارمة قبل الإسلام والصراع بين المسيحية واليهودية

وعندما نأتي لديانات الحضارمة في ذلك العصر ، نجد أنهم كانوا يعبدون مجموعة سماوية / كوكبية شملت القمر وهو "س" و زوجته " الشمس " وإبنهما "أطهر " (أو كوكب الزهرة أو " فينوس " – VENUS) بالإضافة إلى آلهة أخرى أخذها الحضارم عن المناطق المجاورة مثل " نسر" و "ذي سماوي" ، (بعل السموات والأرض) ،كما عبد هؤلاء عناصر طبيعية مثل المطر وآلهة أخرى ، كانت تتبناها بعض العوائل وتخصها بعنايتها الخاصة للعبادة نظراً لرغبتها أو لقضاء حاجة معينه عندها .

وفي الأدب العربي الكلاسيكي والمؤلفات العربية القديمة مثل "المحبر" لابن حبيب ، نجد فهرساً بأسماء هذه الأصنام التي عبدها الحضارمة من قبائل حضرموت وكندة وغيرهما ، مثل" مرحب " و " الجلسد " و " ذرع" وغيرهم .

وإذا أردنا أن نستدل بما تحويه الكتب السماوية من روايات ، وعلى رأسها القرآن الكريم ، فنتعلم من خلالها أن شعوب حضرموت عبر فترات متقطعة من تاريخ حضاراتها، كانت على إلمام بالإيمان وبوحدة خالق الكائنات وعبادته والدليل على ذلك

الأنبياء الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى إليهم – ولقد ذكرنا سابقاً بعض الشئ عن تاريخ ظهور الديانة المسيحية في جنوب الجزيرة العربية مرؤسة بنشاط رهبان من الأحباش والنساطرة السوريين وبالخصوص في اليمن (مثل ظفار وصنعاء) ، حيث تم فيه كما في نجران وعدن إنشاء كنائس محمية من قبل قوات الإحتلال الحبشية .

وكما عرفت المنطقة الديانة المسيحية ، فقد عرفت أيضاً كما ذكرنا سابقاً الديانة اليهودية التي تعرف عليها بعض الأمراء الحميريون الذين كانوا إستطاعوا في وقت سابق اللجوء إلى يثرب وجوارها بين سنتى ٣٤٠م و ٣٧٨، خلال فترة الإحتلال الحبشي الأول . وكانت في مدينة يثرب كما هو معروف مجموعات سكانية لليهود وذلك منذ فترة إحتلال القدس من قبل الرومان في عام ٧٠م في عصر الإمبراطور " تيتوس " (TITUS) الذي حكم بين سنتي ٣٩م و ٨١م.

وتذكر بعض المصادر بأن " أسعد أبو كرب " الملقب " أسعد كامل " ، كان أول " تّبع " أعتنق اليهودية ، وتبعه في ذلك " شرحبيل يعفر " الذي إشتهر في التاريخ بسبب الترميمات التي قام بها لسد مأرب الكبير سنة ٤٥٠م .

ولقد إشتهر " التبع " يوسف ذو نواس (الذي حكم من سنة ٥٢٣م الى عام ٥٧٥ م) – وهو إبن يهودية أرمنية من" نسيبيس" (NISIBIS) و آخر " تبع" عرف بإعتناق اليهودية – بسبب كراهيته الشديدة للمسيحية والمسيحيين ، وأنواع العذاب الذي أذاقهم . وقد شجعه على ذلك مقربوه من اليهود الذين كانوا يكنون الكراهية للمسيحية آنذاك بسبب ما حصل لهم من ضرر على يدي البيزنطيين (الروم). ويحمل بعض المؤرخون مسئولية الإحتلال الحبشي الثاني لمنطقة جنوب غرب الجزيرة العربية ، لمضايقاته ولمعاملته القاسية بدون توقف أو لين للمسيحية .

وقد عاشت اليهودية في حضرموت بعد حكم ذو نواس بصفة غير مستقرة بجانب الديانات التي سبق وصفها حتى دخول الإسلام إلى حضرموت ، والدليل على بقاء اليهودية في حضرموت إلى تلك الفترة أن والد الأشعث بن قيس الكندي ، (أحد مشاهير أمراء كندة ومن الصحابة الكرام والشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي) كان قد إتخذ من اليهودية ديناً له.

وقبل الإنتقال إلى موضوع آخر ، وهو الحضارم والعصر الإسلامي ، تحتمني أمانتي أن أذكر هنا ، بأنني كنت عرضت نبذة لجميع هذه الفصول عن تاريخ المنطقة قبل الإسلام ، عدا ما أشرت إليه عن كندة ، على البرفيسور "ألفريد جام" (ALFRED JAMME)، أحد كبار خبراء تاريخ شبه الجزيرة العربية لهذه العصور من جامعة" لوفان " (LOUVAIN) ببلجيكا،

أثناء زيارة له إلى جدة قبل بعض الفترة ، والذي أفادني عن إمكانية الإضافة إلى هذه المعلومات من عدة نواحي في ضوء الإستكشافات والدراسات التي أنجزت مؤخراً ، و بالخصوص في مجال أنشطة الملوك والأعيان والممارسات والمراسم الدينية ومنح تواريخ بالمزيد من الدقة لبعض الأحداث التي عرف عنها ، كما للترتيب التسلسلي للملوك ولألقابهم وفترة حكم كل منهم .

الحضارم والإسلام ومساهمات حضرمية في فجر تاريخه

بالرغم من أن الحضارم لم يميلوا نحو الإسلام أو يلتزموا بقبوله حتى الفترة حوالي "عام الوفود" ، فإننا لا نستطيع تجاهل تعرفهم بأصوله من خلال نشاطهم التجاري وزياراتهم لسوق عكاظ والحج – حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد بدأ في نشر رسالته بين صفوف القبائل الزائرة قبل هجرته الى المدينة المنورة للأسباب التي أشرنا إليها أعلاه.

وتؤكد تعرف زعماء حضرموت بالإسلام بعض الأقوال التي نسبها مجموعة من الرواة للزعيم الحضرمي وائل بن حجر وغيره والدالة على مقابلتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستماعهم للوعظ النبوي الشريف خلال إحدى زياراتهم لعكاظ والحج .

ولعل من الأسباب التي جعلت الحضارم يتراجعون عن إعتناق الإسلام في بادئ الأمر بالرغم من صدق رسالته المبينة وجاذبيتها ، أولا ، التردد على ترك تقاليد آبائهم ، وثانياً تخوفهم من جرح مشاعر قريش وبعض القبائل المعادية للإسلام ، وذلك لأن القبائل الرئيسية الحضرمية كانت مرتبطة بقريش وغيرها بأواصر الصداقة والتجارة ومصالح أخرى متبادلة يترتب عليها إزدهار النظام الإقتصادي والأمني في الجزيرة العربية بصفة عامة .

وهنا ، لا نريد تكرار أهمية بذل المجهود الرخيص والغالي من قبل أصحاب المصالح المعنية مثل رؤساء القبائل الرئيسية في سبيل المحافظة على هذه التوازنات الحساسة التي كانت قائمة على هيكل من تقاليد عرفية متبعة (وفي الغالبية) منذ القدم ، وعلى إتفاقيات وتحالفات قبلية ، حيث كانت تترتب على أي إختلال بتوازنها ، عواقب مشؤومة الغاية، يصعب علينا حالياً تصور صداها .

ومن طرائف الأمور أنه بغض النظر عن تجاهل الحضارم للإسلام في سنواته الأولى ، فإن التاريخ الإسلامي لتلك الفترة لم يخلو من مساهمة الحضارم في تكوين أحداثه، سواء بصفة إيجابية أو سلبية – وعلى سبيل المثال فإن أول من قتل بأياد مسلمة كان حضرمياً ، وهو عمرو بن عبدالله الحضرمي، (من حلفاء عتبة بن ربيعة ، زعيم قريش) من التجار ورواد القوافل ، وكان ماله هو أول ما خمس في الإسلام .

والجدير بالذكر أن من الأسباب المباشرة لمعركة بدر الكبرى الطلب بثأره . ويروي التاريخ أن أخاه عامر الحضرمي كان أول من تعدي الصفوف قبل بدء القتال في هذه المعركة بإيعاز من أبي جهل، كبير اعداء المسلمين، وقام بشق ثيابه منادياً من يناصره بصفته حليفاً لقريش ، في أخذ ثأر أخيه . وكانت هذه الحركة منه ومن أبي جهل لحث قريش ودفعها على الإشتباك والقتال ، كما تدل بصفة بارزة أهمية ما أوردناه سابقاً من شرح عن الأهمية الممنوحة للروابط القبلية وتحالفاتها والمحافظة عليها والإيفاء بشروطها التقليدية والعرفية .

ولقد إشتهرت هذه الأسرة الحضرمية – أسرة عمرو وعامر إبني عبدالله الحضرمي – في فجر الإسلام ولعبت دوراً بارزاً في التاريخ الإسلامي، فمولاهما النصراني جبر الذي كان يكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مبيعته عند المروة فيجلس بجوارها ، يعد وفقاً لإبن إسحاق صاحب "سيرة رسول الله" ، سبباً من الأسباب في نزول هذه الآية الكريمة من سورة النحل:" ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين "– (صدق الله العظيم).

وفي فترة لاحقة ، كان لأخيهما العلاء في المدينة المنورة الشرف بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعمل كاتباً له. ويذكر التاريخ عن العلاء بأنه أول من بنى مسجداً في ديار الحرب وأول من فرض الجزية على الكفار، وكذلك أنه أول من إستعد بنقش خاتم يدل على ولايته عندما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكماً على البحرين ، وعندما أثبته في هذا المنصب الخليفة الراشد الأول سيدنا أبو بكر الصديق ثم من بعده خليفته سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) ، جهز العلاء ما عرف في تاريخ الإسلام بأول حملة بحرية ، وذلك على بلاد فارس ، وإن كانت هذه الحملة الفاشلة دون أخذ إذن مسبق من المدينة المنورة ومثيرة لانتقاد عمر رضي الله عنه بسبب وجود عوامل المجازفة بحياة المؤمنين في تخطيطها .

مالك بن عباد الحضرمي

وكان لهذه الأسرة الحضرمية ضلع في فتح مكة أيضاً (في عام ٨ هـ /٦٣٠م) مثلما كان لأفرادها دوراً في معركة بدر ، حيث أن أحد هؤلاء – مالك بن عباد الحضرمي – يعد ضمن الذين قاموا بمد السبب الجذري للنزاع بين خزاعة وبني بكر التي أدت إلى مذبحة أفراد قبيلة خزاعة في الحرم المكي من قبل الطرف الآخر بمساعدة قريش . وبما أن خزاعة كانت حليفة من حلفاء المسلمين، فأعتبرت هذه الجناية عليها نقضاً مباشراً وصريحاً لشروط صلح الحديبية، وبناء عليه، طالبت خزاعة من حلفائها المسلمين الإيفاء بشروط التحالف بينهما . وكما نعلم، لم يتردد المسلمون في التجاوب مع هذا النداء محققين بذلك فتح مكة السلمي واعتناق الإسلام من قبل قريش .

وإضافة إلى ماورد ، كانت لهذه الأسرة أدوار أخرى أيضاً كما يذكر بعض رواة الحديث وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل (المتوفي عام ٢٤١هـ/٨٥٥م) وأبو مسلم (المتوفي سنة ٢٦١هـ/٨٦٥م) ؛ فالتوضيح من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرح وتفسير الآيات القرانية ضد إستهلاك الخمور ينسب إلى طارق بن سويد الحضرمي ، وهو فرد من أفراد هذه الأسرة – الذي كان استفسر منه عن مدى منع القرآن الكريم لشرب الخمر وإستهلاكه كعلاج للأمراض .

الوفود الحضرمية "خلال عام الوفادة"

إن قبول قريش الإسلام أوضح لسكان الحاضرة والقبائل في الجزيرة العربية بأن الإسلام قد أتى للبقاء ، فلم تدم أية فترة قبل اختلاط الحابل بالنابل حيث إشترك من كان همه الدنيا والحفاظ على المصالح التجارية مع أصحاب روح ومشاعر دينية في إعتناق الإسلام وكان ذلك في سنة ٩ هـ المعروفة أيضاً بسنة الوفادة، كما قد أشرنا إليها سابقاً ، والتي دخل فيها الناس "في دين الله أفواجا"– صدق الله العظيم.

ولقد أتي خلالها إلى المدينة المنورة الحارث بن عبد كلال رسولا من ملوك حمير ، وممثلاً لأقيال ذي رعين ومعفر وهمدان . وكان المذكور آنذاك عائداً من مهمة تجارية في الممتلكات البيزنطية ، حاملاً رسالة من المذكورين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تفيده عن إعتناقهم الدين الإسلامي، وقد رد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة تحوي تعليمات دينية إضافية أخرى.

الأشعث بن قيس الكندي و وفد كندة

إنما الوفد الذي أثار إعجاب الجميع في المدينة المنورة لدى وصوله بسبب أبهة أسلوب دخوله للمدينة المنورة كان وفد كندة برئاسة معدي كرب ، المشهور في التاريخ بلقب " الأشعث " – وهو إبن قيس بن معدي كرب ، من كبار أمراء أو "ملوك" كندة وصاحب النفوذ الواسع والكلمة المسموعة والمطاعة لديها. ولقد دخل هذ الوفد المكون من ثمانين راكباً – كما يذكر عبدالملك إبن هشام المعافري (المتوفى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م وقيل عام ٢١٣هـ /٨٢٨م) في كتابه "سيرة رسول الله" – لابسين جبب الحبر (وهي أثواب ذات خطوط تنسج من القطن) مكففة بالحرير، وإستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوب يتناسب مع مرتبتهم كما عاتبهم بلطف على إرتدائهم الحرير فما كان منهم إلا أن شقوها في الحال .

وحيث أن بعض تجار قريش كانوا ينتحلون لأنفسهم نسباً ينحدر من أو ينتسب إلى "آكل المرار " الكندي – وهو حسب بعض النسابين الحارث بن عمرو بن حجر بن معاوية، ولتسميته " آكل المرار " قصة سنذكرها لاحقا – عندما يأتون إلى مواطن بني كندة وغيرها لكي يتمكنوا من الحصول على معاملة خاصة مثلما يليق بذوي قرابة أو أولاد "الملوك " ، وبما أن الأشعث كان قد سمع مراراً عن إنتساب قريش إلى "آكل المرار" من بعض أبناء قريش ، فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلة النسب المشترك التي تربطه وربعه به. وعند ذلك ، تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضاف قائلاً كما أورده إبن جرير الطبري نقلاً في الغالب عن سيرة إبن إسحاق وإبن هشام : "ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبدالمطلب و ربيعة بن الحارث– " وذلك لأنهما كانا ضمن القريشيين الذين ينتحلون نسباً كندياً عند الضرورة قبل إسلامهم . وأيضاً بأن " نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ، ولا ننتفى من أبينا. " وهذه الحكاية وإن كانت صغيرة في ذات حجمها ، تدل على منزلة كندة في ذلك العصر ، وكذلك عن أهمية أمر وصلات الحسب والنسب والأصل المشترك، كما تلقي الضوء على مقومات التعامل المتبادل في ذلك المجتمع القبلي وعلى أعرافه وتقاليده . وإنه لجدير بالملاحظة هنا ، كما قد أوضحه مزيداً عبدالرحمن السهيلي (المتوفى سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م) في كتابه " الروض الأنف في تفسير سيرة إبن هشام "، بأن للنبي صلى الله عليه وسلم جدات كنديات مثل دعد بنت سرير الكندي ، وهي أم كلاب بن مره، وأم أمه ، والأشعث أيضاً كان ينتسب إلى "آكل المرار "من قبل النساء .

وخلال هذه الزيارة ، أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشعث أن يتزوج على أم فروة ، أخت سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه . ونظراً لما كان يولي لهذا التحالف من أهتمامه ، فلقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بإدخال نفسه في روابط المصاهرة مع بني كندة عن طريق قتيلة ، أخت الأشعث ، التي لم تتمكن من الوصول إلى المدينة المنورة قبل وفاته صلى الله عليه وسلم . وقد أشار اليها رسول الله في وصيته ، كما منحها حق الخيار بين الزواج مع أي شخص آخر تختاره أو البقاء على ما هي عليه وأن تعتبر ضمن أمهات المؤمنين ، وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم كنديتين أخريتين في حياته ، وهن ، أسماء بنت شراحيل وعمرة بنت معاوية.

سبب تلقيب الحارث الكندي بـ" آكل المرار "

أما بالنسبة لتسمية الحارث بن عمرو الكندي المذكور بلقب " آكل المرار" ،فسببها أنه في مرة من المرات أغار عمرو بن الهبولة الغساني على ديار الحارث وهو غائباً ، وإستطاع أن يأخذ غنائماً وسبايا بما فيها زوجته أم أناس وهي بنت عوض الشيباني. وعندها انذرت هذه السيدة الغساني بالمصير الذي ينتظره ، فشبهت زوجها في حالة غضبه كرجل "أدهم أسود وكان مشافره مشافر بعير آكل المرار "– والمرار هذه نباتات إذا أكلها البعير قلعت مشافره وبدت أسنانه. ونضيف هنا لكي لا نحرم هذه الحكاية من خاتمتها الحسنة بأن إستطاع الحارث أن يقتل إبن الهبولة الغساني وينقذ زوجته وأن يشتهر فيما بعد وفي التاريخ بلقب " آكل المرار ".

وفد قبيلة حضرموت

إن الوفد الآخر الذي أتي من حضرموت برئاسة وائل بن حجر الحضرمي، وهو "قيل" من "أقيال "المنطقة الساحلية ، وكان يوازي وفد كندة في أهميته هو وفد قبيلة حضرموت . وتذكر مصادر كثيرة تلي أسماء بعض منها في الفقرة التالية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بشر الصحابة عن وصول وائل ووفده قبل قدومهم قائلاً :" تأتيكم بقية أبناء الملوك ". وعندما وصل وائل مع وفده ، إستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة بحفاوة وتكريم لائقين – كما بسط رداءه للجلوس عليه – وعندما نودي للصلاة، كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وائلاً بصعود المنبر وعرفه بلقب سيد " الأقيال " كما دعا له ولذريته وصحبه بالخير والبركة.

وهناك رواية أخرى دالة على ما كان يتمتع بها " ملوك " كندة و " أقيال " حضرموت من مكانة لدى العرب الآخرين يجب علينا ذكرها. وتورد المصادر ، وعلى سبيل المثال "الإستيعاب في معرفة الأصحاب " لإبن عبدالبر القرطبي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م) و "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لعزالدين إبن الأثير الجزري (المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) و "الإصابة في تمييز الصحابة " لإبن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) و " البداية والنهاية " لأبي الفداء الحافظ إبن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) وغيرهم ، وأنه عندما إستأذن وائل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل معه معاوية بن أبا سفيان ليعرفه بالموقع الذي أختير لنزوله، وكان معاوية راجلاً بينما كان وائل راكبا ناقته ، وعندما إشتكى له معاوية عن حر الرمضاء وطلب منه أن يردفه، أمره وائل بأن يسكت لأنه ليس من أرداف الملوك وأن يكتف بإنتعال ظل الناقة الذي يعد شرفاً كافياً له !

ومن طرائف أخبار هذا الوفد أنه عندما أراد وائل أن يعود إلى حضرموت ، كانت عودته مدعومة بكتب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها من تعاليم الدين الحنيف (مثل أحكام الزكاة والعقاب والمنكرات) بالإضافة إلى موافقته على " ترفل" أو سيادة وائل "على الأقيال حيث كانوا من حضرموت "، نظراً لفضله في الإسلام على الآخرين. وكانت هذه الكتب باللغة الحميرية مما يدل على أن هذه اللغة كانت معروفة لدى الآخرين من العرب بسبب الصلات التجارية ، والتي أكدتها إستكشافات وتحاليل خبراء الآثار ، وثانياً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً كان على إلمام بها.

ولقد أخرج الترمذي (المتوفى سنة ٢٨١هـ/٨٩٣م) عنه – أي وائل – في حديث حسن بأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمد صوته عندما قال "آمين " بعد تلاوة الآية الأخيرة من سورة الفاتحة في الصلاة . كما تذكر المصادر أنه كان نزل الكوفة على رأس جماعته في الإسلام وشهد معركة صفين في صف سيدنا علي إبن أبي طالب كرم الله وجهه ، وذلك على رأية قبيلته حضرموت وإستقر في الكوفة مع بنيه علقمة وعبدالجبار ومسروق وقد يكون غيرهم أيضاً .

وهناك قصة طريفة أخرى عن وفود وائل على معاوية رضى الله عنه أيام خلافته ، والذي عرفه ورحب به وأجلسه معه على السرير (متذكراً دون شك إستقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم له" عام الوفادة ") ، وذكره بما كان وقع من حديث بينهما والذي تمت الإشارة إليه أعلاه . فقال عن ذلك : " فوددت إني كنت حملته بين يدي" كما يذكر البعض منهم أنه عندما أراد معاوية إكرامه ، غلب قائلا : "يأخذه من هو أولى به مني ،

فأنا في غنى عنه !" .

ويورد صاحب "الإستيعاب" بأنه كان يحسن الزجر ذاكراً بأنه خرج يوماً من عند زياد إبن أبي سفيان بالكوفة وأميرها آنذاك المغيرة ، ورأى غرابا ينعق ، فرجع إلى زياد وقال له : " يا أبا المغيره ، هذا الغراب يرحلك من ها هنا إلى خير ! " . وذات يوم ، قدم رسول معاوية يعينه واليا على البصرة ! .

إن كل طفل مدرسي يعرف حكاية " شعرة معاوية " الدالة على مدى وعمق حلمه ، ولكن لا يعلم الجميع بأنه عندما كان يغلظ الناس فيه كما فعله رجل ذات مرة ، كان رده: "إني لا أحول بين الناس وألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا !" . وعندما سنحت له الفرصة مرة للتعبير عن ما كان يشعر به في نفسه عن مواهبه في السياسة والحكمة مقارنة بعمرو إبن العاص – ذلك الصحابي الآخر المشهود له أيضاً بالدهاء السياسي – وهذا عندما كان تفاقم الأمر بينه (أي معاوية) وسيدنا على كرم الله وجهه ، فكان حكمه : " إنك ياعمرو رجل بورك لك في العجلة وإني إمرؤ بورك لي في التؤدة ! " وياترى أنه كان يطبق معاني أبيات شعر الأشهب بن زميلة النهشلي في مدح كرم الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع على نفسه قولا وهي :

"إذا مت مات الجود وإنقطع الندي   من الناس إلا من قليل مصرد
و ردت أكف السائلين وأمسكوا   من الدين والدنيا بخلف مجدد"

كما كان يقول : "إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي ، وجهل أكثر من حلمي ، وعورة لا أواريها ستري ، أو إساءة أكثر من إحساني ".

والجدير بالتدوين هنا أيضاً في شأن معاوية وحكمته ودهائه السياسي ، بأنه أرغم من أمثال الفاروق رضي الله عنه بالقول له فيه تعجبا :" ويحك ! ما ناظرتك في أمر عيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك !".

وفد قبيلة الجعفيين

وفي تلك السنة المفعمة بالأحداث – أي "عام الوفود" وما حواليه زارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود أخرى أيضاً من حضرموت ، منها وفد الجعفيين من وادي جردان المتمثل في قيس بن سلامة بن شراحيل وأخيه سلمة كما ذكره إبن سعد ، الذي سلف

ذكره ، في "الطبقات الكبرى " وأيضاً آخرون من الرواة والمؤرخين . ومن لطائف أخبار هذه القبيلة التى ينتمي إليها أبو سبره ، القائد الصحابي الذي ذكره إبن جرير الطبري (الذي عاش بين عامي ٢٢٤هـ/٨٣٩م و ٣١٠هـ/٩٢٣م) في تاريخه ، بأنه ينحدر منها أيضاً الشاعر الكبير أبو الطيب أحمد بن الحسن الجعفي الكوفي المشتهر في الأدب بلقب "المتنبي" (والذي عاش بين سنتي ٣٠٣هـ/٩١٥م و ٣٥٣هـ/٩٦٥م) ، بأنها كانت تنظر إلى أكل القلب حتى ذلك اليوم بنوع من الوهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم به . فمثلما كان شجع وفد كندة بقيادة الأشعث بن قيس على ترك لبس الحرير بسؤاله: " ألم تسلموا؟ فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟" – فشجع هؤلاء من الجعفيين على ترك هذا السالف الخرافي بقوله أنه " لا يكمل إسلامكم إلا بأكله" . ولعل هذه الرواية تلقى بعض الضوء على خلفية تقليد تقديم القلب لكبير الضيوف في الولائم في حضرموت وبعض المناطق الأخرى تكريماً وتشريفاً له .

وفد قبيلة تجيب

ومن الوفود التي سر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، وفد بني تجيب ، الذي أحضر معه ما فضل من صدقات أموالهم بعد تقسيمها على فقرائهم وذلك تقديراً لما تتمتع بها الزكاة من مكانة ضمن أركان الإسلام . وهذا ما جعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول فيهم تعجباً بأنه: "ما وفد علينا وفد من العرب بمثل ما وفد هؤلاء الحي من تجيب ". وعين رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنه بلال للإعتناء بهؤلاء الضيوف فترة إقامتهم في المدينة المنورة حتى عادوا فرحين مستبشرين بما كسبوه خلال تلك الفترة من تعاليم ونصائح دينية.

وفد قبيلة صدف

أما بالنسبة لأخبار وفد الصدف ، فأمرها يختلف عن الوفود الحضرمية الأخرى ، كما يذكر أبو جعفر محمد إبن جرير الطبري ، وذلك لأن أعضاءه رافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع . وتم إسلام بني الحارث بن كعب على يدي بطل الإسلام وسيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، الذي عاش معهم فترة قبل عودته إلى المدينة المنورة مصحوباً بوفدهم، وقد عاد هذا الوفد بعدما كسب معرفة بتعاليم الإسلام ، برئاسة قيس بن الحصين ذي الغصة ، ثم

ألحقهم صلى الله عليه وسلم بعمرو بن الحزم ليفقههم أكثر في تعاليم الدين .

ومن أخبار وصول هذا الوفد أيضاً أنه عندما قدم إلى المدينة المنورة وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنهم : "ومن هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟" – وهذا مما يدل على معرفته صلى الله عليه وسلم بأشكال شعوب بلاد بعيدة أخرى بسبب الصلات التجارية القائمة آنذاك بين شبه الجزيرة العربية ودول تجارية أخرى . وأما بالنسبة لتلقيب قيس بن الحصين بـ " ذي الغصة "، فيروي بعض الرواة أنه سمي بذلك لأنه إذا تكلم " أصابته الغصص ".

وقد إستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الوفود في المدينة المنورة . وكانت لرسائله وتعليماته الموجهة مع رؤساء هذه الوفود وغيرهم في ما بعد دوراً هاماً في تمهيد السبيل لتدفقها نحو الإسلام، ونشرت بين صفوفها الدعوة الإسلامية ، ونفوذها السياسي . ولقد حوت غالبية هذه الرسائل بالرغم من إختصار مضمونها تعاليماً ونصحاً دينية قيمة، تشكل في تفسير معانيها ميثاقاً كاملاً للحياة المثالية . وأيضاً ، فلقد قام هؤلاء الموفودون الذين مكثوا بين هذه القبائل بتفسير وتدريس هذه التعاليم وترجمتها وتطبيقها عملياً في سلوك حياتهم اليومية لكي يأخذها عنهم الآخرون . وكل من له إلمام بالتاريخ الإسلامي وبمرحلة بداية إنتشار الدعوة ، يعرف الحاجة الملحة لمثل هذا النشاط في مثيلة تلك الفترة. وكما أصبح واضحاً في ما بعد ، فإن من أهم الأسباب لحروب "الردة "في خلافة سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه هي قلة تفقه غالبية شعوب الجزيرة العربية بمعاني وأغراض دفع الزكاة ومكانتها العالية ضمن أركان وتعاليم الإسلام.

وكان من نصيب جنوب شبه الجزيرة العربية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاها إهتمامه وعنايته بإرسال الوليد – المعروف في التاريخ بلقب المهاجر إبن أبي أمية إبن المغيرة المخزومي – أحد أصهاره ، للقيام بالمهمة المذكورة آنفاً . وتذكر بعض الروايات بأنه كان موجوداً في صنعاء خلال فتنة الأسود العنسي "الكذاب"– ولكن يختلف الطبري عن هؤلاء في قوله بأن المهاجر بن أبي أميه لم يتمكن من مغادرة المدينة المنورة نحو الجنوب إلا بعد تولية سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه أمر الخلافة والذي ولاه لقتال المرتدين في اليمن وفي أراضي قبائل كندة .

الردة والمرتدون

ولا يخفى على الجميع أن النجاح العظيم الذي أحرزته رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم في السنوات الأخيرة من حياته ، وبالخصوص بعد فتح مكة ، كان من العوامل التي شجعت بعض الكذابين على إدعاء النبوة وعلى رأسهم مسيلمة ("الكذاب") بن حبيب الحنفي في اليمامة، والأسود بن كعب العنسي في صنعاء . ولكن بينما مسيلمة كان يريد أن يكون شريكاً في الأمر ويطالب بمناصفة الأرض، فالعنسي رأى نفسه نبياً منافساً ، وإستطاع بمزيج من الدجل واللعب على العواطف القبلية وخاصة على نفر من رؤساء العشائر الذين أصبحوا، وفي مواطنهم، مرؤوسين في مجموعة من الأمور من قبل عمال النبي صلى الله عليه وسلم . فلما ظهر أمر العنسي بعد إستيلائه على صنعاء ، لبت مجموعة من هؤلاء ومن بينهم بنو عمرو بن معاوية الكنديون ، دعوة العنسي ، وعندما قتل العنسي فجأة على يدي بطانته وبتعاون من زوجته آزاد الفارسية ، أنقلبت خطط حلفائه من المرتدين على أعقابها إذ كانوا ينوون القيام بمواجهة مسلحة فاصلة مع سلطة المدينة المنورة – منذ فترة ما .

ويذكر الطبري أنه عندما أعلن خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين صفوف المجتمع في حضرموت ،فرح رؤساء بني عمرو بن معاوية فرحا وأحتفلت نساؤهم بتزين أنفسهم بخضاب الحنة، كما كانت ، ولا زالت إلى يومنا هذا، عادتهن في مناسبات الفرح. فمثلما لعبت نيران فتنة الردة وإرتفع لهيبها بين صفوف الضالين وتناقلت أخبار إنتشارها ، زاد بالمقابل عناد رؤساء كندة على التعاون مع عمال المدينة المنورة . وقد أراد الله سبحانه وتعالى في حكمته البالغة أن يقمع شوكتها (أي حركة الردة) والقضاء عليها عن بكرة أبيها، إذ بايع المؤمنون سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم و" ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم" – صدق الله العظيم.

وقد إستطاع الخليفة الصديق بعزمه وحزمه وبعد نظره بالتغلب على من كان يقترح من الصحابه على ترك الممتنعين عن دفع الزكاة شأنهم مقتديين في الغالبية، وذلك إضافة إلى بعض عوامل أخرى ، بالحديث النبوي الشريف :"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله "– فأقنعهم الصديق رضي الله عنه بتفسيرة لخاتمة هذا الحديث الشريف بأن الزكاة حق المال، ثم بقوله المشهور المعبر عن إصراره على قتال

المرتدين ومانعي الزكاة مما لا يترك ريباً أو تردداً في قلوب البقية وهو : "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فالزكاة هي حق المال والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلهم عليه ".

ونعلم من هذا أن لأبي بكر رضي الله عنه يعود الفضل الأكبر في فتح أبواب المجد أمام المسلمين ثم هديهم نحوه ، ولو تأثر أبو بكر رضي الله عنه بآراء بعض الصحابة في تلك الفترة الحاسمة ، لما عرفنا ماذا كان ينتهي عليه أمر مصير التاريخ الإسلامي إلى يومنا هذا .

آثار حروب الردة على تاريخ حضرموت

وبما أنه كانت لحروب الردة نتائج بعيدة المدى على مسار التاريخ الحضرمي في القرون اللاحقة وحتى عصرنا الحالي ، وفي تشكيل بيئة المجتمع في حضرموت وصقل شخصيات رجالها، فإننا نسرد ببعض التفصيل حوادث هذه الفترة التي أعلنت بصفة نهائية القضاء على سيادة حمير وكندة التقليدية في مجتمعات شبه الجزيرة العربية ، وفتحت أمام رجالها أبواباً أخرى للإنجازات الشامخة خلال عصر الفتوح ومن بعدها في ميادين عسكرية وغيرها. وبما أن من أهداف هذا السعي من قبلنا تغطية بعض الأحوال والإنجازات في تاريخ الحضارمة في مهاجرهم ، فسوف نحاول أن نذكر ما نستطيع عنه في أماكن مناسبة إن شاء الله . ولنعد للحديث عن الردة في حضرموت .

فعندما تأهب الصديق رضي الله عنه لقتال المرتدين ، الملحدين منهم ومانعي الزكاة ، وذلك على أساس أن الإسلام لا يفرق بين الصلاة والزكاة ، قام بتكوين أحد عشر لواء وضعت تحت قيادة عسكريين مشهورين من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبي جهل والعلاء بن الحضرمي والمهاجر بن أبي أميه وعرفجة بن هرثمة وغيرهم من الفاتحين من أبطال الإسلام، ورسم لهم الخطوط الإستراتيجية العريضة للعمل بها وللتعاون والتنسيق بينهم ولتأمين خطوط المواصلات لنقل الأخبار والإمدادات بين بعضهم وبينهم والمدينة المنورة ، وأوعظهم وأصدر لهم تعليماته على الإلتزام بالسلوك الإسلامي المثالي والإستعانة في جميع معاملاتهم بالصبر ، والجدل بالطيب واللين، والإحترام للحياة والمال ، وبعدم إستخدام الشدة إلاّ بعد التفرغ من هذه الوسائل ، وعلى تزويده رضى الله عنه بصفة منتظمة ومتواصلة عن أخبار التطورات والتوجه نحو كل من الجبهات المعنية والعمل فيها .

زياد بن لبيد الأنصاري

وكان عامل حضرموت آنذاك زياد بن لبيد الأنصاري البياضي المبعوث أساساً من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن الجدير بالذكر هنا أن زياداً كان يقوم بدور العامل على تلك البطون الكندية أيضاً التي عين عليها المهاجر بن أبي أمية من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي لم يتمكن من مغادرة المدينة المنورة في حينه لظروف خاصة به حتى قيام حركة الردة .

وعندما تسلم زياد بن لبيد رضي الله عنه كتاب الخليفة الصديق رضي الله عنه بشأن ما نحن بصدده وهو في تريم ، جمع الناس في المسجد وأعلمهم عن محتويات الكتاب بما فيها عن الزكاة ، وتعليماته له بأخذ البيعة له. ويذكر المؤرخون أنه بينما لبي طلبه أفراد قبائل حضرموت والسكون ، كان ممن إمتنع بطون كندة وعلي رأسها ملوكها وكبارها بما فيهم الأشعث بن قيس الكندي وجمد ومخوص ومشرح وأبضعة وأختهم العمردة (وكلهم "ملوك " من بني وليعة من بني عمرو بن معاوية وأصحاب " محاجر" أو رقاع فسيحة للقرار فيها والحكم عليها) ؛ كما يضاف إلى هذه الأسماء السمط بن الأسود، فهو أيضاً صاحب محجر ، بينما تأخر عنهم شرحبيل بن السمط. ومن ثم ، بدأ الموقف بين الطرفين يتفاقم ويتصاعد يوماً فيوم . ومثل قصة الملكة بلقيس في عصر مملكة سبأ، فإن وجود العمردة كملكة في صفوف المرتدين تفيدنا بعض الشئ عن المكانة التي كانت تتمتع بها نساء كندة في المجتمع خلال تلك الفترة .

وكما طلب زياد بن لبيد المدد من المدينة المنورة، فبدأت قبائل كندة أيضاً في إستعداداتها الحربية لمجابهة تحديات المستقبل وفتحت حواراً مع المرتدين الآخرين في المناطق المجاورة بشأن تبادل العون ، وهي ترتقب نتائج الصدامات بين المسلمين والمرتدين في نواحي الجزيرة العربية الأخرى .

وقامت كندة أيضا بنشاط مكثف لكسب مودة وموالاة القبائل الأخرى في حضرموت والمناطق المجاورة الى جانبها في مجابهة الحكم الإسلامي حتى إستطاعت التأثير على مجاميع من " السكاسك " و "السكون " وبطن من بطون قبيلة "حضرموت"، وهو شذاذ،

دهاء سياسي وعسكري

ومن غرائب أمورنا اليوم بأننا نتعجب بصفة مستمرة على دهاء أمم الغرب في السياسة بينما نظل غافلين عن سيرة وإنجازات دهاة السياسة في تاريخنا ! وعلى سبيل المثال، عندما وصل عكرمة بلاد المهرة، وجد فيها المرتدين منقسمين في طائفتين متنافستين ، أحداهما مترابطة تحت راية زعيمهاً المصبح من بني محارب في موقع يقال له النجد ، بينما كانت الأخرى – وهي أقل تعداداً – في حبروت وعليها زعيمها شخريت من بني شخراة، وأمر هاتين الطائفتين أن كل منهن كانت راغبة من الأخرى ترك موقعها الأساسي والإلتحاق بها في مقرها ! فعندما علم عكرمة بذلك، فتح حواراً مع مجموعة شخريت ، وإستطاع بمزيج من الأغراءات والنصح والتخويف أن يستميلها إلى جانبه – من ثم، قام هذا الداهية من دهاة قريش بمحاولة مكثفة وبعدة أساليب ووسائل للتمكن أيضاً من كسب المصبح إلى جانبه ولكنه لم يفلح – فإستعان بمجموعة على الأخرى حتى كتب الله النصر للمؤمنين بعد مقتل المصبح .

وبعد إستقرار الأحوال في بلاد المهرة، دفع عكرمة بقواته نحو الساحل وثم توجه غرباً متخذاً الطريق الساحلي نحو أبين إذ كان أقل وعورة من كل النواحي مقارنة بالطرق البرية نحو حضرموت . وبعد وصوله الى طرف أبين، علم عن الأوضاع التي كانت تواجه زياد في حضرموت ، وعندئذ ، توجه شمالاً نحو مأرب وموقع صيهد الذي يأتي بعدها، ليلتقي بلواء المهاجر.

وبينما يذكر بعض المؤرخون أنه إستطاع أن يلتقي بالمهاجر في مأرب وشمالاً في صيهد – الذي يصفه الهمداني (المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجري) بالتقريب كما ذكر سابقاً) بأنه الحد الطبيعي لحضرموت – فقد كتب مؤرخون آخرون بأن المهاجر لم ينتظر لوصول عكرمة نظراً للإلحاحات التي تلقاها من زياد للوصول إليه ، بل إخترق الحدود الحضرمية ليجد أمامه الأشعث مرابطاً مع قوة ضخمة من بني كندة وحلفائهم في موقع يقال له الزرقان . وهناك قامت معركة ضارية دامت حتى الغروب . ومع وقوع الظلام فضلت قوات كندة أن تسحب بنفسها إلى أمان حصنها المنيع في النجير الذي كان يزخر بجميع أنواع المؤن الضرورية لكي يتصدى أمام أي حصار في تلك المنطقة القاحلة ولفترات طويلة من الزمن .

ويجب علينا أن نذكر هنا بأن الحصون، التي أشير إليها في القرآن الكريم أيضاً، لعبت دوراً بارزاً في التفكير الإستراتيجي في الجزيرة العربية منذ بادئ البدء، نظراً لجغرافية

البيئة القاحلة وحاجة متطلبات التجارة لإنشاء مراكز محصنة عبر الخطوط التجارية لحماية القوافل وتموينها بما يلزم بأسلوب منظم .

ويختلف العلماء عن موقع هذا الحصن ، كما هناك حصناً شرقي مدينة تريم في وادي حضرموت الذي يحمل هذه التسمية . ولكن من وصف الطرق الثلاثة التي تؤدي إليه، بإمكاننا أن نتفق مع الهمداني صاحب "صفة جزيرة العرب" بأنه كان في جهة غربية من شبام ، وليس على مسافة بعيدة من موقع العبر الموصوف عبر القرون الى يومنا هذا بلقب "بوابة حضرموت" من الشمال الغربي .

ولعل كان من تفكير الأشعث أن يرهق الجيش الإسلامي – الذي سيقوم حتماً بضرب الحصار عليه – خلال فترة وجيزة ، عبر القيام بغارات مباغتة وإستنزافية عليه من الحصن، في الوقت الذي هو مرابط فيه في منطقة ساخنة وقاحلة وإن كانت بعض خطوط المواصلات مفتوحة له . كما من المؤكد أنه كان يعتقد بأن بطون كندة وحلفائها القاطنة في مواقع على حدود اليمن الشرقية لن تتعاون مع العساكر الإسلامية حتى وإن لم تقم بمساعدة القوة الكندية الموجودة تحت لوائه في حصن النجير بالقيام بغارات عليها من الخلف كما كان ينتظر منها. ولكن سرعان ما إنقلب الموقف لظنون الأشعث أمام عزم الجيش الإسلامي وبالخصوص عندما وصل عكرمة بجيشه المظفر لتعزيز القوة المحاصرة وإستطاع أن يضيق عليه الحصار بسد آخر الطرق المؤدية إلى الحصن، علماً بأن الأشعث إلى ذلك الحين كان قد تمكن من منع العساكر الإسلامية من سد الطريق الثالث من الطرق التي أشرنا إليها ، وكان زياد بن لبيد والمهاجر قد سدا في وجهه طريقين منها. ومن هذه اللحظة ضاق الأمر أمام محاولات الأشعث، بينما أطلقت أيادي المهاجر لحرية التصرف حتى أنه تمكن من إرسال خالد المخزومي وربيعة الحضرمي نحو الساحل لقمع أي نشاط معاد يمكن القيام به من قبل أنصار ومؤيدي الأشعث .

وعندما بدأت معنويات ومحاولات الأشعث وأنصاره تتضائل أمام شكيمة وإرادة الجيش الإسلامي، إتفق رأي زعماء كندة وحلفائها على ترك مناعة الحصن في خلفهم ومواجهة العساكر الإسلامية في معركة حاسمة . وبعد إتخاذ هذا القرار ، قام كل فرد من كنده أتباعاً لتقاليدهم بقطع ناصيته كبرهان عزمه للإلتزام بالقرار المتخذ من أجل القيام بالقتال المستميت حتى النصر، كما رجز شعراء كندة أشعاراً بصوت معل لكي يسمعها المسلمون عما ينتظرهم مع شروق النهار . ورد عليها شعراء المسلمون بأبيات مماثلة .

وعندما أعلنت شروق الشمس بداية نهار جديد ، تدفقت كندة نحو خارج الحصن لإختراق الحصار على أمتداد مواجهات خطوط الطرق الثلاثة ، ولكن وبغض النظر عن المعركة الدامية التي إستمرت طوال النهار ، لم تتمكن كندة من تحقيق أهدافها وإضطرت لأن تعود مرة أخرى مع الغروب إلى مناعة الحصن، ساحبة معها من إستطاعت من الجرحى – ولقد أيقن الأشعث بعد هذه المعركة أن لابد له من التفاوض مع القوات المحاصرة ، ليس خوفاً على سلامة نفسه ورجاله فحسب ، بل لتواجد أعداد كبيرة من النساء والأطفال في الحصن. وحيث أن دماء غزيرة كانت قد سالت بين الطرفين، فلم تثمر محاولات الأشعث الخفية للوصول إلى تفاهم مع المحاصرين في كسب شروط لينة لجماعته ، بحيث منح الأمان للنساء والأطفال ولعشرة من الرجال فقط حسب قائمة أسماء متفق عليها مسبقاً بينه وبين قادة المسلمين. وبناء على هذه الشروط ، فتح الأشعث باباً من أبواب الحصن؛ غير أن الكنديين الموجودين (أو غالبيتهم) داخل الحصن لم يعلموا عن إتفاق الأشعث مع قادة الجيش الإسلامي ، لأن الأشعث لم يشملهم في الرأي خشية من عدم موافقتهم معه على الشروط التي قد يصل الوفاق اليها. ولذا ، نهض عدد كبير منهم للمقاومة وصد العساكر الإسلامية عن الحصن ، مسببين بذلك مذبحة دامية أخرى. وقد سلم الأشعث في هذه المعركة أو المذبحة بالرغم من أن إسمه لم يكن موجوداً في قائمة العشرة التي تم التفاوض من أجل حياتهم، وذلك لأن عكرمة نصح الآخرين بترك أمره –(نظراً لدوره كرسول مفاوض أدت مساعيه إلى الإستسلام وحقن الدماء)– بين يدي الخليفة الصديق رضي الله عنه . ويقول بعض المؤرخون أن عدد النساء والأطفال الذين ظهروا من الحصن بعد فتحه لم يقل عن الف ، بينما يذكر آخرون أن عدد السبايا الذين أخذوا من حضرموت إلى المدينة المنورة قارب الستة آلاف.

ولقد علق بعض المؤرخون أيضاً ممن ذكرناهم سابقاً بأن عكرمة كان متحيزاً في صف الأشعث لكونه زوج قتيلة (أخت الأشعث) والتي كان تزوج عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال زيارة الأشعث للمدينة المنورة في سنة الوفود ، والتي لم تتمكن من الوصول إلى المدينة المنورة قبل وفاته (صلى الله عليه وسلم). وقد إنتهى الأمر بعودة الأشعث وأخته إلى الإسلام .

ومن أخبار الأشعث خلال هذه الفترة ، أنه عند وصوله المدينة المنورة مع الأساري، فقد أطلقه الصديق رضى الله عنه بعد شئ من المعاتبة، كما وافق على زواج الأشعث من أخته أم فروة بنت أبي قحافة . إنه من المؤكد أن السلوك والأعراف حتى لذلك العصر لم تسمح بإلحاق أية مضرة بالرسول والمفاوض، ولكن بإمكاننا

أن نضيف هنا قياساً أن من الأسباب الرئيسية لهذه المعاملة اللينة لمثل الأشعث من قبل أبو بكر رضى الله عنه في هذه المرحلة ، تشير إلى بعض الأهداف البعيدة المدى التي كان ينظر اليها رضى الله عنه ببعد نظره، والتي عبر عنها خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ما بعد عندما ترجم عن نيته وعزمه عبر قوله الآتي : "والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ".

ولقد أختار الأشعث المكوث في المدينة المنورة حتى بداية عصر الفتوح ، والتي لم ينتظر لها العالم طويلاً . وقد لعب فيه هذا الزعيم الحضرمي الألوب دوراً بارزاً وإن لم تفلح مساعيه دوماً بنتائج إيجابية . فقد كانت القصيدة التي القاها في مدح "سيف الله" خالد بن الوليد رضى الله عنه وتسلمه مقابلها جائزة سنية، سبباً من أسباب أثارة غضب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على القائد المذكور . ولا يخفى على أحد دوره في التحكيم بين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان قبل معركة صفين ونتائج مساعيه. ولكنه على أي حال كان زعيماً مهاباً وصفه الإصفهاني ضمن الأربعة الذين كانوا مشهورين في الكوفة بالوجاهة وبحسن البشرة والطلعة والمنظر كما أضاف عنهم بأن كلاً منهم كان أعور !! – وقد وصفه الجميع بأنه كان من أجواد العرب قبل الإسلام وبعده – كما أنه شهد اليرموك والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند على رأس قومه وكذلك صفين الذي كان يومه على ميمنة سيدنا على كرم الله وجهه، وشهد أيضاً الحكمين بدومة الجندل ، وتولى أذربيجان. ومن أخباره أيضاً أن إبنه محمد كان ولي على طبرستان ، وإبنته كانت من زوجات سيدنا الحسن إبن على بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ويقال أن هي التي سقته السم الذي من أثره وافته المنية والله أعلم . وعندما توفي بعد وفاة سيدنا علي كرم الله وجهه بأربعين يوماً ، صلى عليه الحسن رضي الله عنه ، علماً بأنه قد شك البعض في هذا الأمر – ومنهم إبن منده – معتقداً بأن الحسن لم يكن موجوداً في الكوفة آنذاك بل في المدينة المنورة .

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي

ولقد إشتهر من بعد الأشعث بعض ذريته مثل حفيده الداهية والقدوة للقائد المؤمن ، الهمام والشهم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي (المتوفي سنة ٨٥هـ/٧٠٤م)، وهو دون شك يعد ضمن ذلك الرعيل من الغزاة والمجاهدين البواسل في سبيل الله ، الخالين من غالب عوامل دناءة الأنانية ، الذين كانوا إستطاعوا في يومهم أن يجعلوا صحف التاريخ تجري كتيمة حائرة وطائعة وراء صدى نعال خيولهم للتمكن من مشاهدة وتسجيل إنجازاتهم الرائعة والمدهشة والمبدعة أولاً بأول بحروف من الطلاء

إطلاع الأجيال القادمة عنها ، بحيث لا يكون لديها من ريب أو شك أو تحفظ في مصداقية كل ما يذكر وتسمع من عجائب شأنها .

وكما جده ، فلقد لعب" إبن الأشعث"(كما كان يلقب) هذا ، دوراً بارزاً في الفتوحات الإسلامية الأولى في الشرق إلى أن وصلت أعلام مقدمة جيشه المسمى "جيش الطواويس" كما ذكره الطبري ، وذلك بسبب ما أنفق على تجهيزه ، إلى حدود الهند الكبرى سنة ٨٠هـ/٦٩٩م . إلا أن الظروف وحكمته السياسية وضغوط أنصاره كلفته على خلع طاعة رئيسه الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي كان يكن له الكراهية الشخصية كما ذكره البعض، والذي كان في سنة ٨١هـ ، وبذلك ، الخروج على الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان أيضاً. وقعت بينه جيوش الخلافة العديد من المعارك ، إنتصر فيها عبد الرحمن "إبن الأشعث" وإستولى من خلالها على سجستان وكرمان وفارس والبصرة . ثم خالفه الحظ وخسر البصرة، ولكنه إستطاع الإستيلاء على الكوفة وعليها يومذاك عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي (حليف حرب إبن أمية الذي سبق ذكره) . – وقامت بينه – أي عبدالرحمن إبن الأشعث – وجيش الحجاج معركة "دير الجماجم" المشهورة التي دامت مائة وثلاثة يوماً ، وإنهزم فيها عبدالرحمن. وبعدها ، خرجت جميع المناطق من تحت سيطرته الواحدة تلي الأخرى ، حتى أصبح لاجئاً عند "رتبيل" صاحب الترك في بلاد الصغد الذي سبق وكان عامله عبدالرحمن باللين وصالحه لأسباب عسكرية وسياسية ، مثيراً بذلك آنذاك نقمة الحجاج والتي كانت من الأسباب الرئيسية التي أرغمته على الخروج عليه. ولكن إقتضت مصالح "رتبيل" السياسية تحت تهديدات وإغراءات الحجاج على الخيانة به ، وأرسل برأس عبدالرحمن إلى الحجاج بعد أن توفي كما قيل بسبب سقوطه من فوق قصر ، أو بمرض السل كما ذكره بعض الآخرون . والغريب في أمره أن "صاحب المحبر "يروى عنه بأنه كان "أعرق العرب في الغدر" إبتداء بجد جده معديكرب ، كما كان يلقب "ضرطة الجمل" منذ هزيمته ليلاً على يدى الأزارقة بعد أن تفاخر بأنهم " أهون عليى من ضرطة الجمل ."

شرحبيل إبن السمط الكندي

ولقد إشتهر أيضاً من بني كندة لذلك العصر السمط بن الأسود (ويقال الأعور) الكندي الذي كان واليا في الشام لفترة ما من قبل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما قد إشتهر معه إبنه شرحبيل الذي كان على المدائن ، ثم تولى إمارة حمص لمعاوية إبن أبي سفيان. وحيث أن شرحبيل كان يعد من أعداء جرير بن عبدالله البجلي ، رسول سيدنا علي إبن أبي طالب كرم الله وجهه إلى معاوية وفي منزلة به ، فإستخدمه معاوية عندما علم بذلك ، مستغلا هذه العداوة لمناقضة جرير ومساعيه الموفقة لغاية تلك الساعة في كسب تأييد الناس إلى صف على رضي الله عنه مثبتاً بأن لم يكن لعلي دوراً في مقتل عثمان رضي الله عنه . ولقد

كان إستطاع معاوية أن يستميل شرحبيل إلى ذلك بمواطاة ناس شهدوا أمامه بأن علي مسئولا عن مقتل عثمان رضي الله عنهما . ولقد دفعته كراهيته الشخصية لجرير إضافة إلى قول الشهداء الموجهين من قبل معاوية كما سلف الذكر على الإقتناع العاجل ، وبالخروج إلى مدائن الشام خابراً بذلك ومندباً ومطالباً بدم عثمان رضي الله عنه ، ومحرضاً الناس لقتال علي كرم الله وجهه. وعن مساعيه هذه ، يقول أحد شعراء كندة وهو النجاشي :

" شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا   ولكن لبغض المالكي جرير. "

توفي المذكور سنة ٤٠هـ/٨٦٠م .

معاوية بن حديج السكوني

ولقد ظهر من السكون أثناء هذه الفترة أمر معاوية بن حديج (وقيل خديج سهواً) – الذي أيضاً لقب كندياً وخولانياً وتجيبياً ، وهو في الغالب صحابي – والسبب لشهرته في بادئ البدء مساهمته في جيش سعد إبن أبي وقاص عندما تقدم المذكور على العراق ، وثم في فتح مصر ، حيث أوفده عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه بنبأ فتح الإسكندرية ، وولاه أمر الخطط في جيشه . وعندما قتل عثمان رضي الله عنه في شهر ذي الحجة سنة ٣٥هـ/٦٥٦ ، بايعه شيعة الخليفة الراحل على الطلب بدمه ، كما يروي بأن مقتل محمد بن أبي بكر (واليا على مصر من قبل علي رضي الله عنه) كان على يديه بعد قتل كنانة بن بشر التجيبي (أحد قتلة عثمان رضي الله عنه والمشهورين في القتال) ، ويومئذ قائداً على جيش محمد بن أبي بكرحيث قال : "أيقتل كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر !"– كما يقال أنه" جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار "– ولقد ولاه معاوية على مصر سنة ٤٧هـ/٦٦٧م وعزله سنة ٥٠هـ /٦٧٠م، كما قد ولي على شرطة مصر ثم الإمارة لفترة ما إبنه عبد الرحمن ، وحفيده عبد الواحد بن عبدالرحمن ، وكذا عبدالله بن عبدالرحمن .

ويذكر عنه – أي معاوية بن حديج – بأنه شهد ثلاث غزوات غرباً إلى إفريقية كما غزا الحبشة مرة. ولقد قالت فيه أم الحكم (أخت معاوية) عندما رأته :"تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. "ومات المذكور سنة ٥٢هـ/٦٧٢م وقيل بعدها .

حصين بن نمير السكوني

ولقد إشتهر أيضاً من السكون وضمن أقران عصره حصين بن نمير السكوني ، وذلك بدوره

الكبير في غالب الفتن والمحن التي أبتليت بها الأمة الإسلامية منذ وفاة المصطفى صلي الله عليه وسلم إبتداء بمساهمته في جيش سعد إبن أبي وقاص عندما خرج على العراق، والذي كان رافقه فيه مع أقوامهم ضمن كبار أعيان الحضارمة معاوية بن حديج السكوني الذي سلف ذكره ، وشداد بن ضمعج الصدفي ، وأبو سبره بن ذويب الجعفي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وغيرهم مع رجالات عشائرهم .

ولقد لعب المذكور دوراً بارزاً تحت إمرة عبيدالله بن زياد على جانب بني أمية في مقاومة وبالذات مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في كربلاء (الموقع الذي قيل عنه بأن إسمه مكون من تركيب كلمتي "كرب" و"بلاء") ، ثم في غزو الحجاز سنة ٦٣هـ /٦٨٣م بمعية مسلم بن عقبة ، الذي إشتهر في التاريخ بأفاعيله القبيحة في المدينة المنورة بعد وقعة الحرة التي وصفها بعض المؤرخون ومنهم المدائني، بالتفصيل، وذكر بأنه وجماعته لم يتراجعوا عن المحرم والمكروه "حتى قيل أنه حبلت ألف إمرأة في تلك الأيام من غير زوج فالله أعلم !" – ولاحول ولاقوة إلا بالله . وعندما مات مسلم بن عقبة في طريقه إلى مكة قاصداً قتال عبدالله بن الزبير وشعر الموت يدنو به ، فإستخلف وفقاً لتعليمات يزيد بن معاوية ، حصين بن نمير ، الذي كان يسيء الظن فيه معتبراً أنه مثل " إبن بردعة حمار ! " .

وعند وصوله مكة المكرمة ، حاصرها حصين حصاراً شديداً مستخدماً المنجنيق ، ومن هذه الآلات الحربية "أم فروة" التي إشتهرت في الأشعار الخاصة بهذا الواقع وحتى أصيبت الكعبة المشرفة بأثر الحجارة والنار . ومن هذه الأشعار :

" كيف ترى صنيع أمر فروة   تأخذهم بين الصفا والمروة . "

وبينما هم في ذلك ، أتى خبر نعي يزيد بن معاوية من الشام . فإجتمع الحصين بعبد الله إبن الزبير وإقتنع بأنه أحق الناس بالخلافة بعد يزيد فدعاه بمرافقته إلي الشام قائلاً : "فو الله لا يختلف عليك إثنان " .

وعندما لم يقتنع به إبن الزبير وأغلظ في القول ، غفل راجعاً إلى الشام قائلاً متعجباً : "أنا أدعوه للخلافة وهو يغلظ لي في المقال " و "أعده بالملك ويتوعدني بالقتل !" وعندما سمع إبن الزبير ذلك ، تراجع وأرسل إليه سائلاً منه أن يأخذ له البيعة في تلك الناحية ، فكانت إجابته عليه : "إن من يبتغيها من أهل هذا البيت بالشام لكثير !" – وإتفق في طريقه مع مروان بن الحكم (الأموي) وإستطاع أن يتقرب إليه .

ولقد حضر حصين بن نمير وقعة عين وردة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م مدافعاً عن عبيدالله إبن زياد عندما قام سليمان إبن صرد بمطالبة ثار الحسين رضي الله عنه ، كما كان على ميمنة عبيد الله إبن زياد يوم معركة (شاطئ نهر) الخازر على مقربة من الموصل عام ٦٧هـ/٦٨٦م ، الذي قتل فيه المذكور على يدي إبراهيم إبن الأشتر النخعي ، كما قتل الحصين ، بعد أن كان إنتصر عند بدء المعركة في ذلك اليوم على ميسرة أهل العراق . ولقد بعث برأسيهما إلى إبن الزبير ، فنصبا بمشهد الجميع بمكة المكرمة (قيل عند عقبة الحجون) ، وبعدها في المدينة المنورة . ولكن إستمرت ذريته لفترة ما تلعب أدوار إدارية هامة أثناء عصر الخلافة الأموية حيث عين إبنه يزيد بن حصين على حمص من قبل الخليفتين ، سليمان بن عبدالملك ، والزاهد عمر بن عبد العزيز ، كما ولى عليها حفيده معاوية بن يزيد بن حصين .

عبدالله بن يحيى الكندي

ولعل أبرز من نافس الأشعث وهؤلاء الآخرين على الشهرة في التاريخ الإسلامي لهذا العصر من الكندين وغيرهم المذكورين من أبناء المنطقة ، عبدالله بن يحيي الكندي ، الذي طالب بالخلافة في عصر الخليفة الأموي مروان بن محمد الملقب بـ "الحمار" . ولقد أعلن عبدالله بن يحيى خروجه في سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م ، وإستفحل وعظم أمره حتى أحتل صنعاء وإنتصرت جيوشه على جيوش الخلافة وإحتلت المدينة المنورة ، حتى تداركه الأمر وقتل . وبإمكاننا أن نذكر ، ولو إختلف بعض القراء مع إستنتاج تحليلنا هذا، بأن حركة عبدالله بن يحيى كانت أخر محاولة من قبل مجاميع كندة لإستعادة أمرها وسلطتها في الجزيرة العربية إلى ما كانت عليها في الماضي .

ولقد كان عصر الفتوحات الإسلامية الأولى عصراً مملوءاً بإنجازات رجالات قبائل الجزيرة العربية بما فيها قبائل حضرموت من كندة وحضرموت وفروعها وغيرهم . ولعب رجالها دوراً بارزاً خلال هذه الفترة في جميع الأزمات السياسية والأنشطة المتعلقة بالفتوح والحكم والإدارة بين مسافات تمتد من نهر "الإندوس"(السند) (INDUS) في الشرق إلى جبال البرانس " ("البيرينيه")(PYRENEES) في إسبانيا، وتولوا خلالها مراكز هامة كأمراء وولاة على مناطق ، وعلى الجيوش والشرطة ، وكقضاة وعلماء ، ومازالت آثار إنجازاتهم محفوظة وباقية في السجلات والصحف وكتب التاريخ ، وضمن قوائم الولاة والقضاة وغيرهما مثل ماهو وارد في كتاب "الولاة والقضاة" لمحمد بن يوسف الكندي (المتوفى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م) و"تاريخ قضاة قرطبة " لمحمد بن الحارث الخشني و"تاريخ قضاة الأندلس" لأبي الحسن النباهي (المالقى الأندلسي المتوفى في أواخر القرن الثامن للهجرة) و "الخطط"

أي – "المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار" لأحمد بن على المقريزي (المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، كما في أشكال أخرى لتخليد الذكرى ، وعلى سبيل الذكر ، فإنه مثير للعجب بأن هناك اليوم فندقاً فخماً في مدينة سوسة في تونس تخليداً لإسم حضرموت – وكان عسكر من أبنائها قد نزلوا في سوسة وجوارها في طريقهم إلى المحيط مع الجيوش الإسلامية الغازية خلال عصر الفتوحات الإسلامية الأولى – وهذا في اليوم الذي لا يوجد في حضرموت بذاتها فندقاً مماثلاً ! كما مجدت الكتب والشعراء الأعمال الشامخة والإنجازات العالية لأبنائها في المهاجر ، والمعبرة بقول شاعر منهم وهو يزيد بن مقسم الصدفي الذي قال مفتخراً:

"ياحضرموت هنيئاً ما خصصت به   من الحكومة بين العجم والعرب
في الجاهلية والإســـــلام يعرفه   أهل الرواية والتفتيش والطلب ."

كما قال آخر:

"لقد ولى القضاة بكل أرض   من الغر الحضارمة الكـــــرام
رجال ليـــــس مثلهم رجالٌ   من الصيد الجحاجحة الضخام."

وبينما سطع ولمع نجم الحضارم في سماء مواطنهم الجديدة خلال تلك الفترة ، فإن حضرموت عانت وما زالت تعاني من إفتقارها إلى صفوة أبنائها، وإنتشرت فيها الفوضى والفقر وأصبحت منذ قيام حركة عبدالله بن يحيى الكندي ملجأ ومأوى للشخصيات والحركات البعيدة عن مسار النشاط الحيوي والحضاري. فقد ولى هذه المنطقة إهتمامها الخوارج والإباضية والقرامطة وغيرهم كما عرف عن أهلها في ما بعد أنهم أهل ضنك وشدة ، ويقول زكريا بن محمد القزويني (٦٠٥هـ/١٢٠٨م إلى ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) – وهو صاحب "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" و"آثار البلاد والعباد" وغيرهما من التاليفات مما جعلته يلقب بلقب "هيرودوتس القرون الوسطى" (HERODOTUS) – (وهو مؤرخ ورحالة يوناني لقب أباً للتاريخ بسبب منهجه التدويني وما شملت كتاباته من أخبار وأحوال وأساطير الأمم المعروفة في عصره ، والذي عاش بين سنتي ٤٨٤ و ٤٢٥ قبل الميلاد) و "بليني (PLINY) العرب" – وذلك نقلاً عن البكري بأن حضرموت "تنبت الأولياء كما تنبت البقل" ، وإنه لاريب ولا شك فيه عن الدور الكبير الذي لعبته هذه الشخصيات وطرقها عبر القرون في مقاومة وإزالة العديد من المحرمات والأعمال القبيحة والمباحة لدى هذه الحركات ، التي كانت أصبحت منتشرة في ربوع البلاد من حضرموت ويافع وغيرها ، كما سيورد ذكرها بالإختصار في ما يلي.

وصول العلويين إلى حضرموت

وعام ٣١٧هـ/٩٢٩م ، في عهد الخليفة العباسي ، المقتدر ، أراد الله سبحانه وتعالى أن يولي هذه الرقعة المحتاجه من المعمورة نسبة من عنايته بإرسال السيد أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن جعفر الصادق رحمة الله عليهم أجمعين من البصرة ليكون السبب في إنتعاش الدين والإصلاح والمعارف في أطنابها. ونجح المذكور طيب الله ثراه وكثيرون من أبنائه في القيام بدور بارز في المجتمع المحلي وفي المهاجر الحضرمية، حتى أزالوا بعض المظالم الناتجة عن الجهل وسوء الإدراك في كثير من الأمور والمفاهيم. كما إستطاع كثيرون من هؤلاء عبر قرون متواصلة أن يكونوا السبب في إعتلاء سمعة وطنهم في العديد من المهاجر الحضرمية كما سيأتي ذكره مع سير الآخرين من أبناء حضرموت من ذوي إنجازات مماثلة في فصول أخرى إن شاء الله.

ولا يسعنا هنا أن نتجاهل أيضاً أهمية الحوادث التاريخية وما ترتبت عليها من عواقب جعلت كثيرين من الحضارم يتجهون نحو الهجرة لأسباب مختلفة. ولقد أدت هذه الهجرة إلى خلو حضرموت من غالبية عناصر الرئاسة والصدارة التقليدية ، ومن أهل الحل والعقد، ومن المهمين من أعوانهم وأتباعهم، وتركت عجزاً وفراغاً كبيراً في المجتمع الحضرمي المحلي.

ولكن إستطاع هؤلاء السادة العلويون من أبناء السيد أحمد بن عيسى (الملقب "المهاجر") رحمه الله مع إنتشار ذريته وخلال فترة وجيزة، وفي جميع ربوع البلاد ، تكوين قواعد أو مراكز لنشاطهم في أماكن استراتيجية (لذلك الوقت) في شكل أربطة ومدارس دينية و "حوط" – ("الحوطة" هي منطقة كبيرة حوالي قبر ولي مشهور تعامل كحرم وتشمل أراضي وأوقافا لتغطية النفقات على رباطها ومدرستها وأنشطتها الأخرى، ولا يجوز فيها أي خلل بالأمن أو الأخذ بالثار. ويرأس هذا الكيان كبير من ورثاء الولي المدفون. والحوط هذه في الغالب للسادة العلويين. وعلينا أن نقر هنا بأن بعض هذه الكيانات قد لعبت دوراً إجتماعياً كبيراً عبر العصور وإلى يومنا هذا في نشر الأمن والمصالحة والوعي الديني والأخلاقي بين القبائل والخاصة والعامة . وكما هو بين ، فإن نشاطهم الإصلاحي هذا كان على مناهج أهل التصوف ، ولكنه في نفس الوقت متمسك بقدر الإمكان بالقرآن والحديث والسنة وبعيد في الغالب إلا نادراً عن تصرفات البدع والشعوذة التي حاول أن يستعين البعض بنشرها بين السذج والجهلة لتحقيق أهداف ومطامع شخصية . وقد أدى هذا الدور الإجتماعي بدرجة ما إلى تغطية هذا الفراغ في القيادة الذي كان نتج بسبب هجرة الزعامات التقليدية البارزة من المنطقة خلال عصر

الفتوحات الإسلامية الأولى وما تلاه . ولقد تيسر لهؤلاء ذلك ، ليس عبر التنافس المباشر مع القوى التقليدية الموجودة ، إنما بتخفيض نسبة إمكانية التصادم معها بالتحرى في نهج متوازٍ لها وبالتزامن معها بقدر الإمكان، مستمدين روح وقوة نفوذهم من نسبهم إلى سيدتنا فاطمة البتول رضي الله عنها وسيدنا علي كرم الله وجهه.

وإن يكن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد ذكر للأشعث بن قيس عند وفوده إليه في حديث سبق ذكره وهو : "نحن بنو النضر بن كنانه لا نقفوا أمنا ، ولا ننتفى من أبينا" – وما تضمنته خطبة حجة " الوداع " أو " البلاغ" وغيرها من تعليماته الواضحة المنيرة حيث قال مما قال :". تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين أخوة " وأن "لا فضل لعربي على عجمي ولا لأعجمي على عربي ... ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر علي أسود إلا بالتقوى" ، وكذا بأنه " ليس لأحد فضل على أحد إلا بدين أو عمل صالح . " وكلها تأييدا لما أورده سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " – (صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم) . كما يقول تبارك إسمه في كتابه رداً على شفاعة نوح عليه السلام في ولده لإنقاذه من الطوفان : " إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين " . وأيضاً :" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " – (صدق الله العظيم) .

ولكن بما أن هؤلاء العلويون كانوا الوحيدون تقريباً في المجتمع الحضرمي الجاهل في يومه الذين يهتمون بالعلم والتفقه (ولو بدرجات تختلف من شخص إلى آخر) مقارنة بأقرانهم من الجماعات الأخرى من حملة السلاح وأصحاب التجارة والحرف والصنع والزراعة – وبما أن الدين الإسلامي يعد " العلماء ورثة الأنبياء" كما يجعل من شروط شهادة أن محمداً رسول الله محبته صلوات الله عليه بدرجة أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين ، ويحبب إلينا كل ما أحبه ويكرهنا كل ما أكرهه، وبما أن لا يوجد هناك مجالاً للشك عن محبته صلى الله عليه وسلم لإبن عمه (الذي قال له عندما أخلفه على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي " – أخرجه مسلم والترمذي والإمام أحمد وغيرهم – وأيضا "من أحب عليا فقد أحبني ، ومن أبغض عليا فقد أبغضني ، ومن آذي عليا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله"– أخرجه صاحب" المستدرك "الحاكم والهيثمي وغيره) ، ولإبنته من "خير نساء العالمين "ومن " أفضل نساء أهل الجنة" وأحب

النساء إليه (والذي قال فيما قال فيها : "حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، خديجة بنت خويلد ، فاطمة بنت محمد ، وآسية إمرأة فرعون" – أخرجه الترمذي والإمام أحمد وغيرهما) ، ولولديها و" ريحانتيه" السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما (الذين دعا لهما صلى الله عليه وسلم بقوله : "اللهم إني أحبهما فأحبهما"– رواه البخاري وغيره)– وإضافة إلى هذا ، فهناك آية " التطهير "الكريمة أيضاً في سورة الأحزاب الموجهة لـ "نساء النبي " كما هو واضح مما يلي :"ينساء النبي لستن كأحد من النساء إن إتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلوة وءاتين الزكوة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا." – (صدق الله العظيم) ، والتي تشمل في إشارتها ، إضافة إلى النبي عليه أفضل الصلاة والسلام وزوجاته ، بقية أفراد أسرته أيضاً من أولاد وبنات ، وعلى رأسهم فاطمة البتول وزوجها علي ، والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين ، كما هو وارد في عدة تفاسير بناء على ضوء الأحاديث . وللمزيد من التعمق في ضروب معان للتطهير وتفسيره ، فلقد ذكر الله في خاتمة الآية السادسة من سورة المائدة التي فيها شروط الطهارة والتيمم بأن :"... ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون"– صدق الله العظيم .

وبالإختصار ، فلما كان في هؤلاء من فضل وخير ألخ – وبما أن بيت النبوة ومن يتقرب إليه قد قدموا عبر العصور مسيرة طويلة من الشهداء الأتقياء وليس لسبب غير إعتلاء كلمة الله ونشر الوعي الديني والعدالة والطمأنينة وفقاً لرغبات الأمة في شتى ربوع العالم ، فإن إحترام ومحبة ذريتهم المبنيتين على العلم وتعليمه والصلاح والخير والزهد والورع والقدوة الحسنة اللائقة للإنتساب بمقام النبوة وأشرف وأطهر خلق الله ليعتبرين ناتجان منطقيان بل طبيعيان ! – فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المنير : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"– (سورة الأحزاب). كما نقول بأنه ، يجب أن ينطبق هذا التقدير والإحترام ، على الآخرين أيضاً من حملة هذه الصفات العالية المحمودة والمحببة لدى النبي المختار صلى الله عليه وسلم في دينه وتقليداً لمسلكه وأسوته ومثله المنقطع النظير في جميع شعب الحياة .

ولقد سولتني نفسي – وآمل من ذلك خيرا إن شاء الله – أن أضيف هنا مايلي من مناقشة مختصرة بناء على بعض الدلائل العلمية المتيسرة لنا أنه ولو بإمكان الحسب والنسب والإمكانيات المادية والمجتمع والبيئة وطقس الإقليم أن تلعب دوراً مؤثراً في كيفية نشوء وتربية وتهذيب الفرد كما ذكره العلامة عبد الرحمن إبن خلدون رحمه الله في "المقدمة"

لتاريخه ، والذي نضيف إليه من باب النقاش هنا ما عبر عنه الفيلسوف وخبير علم النفس التحليلي السويسري " كارل يونغ" (CARL JUNG) الذي عاش بين سنتي ١٨٧٥م و١٩٦١م – في نظريته عن " العقل اللاواعي الجماعي " ، التي تعتبر بأن لدى شعوب أنماط قديمة من تصورات أو إنطباعات جماعية مشتركة ، مأخوذة عن تجارب أو مشاهدات أو عبر الإستماع ، ومدفونة في أعماق الحس أو العقل اللاواعي ، التي تتناقل وتتوارث ، كما تمارس شئ من التأثير والتحكم في الفكر والسلوك الجماعي . ولكن بينما هو يزعم بأن وراء اللاشعور الفردي اللا شعور الجماعي . فإننا نقول بأنه من المنطقي أيضاً أن نأخذ العكس في الإعتبار ، حيث لا تتكون الجماعات إلا من أفراد ، ولا تتوسع حلقات المتأثرين بمثل هذه الحالات وتنتشر إلا عبر التناقل ! وإنما تتكون الشخصية في الغالب بالتعليم والتهذيب والتربية والتثقيف التي تستوعبها عبر ملاحظتها للأمثلة والقدوة الحسنة وإستدراكها وإتباعها والعمل بها بناء على ما قال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه الذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" – فعنصر الفضل هو في الغالب حاصل هذه التربية وتطبيقها في الحياة وفي معاشرة ومعاملة الغير دون تردد أو خوف وفقاً للقيم الصالحة المعترفة بها في الدين وإجتماعياً .

إذا ، فإن ولو للحسب والنسب تأثير ما كما سلف في تكوين شخصية الفرد وفقاً لما ذكرنا أعلاه ، والمعروف طبياً الآن أن للجينات (GENES) أو الموروثات أيضاً دور ما في هذه العملية، وهو غير فعال وغير محدد ، كما يختلف في نسبة مدى تأثيرها في تكوين الشخصية من مثل إلى آخر ، ولكنه بإمكاننا أن نقر بنسبة وافية من اليقين بناء على ما سلف وغيرها من العوامل ، بأن الفضل لا ينتقل بطريقة مباشرة من أب لإبن بسبب النسب أو الحسب كما قد أوضحناه عبر قصة نوح عليه السلام وإبنه حسبما ورد في القرآن الحكيم ، إضافة إلى تواجد العديد من الأمثلة في فجر التاريخ الإسلامي (وإلى يومنا هذا) عن الفرد الذي كان كافراً أو جاهلاً وظالماً وفاحشاً وأخيه أو أخته أو زوجته أو إبنه أو إبنته من المسلمين الأفاضل والأخيار ! – ثم ما بال القارئ من المقارنة بين أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى سبيل المثال سيدينا الحمزة والعباس رضي الله عنهما بأبى لهب الملعون في القرآن! – لقد صدق الله في قوله الكريم في سورة يونس " قد جاءكم الحق من ربكم فمن إهتدى فإنما يهتدي لنفسه" وفي سورة الكهف إنه "من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً"– (صدق الله العظيم) .

ولقد قال شاعر عن أبى لهب أحد صناديد قريش وسلمان الفارسي المملوك والدخيل على المجتمع القبلي في الجزيرة العربية :

" لعمرك ما الإنسان إلا إبن دينه　　فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سـلمان فارس　　وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب "

كما يروي إبن هشام في " السيرة" عن سلمان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال فيه يوم الخندق بأن " سلمان منا أهل البيت ".

وبإمكاننا هنا أن نعتبر أيضاً من جانب آخر مثل أستراليا التي إستخدمت تاريخياً كمنفى من قبل الحكومة البريطانية لأخطر مجرميها – فهل هذا يعني أن الشعب الأسترالي الحالي يتكون من مجرمين محترفين ! وننصب هنا ما قال محمد بن الربيع الموصلي :"

" الناس في صور التمثال أكفاء　　أبوهـم آدم والأم حواء
فمن يكن منهم في أصله شرف　　يفاخرون به فالطين والمـاء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهـم　　على الهدى لمن إستدعى أدلاء
وقدر كل إمرىء ما كان يحسنه　　والجاهلون لأهل العلـم أعداء
ففـز بعلم تعش حيا أبداً　　الناس موتي وأهل العلم أحياء ".

وبالإختصار ، فالذي نود أن نثبته بناء على ما سبق أعلاه أن الدين الحنيف لا يعترف بفضل يورث نسباً أو حسباً ، إنما بصالح الأعمال وفقاً لتعاليمه وشريعته الغراء وقيمه. وقد شكل هذا العامل في الماضي كما ولا زال يعد عنصراً هاماً في نشر الدعوة الإسلامية والإقبال عليها بالتوفيق في جميع أنحاء العالم حسبما هو مشهود. ولكن مع كل ذلك ، هل يصح لنا أن نتجاهل قط وفي أي حالة من الأحوال إعتبار ذكره الحكيم في قوله سبحانه وتعالى : " إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" – صورة الأحزاب – وأيضاً بأن الركن الثاني من الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام – الصلاة – تتطلب ضمن مستحباتها من كل مؤمن ومؤمنة السؤال من الله سبحانه وتعالى أن يصلي ويبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما قد صلى وبارك على سيدنا إبراهيم عليه السلام وآله . وأسال الله العليم الحكيم والغفور الرحيم أن يتجاوز أخطاءنا إن ضللنا أو ظلمنا من غير علم ، وأن يهدينا ويرشدنا جميعاً دوماً لكل ماقيه الخير والصواب ، وإنه سبحانه على ذلك لقدير ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

ولنعد إلى صميم الموضوع التاريخي الذي كنا بصدده ونضيف بأن الذي ساعد هؤلاء

العلويون في مساعيهم إضافة إلى عامل نسبتهم في بيئة مثل المجتمع الحضرمي آنذاك ، فضلهم وأعمالهم الحسنة وتضحياتهم الكبيرة في سبيل نشر الوعي الديني وإصلاح المجتمع ، مع إمتثالهم في الغالب لمبدأ أحد أسلافهم البارزين الملقب الفقيه المقدم (وهو السيد/ محمد بن علي بن محمد المشتهر أيضاً بلقب " صاحب مرباط " والمتوفى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م) بـ" كسر السيف وخلع السلاح" . ومع ذلك ، فلا يستطيع المرء أن يتجاهل أن مثلما أحسن الكثير من هؤلاء النبلاء والأشراف في الإسلام ، فلقد غذى أيضاً عدداً منهم بعض الخرافات والتقاليد التي ينسبها علماء المجتمع إلى تقاليد إجتماعية تشجع بعض الجوانب غير المحمودة المنتمية إلى الطبقية ، والتي كان قاوم عواقبها النبى المختار المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام صاحب " الخلق العظيم" والمبعوث من قبل الله سبحانه وتعالى " رحمة للعالمين" في تعاليمه وسنة حياته ، علماً بأن رسالته تعد عكساً للعدالة والمساواة والمخوة الإنسانية والرحمة والرأفة والسماحة والتواضع ؛ ومناقضة للجهل والجور والظلم والطغيان و كل باطل ، كما لا تعترف بفضل لأحد على غيره إلاّ بصالح الأعمال ، وفقاً لما سلف من شرح أعلاه . ونضيف قولاً بأنه لو ما حوت الرسالة المحمدية هذه الشمايل والصفات والميز، لما إنتشرت في العالم أثر ظهورها بتلك السرعة المدهشة على يد حامليها ومناصريها الفقراء الضعاف من أبناء الصحاري والقفار (ولكن الأقوياء بالله) ، والتي كان إنتشارها في غالب الأحيان بالقدوة الحسنة والإقناع ودون ضغط أو إجبار أو تخويف.

ولقد حاولت بعض الشخصيات البارزة من العلويين عبر الأزمنة الوصول إلى السلطة والحكم في حضرموت نبذاً للمبدأ المشار إليه ، علماً بأنها بصفة عامة كانت جد لائقة لذلك بسبب علمها ومعرفتها وتدينها ونواياها الحسنة عند مقارنتها بغالبية أندادها ، ولكن الحظ لم يقف حليفاً لها والقبائل لم تقبلها حفاظاً على مصالحها ، لأن الأنانية الناتجة عن الجهل المظلم والتقاليد العمياء كانت تسطو على عقول شعب حضرموت ، وقبائله وحاضرته . وبإمكاننا أن نذكر هنا على سبيل المثال ممن حاول الوصول إلى الحكم خلال القرنين الماضيين السيد محمد بن عقيل (السقاف) رحمه الله الموصوف في التاريخ كـ "صاحب المراكب والدنيا الواسعة " الذي كان قد راسل محمد على باشا، والي مصر ، في عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م أن يعينه بقوة ليمد له وصايته على المنطقة، وقتل على أيدي القبائل من القرى في ظفار بعد إعلانه على التولى بالحكم في " ظفار ومرباط " .

وهناك أيضاً السيد طاهر بن الحسين (إبن هاشم) الملقب "ناصر الدين" الذي كان يتقلد سيفاً ويحمل بندقية ، كما أباح لأنصاره من العلويين التسلح نقضاً لتعاليم بعض أسلافه كما ذكر . فكان يمشي رحمه الله بعد مبايعته سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م محاطاً – كما يذكر

المؤرخ المرحوم السيد محمد بن هاشم في كتابه "تاريخ الدولة الكثيرية "بـ "مسلحي السادة العلوية دون غيرهم ثلاثمائة متسلح ..." ولقد حاول إحتلال مدينة تريم وضرب حصاراً عليها ولكن دون جدوى.

كما هناك مثالي السيد إسحاق بن عقيل بن يحيى والبطل الهمام والمقدام السيد فضل بن علوي مولى الدويلة . ولكن بما أن لم يكن لدى هؤلاء الدعم العسكري المبنى على أواصر العصبية القبلية التي تمنح لحكمهم الهيبة وتراعى تنفيذ أحكامهم ، فكانت نتيجة مجهوداتهم في الأخير الفشل . ولنعطي القارئ الكريم فكرة عن كفاءة ولياقة هاتين الشخصيتين ، نذكر هنا بأن أنهى السيد إسحاق بن عقيل أيام أواخر عمره شيخاً على السادة الحسينية في الحجاز لغاية عزل الشريف محمد بن عون من قبل السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥١م ؛ وأنهى السيد فضل بن علوي سنواته الأخيرة مستشاراً للسلطان المذكور في الأستانة ، كما كان يحمل كل منهما الأوسمة الرفيعة منه.

وبالإختصار ، فهكذا كان مصير جميع هذه المساعي والمحاولات للوصول إلى السلطة المباشرة سواءً بمساعدة بعض الأطراف المحلية أو قوى خارجة عن الحدود الأقليمية مثل ولاة مصر أو الدولة العثمانية أو آئمة صنعاء . وعن هذه المساعي والمخاوف على نتائجها السلبية المتوقعة يسجل مفتي الديار الحضرمية السيد عبدالرحمن بن عبيدالله (السقاف) رحمه الله في تاريخه "بضائع التابوت في تاريخ حضرموت " نقلاً عن خطاب أحد الصالحين من العلويين الذي يقول : "إننا خائفون مما سبق لسلفنا لأنهم قد تعبوا ولم يظفروا بطائل أو شئ ظهور السيد محمد بن عقيل في ظفار .... وإجتماع العلويين أيام الحبيب طاهر ... ثم ظهور إبن مقيص .... وظهور السلطان حسين بن جعفر بن محسن" (الكثيري) – علماً بأن المحاولتان الأخيرتان أيضاً كانتا بدعم علوي كبير – "وقيام سيدنا محمد بن أحمد بن طاهر الحبشي وقبائله (مؤيديه) من الشنافر ..."رحم الله العلامة عبدالرحمن إبن خلدون ، الذي يعد أبا لفلسفة علم الإجتماع وعلم فلسفة التاريخ وتدوينه ، والذي كان أبرز لنا أهمية عنصر العصبية في مسائل التوصل إلى السلطة والحكم وممارسته وخصوصاً في المجتمعات القبلية.

وإنني إذ أريد أن أختم هذا النقاش حول أمر العلويين ولياقتهم الأدبية والثقافية للحكم في تلك الأزمنة لولا حال أمر العصبية والتقاليد والأعراف القبلية بينهم وكرسي السلطة بقصة قصيرة ممتعة أوردها السيد محمد إبن هاشم في تاريخه المشار إليه أعلاه، والتي قد تعلق على ما نحن بصدده بأسلوب أفصح مما قد أقدر أن أدونه، وعن ضرورة الدعم المسلح الثابت لممارسة الحكم والذي لا يورد في مجتمع مفتقر غارق في التقاليد

والأعراف القبلية مثل ما كان عليه الأمر في حضرموت آنذاك ، إلاّ بناءً علي أواصر توفي بتلك الشروط والروابط التي تبنى عليها العصبية. وتذكر هذه الرواية أنه حصل مرة في وقت يجالس فيه الإمام طاهر بن الحسين (السالف الذكر) أحد زواره من شمال اليمن ، أنه دخل عليهما زعيماً قبلياً. فرأى الزائر الإمام طاهر يبجله ويحتفي به . فلما إنصرف المذكور ، سأل الزائر الإمام عن الزعيم ، حاسباً بناءً على ما شاهد من الإمام من تبجيل لضيفه بأنه لم يكن مطاعاً بعدد يقل على ألفين مقاتل. ويأتري ماذا كان رد الإمام المبتسم عليه ! – إن "مثل هذا قد لا تطيعه خادمة منزله فلا يستطيع إجبارها. وإنما نعامله هذه المعاملة رجاءً أن يعضد دعايتنا بين نظرائه ولو بلسانه !."

آل باوزير

وحيث أننا قد ذكرنا السادة العلوية ، فإنه ليس من الممكن من باب الإنصاف تجاهل أدوار أسر أخرى من وضع أو خلفية مماثلة ومن نفس المنطلق ، والتي كانت كسبتها حضرموت كأبناء لها بعد أن فقدت، كما ذكرنا، أبناءها من سكانها التقليدي عبر الهجرة في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى. وسواء كان هؤلاء قد أتو أساساً في شكل فارين يبحثون عن مأمن بعيد للجوء فيه من غضب وقهر السلطات الحاكمة في مواطنهم الأساسية بحيث لايصل اليهم أحداً ، أو لاغراض دينية وإصلاحية والوعظ والنصح والتوجيه في حضرموت نظراً لما سمع في تلك العصور عن انتشار بعض العقائد المتطرفة والمعارضة للمسار العام لأصول ديننا الحنيف والشريعة الغراء فيها وما جاورها، فإن آل باوزير أيضاً من أبرزهم وينتسبون إلى على بن طراد الذي كان في يومها وزيراً لبعض الخلفاء العباسيين وهو منتمي إليهم نسباً.

وأول من وصل الى حضرموت من هذه الأسرة ، وذلك في أواسط القرن السادس للهجرة (الثاني عشر ميلادي) ، يعقوب بن يوسف بن علي– (أي حفيد الوزير المذكور أعلاه) – والمدفون حالياً في المقبرة الواقعة في المكلا والمشتهرة بإسمه، والتي دفن فيها على جانب أعداد كبيرة من الرعية ، نقباء آل كساد وبعض السلاطين القعيطيين، والذي قام في حالة نوبة بطش وجنون فيصل العطاس – الملقب "النعيري" إنتساباً لقرية نعير في وادي عمد – بعد إستيلاء الجبهة القومية على الحكم في أواخر سنة ١٩٧٦م ، بتدمير جزء كبير منها ولأسباب غير واضحة ، حتى ألتمسه الأهالي بالتوقف . ولقد أشتهر عدد كبير من أفراد هذه الأسرة عبر القرون بالزهد والتقوى

والخير والصلاح في غالبية بقاع حضرموت؛ كما يعلم الجميع بأن تسمية مدينة غيل باوزير تنتسب إليهم. ويجدر بالذكر هنا أيضاً أن هذه الأسرة فريدة في صفوف الأسر البارزة المهاجرة إلى حضرموت من ناحية أنه برغم خلفيتها التاريخية وصلتها بالحكم وشؤونه في العراق، فإنها لم تحاول في يوم ما أن تسعى للحصول على السلطة السياسية الخالصة، مثلما سعت إليها في فترات من تاريخها بعض الأسر الأخرى التي أتت من خلفية مثلها وكانت تتمتع بمكانة متميزة في صفوف المجتمع الحضرمي.

آل العمودي

وفي هذا السبيل ، لا بد من ذكر أسرة آل العمودي ، التي تنتسب إلى الخليفة الأول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والتي إستطاعت أن تهب لحضرموت عبر تاريخها علماء ، وأهل زهد، وأيضاً قادة سياسيين وأبطالاً عسكريين ، نافسوا معاصريهم من الحكام المحليين في الدهاء والقوة والشكيمة والبأس. وإستطاعت هذه الأسرة ، بفضل جهود مؤسس نصيبها الديني والإجتماعي والسياسي في حضرموت، وهو الشيخ سعيد بن عيسى (بن محمد بن سعيد بن شعبان بن عيسى بن داود بن محمد بن أبى بكر بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق) ، أن تكسب لها أنصاراً من صفوف مجموعة كبيرة من القبائل القاطنة حوالي منطقة دوعن ، والتي أصبحت في ما بعد آلة سياسية وعسكرية في يديها . وأشهر شخصيات هذه الأسرة الشيخ سعيد المذكور (المولود في القرن السابع للهجرة) الذي كان السبب في تسميتها بالتي هي عرفت، إذ أنه كان إشتهر في عصره في المجتمع الحضرمي بلقب "عمود الدين" نظراً لتمسكه بأركانه وعلى رأسها الصلاة وإستعان بهم عند كل ضرورة ، كما قلده في ذلك كل أخلافه .

ويجب علينا أيضاً أن نذكر ضمن أبطال حضرموت السياسيين من هذه الأسرة الشيخ عثمان بن سعيد العمودي ، الذي عاش في القرن العاشر للهجرة وكان على إلمام بالتطورات السياسية على المسرح الدولي (وبالخصوص في اليمن والحجاز ومصر والهند وبسياسة ونشاط العثمانيين والبرتغاليين) مما تخصه ، حتى إستفاد منها علي حساب أنداده وعلى رأسهم السلطان المقتدر والمهاب بدر بن عبد الله الكثيري الملقب "بو طويرق" ، الذي لم تستطع أن تنافس إنجازاته عبر القرون أية شخصية من حكام حضرموت لغاية المنتصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي حتى ظهور عوض بن عمر القعيطي الذي صالح آل العمودي وأكرم منزلتهم .

آل كثير و يافع و الموهلون

وبما أن الحديث قد تطرق إلى السلطان بدر بوطويرق أحد أشهر وأبرز حكام حضرموت ، علينا بالذكر أن حضرموت كانت كسبت آل كثير المغاوير من سلالة همدان البواسل بأعداد كبيرة وكأبناء لها في أواخر القرن السابع للهجرة (الثالث عشر الميلادي) ، عندما أتي اليها السلطان سالم بن إدريس الحبوظي من ظفار وأحضر معه مجاميع كبيرة من هذه القبائل كجنود له لفرض وحماية سلطانه على أجزاء من حضرموت من مشترواته مثل مدينة شبام (التي إبتاعها سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م) وغيرها من المدن والقرى الأخرى و أوقافه. ومنذ تلك الفترة ، لعبت أسرة كبيرهم آنذاك على بن عمر الكثيري (المتوفى سنة ٦٧٥هـ/١٢٢٦م) دوراً هاما في تاريخ حضرموت باذلة تضحيات كبيرة ، حتى إستطاعت في يوم من الأيام أن تجمع في يديها مقاليد الحكم والسياسة على مناطق شاسعة من إقليمي حضرموت وموطنها التقليدي ظفار .

وبينما أول من لقب سلطاناً من هذه الأسرة على بن عمر بن جعفر ، وذلك في أوائل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، فإن أبرز وأعظم سلاطينها كما أشرنا أعلاه بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري (المتوفي سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م) ، الذي عرفه جميع معاصريه من الملوك والحكام بسبب نشاطه الدبلوماسي والتجاري والعسكري. فبينما كانت سفنه تصل الى مرافئ الهند وتقاوم نشاط البرتغاليين البحرى عضداً ومناصرة للعثمانيين وولاة مصر وحكام الهند في البحر العربي ، وصل سفراؤه إلى بلاط الإمبراطور المغولي في "آقره" (AGRA) (الهند)، وبلاط سلاطين "كجرات " (GUJRAT)، كما كانت له صلات مميزة مع البلاط العثماني عن طريق صنعاء ومصر والحجاز .

ويذكر المؤرخون والرواة ، أن الفضل الأول في تعريف البنادق إلى الحضارم، يعود لهذا الحاكم الجرئ المبدع والمشهور بأصابة الرأي وبعد النظر، كما يعود له الفضل في الأول في جلب مجموعة جنود من قبائل يافع إلى حضرموت من المتدربين علي إستخدام هذه الأسلحة النارية الجديدة للمنطقة بسبب اختلاطهم (وحروبهم) مع الشراكسة والأتراك في اليمن . وقد أشار إلى هذا الأمر المؤرخ المرحوم الأستاذ صلاح عبدالقادر البكري –أي بأن بدر بن عبدالله بن طويرق أول من جلب يافع إلى حضرموت سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م– ولو أن الغالب أعتبروه خطأ منه في ظنهم أن أول من أحضر يافع إلى حضرموت هو بدر بن محمد المردوف . ولكننا نجد إشارات واضحة في كتاب "تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العالمين والسادة المريين والأولياء الصالحين من سنة تسع مائة إلى التي هي للألف موفية" المخطوط للسيد محمد بن عمر الطيب بافقيه ، المشتهر بلقب بافقيه

الشحري ، عن تواجد جنود من يافع في جيشه ، ونؤيد الفكرة بأنهم لم يكونوا في الغالب من مواطني حضرموت ، إلا اللهم اليسير منهم ، بسبب قلة تعداد التليدين أو القديمين من هذه القبائل في حضرموت – وهذا ، إذا كان لهم وجوداً خلال تلك الفترة في هذه الديار كما يزعمه البعض ، والتي (أي قلة تعدادهم) بالطبع لم تكن تشجعهم على ترك ديارهم وعوائلهم دون حماية للمساهمة في حروب السلطان بدر المتواصلة ضد القبائل الحضرمية المنتشرة والشيخ العمودي ، وأنداده من أسرته ، والبرتغاليين وغيرهم. وبالتالي ، فلم تكن لدى هؤلاء من يافع "التلد " لغاية تلك الفترة معرفة بالأسلحة وآلات الحرب التي تستخدم البارود ، حتى ينظر إليهم السلطان بدر بنظرة إستثنائية مقارنة بالقبائل الحضرمية الأخرى التي كانت من جنده ، والذي دون شك كان الحال مع الجنود من القبائل التي كانت واجهت هذه الأسلحة وتعلمت إستخدامها ، مثل ما كان عليه الحال مع بعض مجاميع من القبائل اليافعية المتاخمة لمسرح الأحداث بالنسبة للنشاط العسكري من قبل جيوش الشراكسة والعثمانيين في اليمن ، والتي إلتحمت بها يافع في حروب وخالطتها وإنضمت إليها أيضاً كما ذكر أعلاه . ثم إنها كانت من معالم سياسة السلطان بدر بوطويرق بأن يستخدم رجالاً من قبائل خارجة عن حضرموت كجنود له لقمع شوكة القبائل المحلية ورؤوسها من المعارضين والمتمردين عليه لكونها خالية من أواصر القرابة بالسكان المحلي ، وأكثر إستعداداً لإطاعته في مثل هذه العمليات التي دامت طوال فترة حكمه.

ثم بإمكاننا أن نضيف هنا أيضاً ما ذكره المطهر بن محمد الجرموزي (المتوفى سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م) في أحد كتبه وهو " تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار " الذي يتهم فيه معتقدات الحضارم بالحبرية والحلولية والأشعرية والإيمان ببعض الخرافات ، وذلك نقلا عن لسان رسول الإمام المؤيد بالله رحمه الله ، الشيخ صلاح بن مقنع الأسعدي ، الذي كان أرسله الإمام المذكور إلى السلطان عبدالله بن عمر الكثيري سنة ١٠٤١هـ(١٦٣١م) ، بأنه عندما زار عينات في أيام المنصب السيد حسين بن أبو بكر بن سالم رحمه الله (المتوفى سنة ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) ، وجد عند قبر الشيخ أبوبكر بن سالم طيب الله ثراه ، نحو أربعمائة نفر أكثرهم زوار من (قبائل) يافع يهللون ويصيحون " ياحبيب " ويضربون الطبول – وهذا ضمن ما يدل عن تواجد العنصر اليافعي في حضرموت وصلاته المتينة بهذه الأرض قبل سنة ١١١٧هـ (١٧٠٥م) . وعليى بالتوضيح هنا بأن ليس المقصود من قبلي عبر الإشارة إلى هذه المجموعة ويذكر هذه الأمثلة والشرح بأن وجودهم في حضرموت يعود إلى أيام الملك سيف بن ذي يزن الذي يلي ذكره ، إنما الهدف بها تعزيز الزعم أنه رغماً عن تواجد العنصر الحميري في حضرموت منذ القدم ، فإن أول من أحضر يافع إلى حضرموت خلال هذه الفترة كجنود له هو بدر بوطويرق .

ولكن مما يجعلنا نتردد في الإصرار بهذا الزعم تنبيه مرجعنا عن تاريخ يافع في يومنا هذا، الشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي حفظه الله وأطال في عمره ، والذي ينصح كل مؤرخ يزمع إلى تدوين التاريخ أن يكون أميناً في البحث عن جميع المصادر التي بالإمكان العثور عليها، وفي دراستها ، وفي تسجيل نتائج تحليله بصدق وإخلاص ، كما يشير إلى المشاكل المواجهة للباحث الذي يريد أن يصل إلى نتيجة مبنية على أسس الأدلة والمؤشرات الثابته ، وبأن تدوين التاريخ الحضرمي ولغالب الأجزاء الجنوبية لليمن تعاني من قلة المصادر المعاصرة للأحداث التي بالإمكان الإعتماد عليها وفقاً لمعايير البحث العلمي. وبالخصوص للعصور الواغلة في التاريخ وحتي فيما يخص فترات وأحداث متقاربة ومتعلقة بعصرنا هذا.

ولقد عبر السيد علوي بن طاهر الحداد رحمه الله في تأليفه " عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس " عن إستغرابه عن هذا الأمر بالكلمات الآتية: " ونحن حين نسجل هنا أسفنا الشديد لفقد المصادر التاريخية لإجزاء مهمة جداً من ماضي حضرموت ، لانستطيع حتى الآن نبدي رأياً قاطعاً في الموضوع حتي تتجمع لدينا الأدلة الكافية للحكم في هذه الظاهرة الغريبة ! " كما أبدى برأيه وظنه حول الأسباب المؤدية إلى ذلك الحال في نفس الكتاب ، والذي تناول فيه أيضاً ذكر ، نبذة وجيزة عن القبائل التي إنتقلت إلى حضرموت قائلاً : "كان لحملات الغز والخوارج والزنجبيلي وحملات قبائل جبل السراة والسروين – سرو حمير وسرو مذحج" (والسرو هو ما أرتفع عن الوادي وإنحدر عن غلظ الجبل) – "أثر عظيم في إنطماس الكتب والمؤلفات ، مع ما عرف به أهل حضرموت من الإضاعة والإهمال لآثار ومناقب من سبق .... "ونضيف إلى هذا الشرح أن هذا النقصان قد يكون ورد أيضاً نتيجة لفقدان المقتدرين علي القيام بمثل هذه الأعمال بسبب الهجرة عبر القرون منذ عصر الفتوحات الإسلامية الأولى .

وبالرغم من كل ذلك ، فعلينا أن نقر بأنه لمنطقي ومعقول بحيث لا مجال للشك فيه أن للقبائل الحميرية النسب صلة منذ القدم بأرض حضرموت ، وبالخصوص من فترة إمتداد سلطة الإمبراطورية السبئية – الحميرية على هذه النواحي ، حتى ولو كان ذلك بسبب تعيينها – أي هذه القبائل – كحاميات من قبل السلطات على إمتداد الخطوط التجارية التي كانت دولية آنذاك – لغرض تأمينها وحراسة وعضد وتموين القوافل في توجهها نحو مسقط رأسها . وقبائل يافع ، التي تلقب بنو حمير أيضاً ، تنتمي مثل العديد من أخواتها من قبائل اليمن وبقية الجزيرة العربية إلى نسب حميري . ومن هذه القبائل في حضرموت والمنتشرة بتعداد كبير "زي" أو مجموعة سيبان (ومنها أسرة بامخرمة التي هبت للمجتمع عبر القرون العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والمؤرخين والقضاة والإداريين مثل قاضي

عدن ، عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م ، والفقيه المؤرخ أبى محمد عبدالله الطيب بن عبدالله صاحب " قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر "و "تاريخ ثغر عدن " (المطبوعين) وغيرهما من الكتب والذي توفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م ، وعبدالله بن عمر الملقب "الشافعي الصغير " بسبب سعة معرفته في شتى مجالات من علوم الدين وغيرها. ولقد كان عمل المذكور قاضياً وككاتم سر في بلاط السلطان بدر بوطويرق وتوفى سنة ٩٧٢هـ/١٥٦٥م تاركاً العديد من المؤلفات والرسائل في مواضيع دينية وتاريخية وأدبية كما ذكرها لنا الشيخ سعيد عوض باوزير في كتابه "صفحات من التاريخ الحضرمي" وغالبيتها لم تطبع إلى الآن ! – ومن عصرنا هذا ، فبإمكاننا أن نشمل في هذه القائمة القاضي الشيخ سعيد على وأخيه الشيخ عبدالله الذي نال إعجابي بحبه البالغ لمصلحة بلاده . ثم هناك أسرة آل باصرة المقدامين والبواسل المشتهرين بأدوارهم في صناعة التاريخ الإقليمي ، ومؤخراً، بإرتباطهم الوثيق بالأسرة القعيطية وإدارة حكمها . ومن سيبان "زي" أيضاً آل بقشان الذين ساهموا مع بقية هذه المجموعة القبلية في عدة عمليات عسكرية في عهود السلاطين عبدالله وعوض إبني عمر وغالب بن عوض القعيطي ، كما إشتهر منهم خلال هذا القرن الأخوة عبدالله وأحمد وسليمان أولاد سعيد بقشان وأنجالهم بسبب نشاطهم التجاري المتميز في الحجاز والعديد من أعمال الخير ، على رأسها تمثيل مصالح الحضارم وإستضافتهم وكفالتهم دون إستثاء) – وأيضاً قبائل نوح والحموم ، ويضيف إليها البعض قبيلة المناهيل أيضاً ، التي في الغالب تنتسب إلى مجموعة بني ظنة ، كما هناك قبائل حميرية في بلاد المهرة ، وعلى رأسها سلاطينها من آل عفرار (أو عفرير) . ولقد أكد لي عن نسبهم المشترك بيافع وفد مهري رسمي زارني في المكلا في أواخر شهر يوليو سنة ١٩٦٧م للمباحثات عن مستقبل المنطقة . وإنه لمعلوم أيضاً بأن المنطقة الوحيدة في الجزيرة العربية التي يتكلم أهاليها لغة غير العربية هي المهرة ، كما هو شايع بين من يهتم بهذه الأمور ، ووفقاً لمزاعم المهرة ، بأن لغتهم هي اللغة الحميرية القديمة – والله أعلم. ولعل في إضافة ما قاله أبو عمرو إبن العلاء عن لسان حمير فائدة هنا، حيث ذكر بأن :"مالسان حمير وأقاصى اليمن لساننا وعربيتهم بعربيتنا ! ". ولقد إختلفت المصادر على تسمية أبو عمرو هذا ، وعلى محل وتاريخ ولادته ووفاته – (وهو في الغالب من مواليد مكة المكرمة سنة ٧٠هـ /٦٨٩م وتوفي بالكوفة في عام ١٥٤هـ/٧٧١م بالتقريب)– ولكن ليس على مدى معرفته بعلوم شتى كما ورد ، وعلى سبيل المثال ، في كتاب" وفيات الأعيان " لإبن خلكان (المتوفي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، والذي يروي عنه أيضاً تأكيداً لما ذكرناه بأنه " أحد القراء السبعة وكان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ."

ثم هناك آل راشد الحميريون الذين حكموا أجزاء من حضرموت من مقرهم في مدينة تريم، ين أواسط القرن السادس وأواخر القرن السابع هجري (أواسط القرن الثاني عشر

وأواخر القرن الثالث عشر ميلادي) بأسلوب متقطع. ومنهم العالم الفاضل الجليل السلطان عبدالله بن راشد إبن قحطان الحميري الذي عاش بين سنتي ٥٥٣هـ و ٦١٦هـ (١١٥٨م و١٢١٩م) ، وخلع نفسه بعد توليته الحكم سنة ٥٩٣هـ (١١٩٧م). وعندما سئل عن السبب لذلك ، كانت إجابته: "ما وجدنا أهل حضرموت يوالوننا على الحق!" وكان ذلك خلال فترة إحتلال عمر بن مهدي اليمني لحضرموت على رأس قوة من الغز ، ودام وجود نشاطه فيها من سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) إلى مقتله سنة ٦٢١هـ (١٢٢٤م) . علماً بأن حملتي عثمان الزنجبيلي (والي عدن من قبل الأيوبيون الذين كانو أحتلوا اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م تحت قيادة شمس الدولة توران شاه ، وهو أخ لبطل الإسلام الكبير السلطان صلاح الدين رحمه الله ، على حضرموت على رأس جيش غالبيته من الغز والقبائل اليمنية ، كانتا سنتي ٥٧٥هـ و٥٧٦هـ (أي ١١٧٩م و ١١٨٠م) بالتقريب – أو خلال فترة حكم السلطان راشد بن شجعنة بن فهد بن أحمد بن قحطان الحميري ، الذي كان أخذ أسيراً فيما بعد مع ولده عبد الله وأحمد وشجعنة بسبب الإنقطاع عن دفع الخراج . ولقد تسلطن شجعنة على تريم سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م بعد إطلاق سراحه ، ودام حكمه إلى أن قتل سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م على يدي أحد مماليكه . وعندئذ ، تولى الحكم أخوه عبدالله بن راشد ، ومن ثم ، آل إلى إبنه محمد بن عبدالله بن راشد ، الذي إشتهر مثل والده كحاكم صالح ، وتوفي سنة ٦٨٧هـ (١٢٨١م).

وللمزيد من التعزيز للمزاعم بأن ليس إقليم حضرموت بحاله إنما اليمن بكامله كان قد أعتبر وأتخذ مأوي من قبل من كان يريد الإبتعاد عن المراكز الكبرى للحضارة الإسلامية ومسار أنشطتها الحيوية كما ذكرنا وقد نكرره ، نثبت هنا ما ذكره المؤرخ الكبير إبن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م في تأليفه "الكامل في التاريخ" عن بداية نشاط الأيوبيين في اليمن والهدف الخفي وراءه – علماً بأن قد أعتبره البعض ميالاً في صف الأتابيك نور الدين محمود زنكي ، سلطان الشام وديار الجزيرة ومصر ، (والمتوفى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) ، عند تناوله لما وقعت من أحداث بينه وبين نائبه في مصر، صلاح الدين وأهله ، وهو بأن :"صلاح الدين ... صاحب مصر وأهله كانوا يخافون من نورالدين محمود أن يدخل إلى مصر فيأخذها منهم ، فشرعوا في تحصيل مملكة يقصدونها ويتملكونها تكون عدة لهم ، إن أخرجهم نور الدين من مصر، ساروا إليها وأقاموا بها .... إستأذنوا نور الدين في أن يسير (شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين الأكبر) إلى اليمن لقصد عبدالنبي صاحب زبيد لأجل قطع الخطبة العباسية ، فأذن في ذلك ... وكان بمصر شاعر إسمه عمارة من أهل اليمن ، فكان يحسن لشمس الدولة قصد اليمن ويصف البلاد له ويعظم ذلك في عينه، فزاده قوله رغبته فيها ، فشرع يتجهز .... فملكوا (عساكره) البلد (زبيد) عنوة ونهبوا وأكثروا النهب ...ألخ "ويضيف مؤرخنا ذكراً بأن سارت العساكر الأيوبية إلى عدن" وله مرسى عظيم وهي فرضة الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكيش وغير ذلك وهي م

جهة البر أمنع البلاد وأحصنها .... وأرادوا نهب البلاد فمنعهم شمس الدولة وقال ماجئنا لنخرب البلاد وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها ، فلم ينهب أحد شيئاً ... وثبت ملكه وإستقر أمره ... وأحسن شمس الدولة إلى أهل البلاد وإستصفى طاعتهم بالعدل والإحسان .. ألخ ". وإنه لجدير بالملاحظة هنا بناء على ما سلف مما ذكره إبن الأثير عن إحتلال الأيوبيين لليمن ، بأن روايته تلقى ضوءاً من جانب آخر على الأحداث خلال تلك الفترة ، وترسم لنا صورة أوضح وأكمل عن خلفية الغزو الأيوبي لليمن ، وعن أهداف توران شاه من خلال ذلك وعن نواياه تجاه اليمن ، كما عن بعض سيرته وتصرفاته السياسية ، التي تعارض عدداً من التصورات الجامدة المنتشرة عن هذا الفصل من التاريخ اليمني . وأما عن عمارة – (إبن أبى الحسن على الحكمي اليمني الملقب نجم الدين ، صاحب" تاريخ اليمن")– فلقد تم إعدامه سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م بسبب مساهمته في مؤامرة لإستعادة الحكم للفاطميين بعون من ملك القدس المسيحي "أماريك" (AMALRIC) الذي حكم بين سنتي ١١٦٣م /٥٥٨هـ و ١١٧٤م /٥٦٩هـ. وبينما نحن في سيرة صلاح الدين هنا ، بإمكاننا أن نتخمن أن مؤلف بعض أهم المصادر لدراسة تاريخ هذا البطل دون نظير ، صاحب " كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، الصلاحية والنورية"– أبو شامة (عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي) و هو المؤرخ والمحدث والباحث الكبير الذي عاش بين سنتي ٥٩٩هـ و ٦٦٥هـ/١٢٠٣م و ١٢٦٧م ، كان ينحدر أصلاً من قبيلة العيسائي اليافعية التي لها فخذ بهذا الإسم ! – والله أعلم بالصواب.

ثم ، لقد زعم البعض بأن الوجود اليافعي في حضرموت ، وبالتحديد في المنطقة التي تسمى القطن اليوم يعود إلى أيام الشخصية الإسطورية الحميرية الملك سيف إبن ذي يزن (الذي عاش بين سنتي ٥١٦م و ٥٧٤م بالتخمين) ، وحرر جميع المواطن اليمنية من السيطرة الحبشية بمساعدة الكسرى أنو شيروان (المولود عام ٥٣١م والمتوفي سنة ٥٧٩م) ، والتي كانت تيسرت له بشفاعة النعمان إبن المنذر ، ملك الحيرة وعامل كسرى عليها وعلى العراق . ويذكر بأنه – أي سيف إبن ذي يزن – قتل علي أيدي خدمه من الأحباش بعد حكم دام خمس وعشرون سنة بالتقريب وفقاً لبعض التقديرات منذ قتله ملك الحبشة في اليمن ، مسروق إبن أبرهة الأشرم (وهو الأبرهة الذي إليه الإشارة في سورة الفيل ومضمون آياتها، علماً بأن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عام غزو أبرهة على مكة بفيله سنة ٥٧٠م). فعلينا أن نتناول مثل هذه الإدعاءات المتعلقة بتاريخ أو أساطير سيف إبن ذي يزن ونتعامل بها بنسبة ملائمة من الحذر العلمي بسبب الإختلافات والتناقضات في التواريخ عند المقارنة ، وثم فقدان الإثباتات القاطعة، ولكن في نفس الوقت دون تجاهلها، لأن الذاكرة والرواية كانتا

تعتبران بمثابة ديوان لتسجيل والإحتفاظ بتاريخ وثقافة العرب ، ووسيلة لنشرها ، وبالخصوص لدى الأعراب منهم ، وعبر القرون منذ العصور الواغلة ، بسبب أسلوب معيشتهم في البادية الذي كان يحتم عليهم الإستعداد الدائم وعلى خفة وسرعة للرحيل والتنقل من مكان إلى آخر لظروف الطبيعة والبيئة ومتطلبات المعيشة. ويطيب لنا أن نضيف أيضاً إلى ما سلف بأن أسس القانون تمنح للأدلة الثانوية قيمتها وإعتبارها في حالات عدم تواجد البراهين الرئيسية القاطعة ! . ولاكن علينا أن نثبت هنا في نفس الوقت ما يعتقده الباحثون والدارسين بأن بداية ترويج الرواية الشعبية – سيرة سيف إبن ذي يزن– كانت في الغالب في أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع للهجرة (أي في أواخر القرن الرابع عشر أو بداية الخامس عشر للميلاد) ، وفي مصر.

وأما في شأن السلطان بدر بوطويرق وإحضاره مجندين من قبائل يافع من مواطنهم والأسلحة البارودية ، فيقول الشاعر الحضرمي العامي :

"رأسي قد ضرب من حنة المدافع   وكل السبب من بدر يومه (لأنه) جاب يافع
(وقيل) لا حل لك يابدر جبت يافع   لولا (هؤلاء) لغتهم تشـــبه الضفادع ."

ويذكر الذين لهم دراية بتاريخ حضرموت وعلى رأسهم المؤرخ السيد محمد بن هاشم رحمه الله، أن بيت الشعر هذا لسعد السويني ، المعروف عند الحضارم مثل "نوستراداموس" (NOSTRADAMUS) –الذي عاش بين سنتي ١٥٠٣م و ١٥٦٦م (أي ٩٠٨هـ و ٩٧٣هـ بالتقريب) عند الفرنسيين ، بسبب تنبؤاته السياسية المضمونة في أبيات أشعاره . ويقول أيضاً مؤرخنا المشهور المشار إليه بأن السويني قد عاش في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وأن الإشارة هنا هي لبدر آخر وهو بدر بن محمد المردوف الكثيري الذي كان أيضاً قد أحضر إلى حضرموت في قرن لاحق (أي القرن الثاني عشر الهجري – سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م) قوة كبيرة من قبائل يافع بعد أن ذهب إلى جبل يافع مدعوما بتأييد من السيد الحبيب علي بن أحمد آل الشيخ بوبكر بن سالم رحمه الله ، منصب ومولى عينات (وهي كما تمت الإشارة إليها مركز من مراكز النشاط العلوي الديني الإصلاحي) ، لما كان يتمتع بها المذكور من سلطة روحية على هذه القبائل (يافع) بسبب محاربته لتأثير "مباحات" القرامطة المخالفة للسنة النبوية الشريفة والمنتشرة في صفوفها في فترة من الزمن . وإذا صح بأن السويني عاش في القرن الثامن للهجرة ، بينما لم يستعن بدر بوطويرق بجنود من قبائل يافع إلا في القرن العاشر الهجري، وبدر بن محمد المردوف الكثيري لم يأت إلى حضرموت بجيشه اليافعي إلا في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وأيضاً بما أن أهل حضرموت لم يتعرفوا على

البندقية إلا في عصر بدر بو طويرق ، فإننا نترك أمر اختيار السلطان الذي يشير إليه هذا البيت بين يدي القارئ ، وكذلك أمر إنتساب هذا البيت من الشعر للسويني أو لغيره من شعراء الحمينية !–

ونذكر أن الصراعات العنيفة بين ورثة السلطان بدر بو طويرق على تركته المترامية الأطراف أدت الى مد نفوذ إمام اليمن والمذهب الزيدي في حضرموت ، وذلك بسبب دعوة وتشجيع من أحد الأطراف المتنافسة وهو بدر بن عمر الكثيري الذي إستعان بإمام اليمن المتوكل على الله إسماعيل (المتوفى سنة ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) للقضاء على نفوذ منافسيه وعلى رأسهم إبن أخيه بدر بن عبدالله الكثيري ، وبهذا قدم السبب لأول غزو إمامي تجاه حضرموت تحت قيادة سيف الإسلام أحمد بن الحسن الصفي (المتوفى سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م) وهو إبن أخ للإمام المذكور أعلاه والذي كان خلال سنتي (١٠٦٩هـ/١٦٥٩م و ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م) ، ولقد عرفه التاريخ الحضرمي بلقب "سيل الليل". كما يعود إليه – أي الغزو– السبب في فتح الباب أمام النفوذ الإمامي في حضرموت الذي دام ، ولو بشكل متقلب الأطوار ، لغاية العقد الثالث للقرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي.

كما علينا أن نعلم بأن الصفي رحمه الله ، الذي كان قائداً شجاعاً وماهراً ، تولى الإمامة في ما بعد حاملا لقب "المهدي"، وأثبت نفسه من أقوى وأقدر الأئمة لليمن. وكما كانت إتسعت رقعة دولة الأئمة على يديه حتى شملت غالب جنوب شبه الجزيرة العربية ، فإنها إنكمشت أيضاً ولو شبه تدريجياً وتقلص نفوذها بعد وفاته. ولم تتكون دولة مترامية الأطراف مثلها في هذه المنطقة إلا عند تحقيق الوحدة بين جمهورية اليمن الديمقراطية والجمهورية العربية اليمنية في عام ١٩٩٠م .

وكان إستعان البعض على هذا الغزو والإحتلال ، وعلى رأسهم منصب آل الشيخ بوبكر إبن سالم، ومن أمراء آل كثير بدر بن محمد المردوف الكثيري ، بقبائل يافع الذين قاوموا نفوذ الإمام وأنصاره في حضرموت. وعلينا بالإثبات هنا للتوضيح بأن المجاميع القبلية اليافعية التي أتت إلى حضرموت سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م تحت سلاطينها ورؤوسها (وفي المقدمة أخ للسلطان ناصر هرهره ، وهو عمر بن صالح المتوفي سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م) لم تكن في شكل غزاة أو كجنود مرتزقة ، حيث لم تكن لدى الأمير الكثيري بدر بن محمد المردوف أو منصب عينات الإمكانيات لإغراء وتجهيز وتموين قوة كبيرة تتكون من ستة الآف مقاتل للحضور إلى حضرموت بهدف الخوض في غمار الحرب لمدة غير معروفة مع الجيوش الإمامية ، وهي تاركة خلفها الديار والعوائل بحماية منخفضة معرضة للخطر من

قبل العساكر الإمامية من الغرب ، والإنفاق عليها فترة تواجدها في حضرموت .

وإذاً ، فماذا كان السبب في إستعدادهم للوصول إلى حضرموت بهذه الأعداد الكبيرة ؟ – وعلى ذلك ، فنوضح ونقول بأن مؤسس أسرة سلاطين يافع العليا ، الشيخ على هرهرة كان من تلاميذ الشيخ أبوبكر بن سالم (الذي عاش بين سنتي ٩١٩هـ/١٥١٣م و ٩٩٢هـ/١٥٨٤م) ، منصب وولي عينات في حضرموت ، والذي كان أرسله إلى يافع بمهمة الإقامة بين قبائلها والقيام بالإصلاح ونشر الوعي الديني ، ولمحاربة ومحو مباحات القرامطة المنتشرة فيها – حيث أن جبال يافع المحصنة والطرق الوعرة المؤدية إليها ، ثم بعدها عن مراكز الحضارة الإسلامية ، كانت قد جعلت منها ، مثل حضرموت سابقاً ، مأوى مؤمنا لأنصار الحركات الخارجة عن المدار الإسلامي العادي ، وعلي سبيل المثال القرامطة. والذي يجدر بالذكر هنا أن على بن فضل الحميري (المتوفى سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م) ، أحد أوائل دعاة ميمون القداح كان قد إتخذ من مرتفعات يافع الشاهقة مقراً لنشاطه سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م ، ومن شعبها الوفي الباسل أعواناً له ، كما تمكن بمساعدته من إحتلال عاصمة اليمن ، صنعاء ، سنة ٢٩٩هـ/٩١١م . ولقد أشار السيد عبدالرحمن بن عبيد اللاه في تاريخه '' بضائع التابوت '' إلى بعض صفات يافع التي شجعت الإنتشار السريع لمثل هذه الحركات عبر الكلمات التالية :

'' وكم للقطب الحدادوغيره من جميل الثناء على يافع ما داموا في جبالهم ويشهد لذلك أنه قلما يقوم بينهم أحد من أهل العلم بدعوة إلا إنتشرت إنتشار النار في الحلفاء ، وإنقادوا له إنقياداً أعمى ، كل ذلك لبياض سرائرهم وفرط قابليتهم للدعايات الإصلاحية ، إلا أن إفراطهم في ذلك كثير ما يسبب لهم الإنحراف ....'' وبإمكاننا أن نضيف إلى هذا بأن ماسلف ينطبق على غالبية الأعراب أو شعوب مماثلة أيضاً كما شرحه العلامة إبن خلدون بالتفصيل في مقدمته.

وبتوفيق الشيخ علي هرهرة في مهمته في يافع وإجتذاب القبائل إليه ومحبتهم له ولأسرته ، إرتفعت مكانة الشيخ علي وأسرته لدى سلاطين يافع من بني قاصد أيضاً ، والذين كونوا مع آل الشيخ علي علاقات المصاهرة ، ثم وافقوا في حياة صالح بن أحمد بن علي هرهرة على توليتهم على ''المكاتب'' أو المجموعات القبلية الخمسة في يافع العليا وهي : الحضرمي والبعسي والظبي والموسطي والمفلحي ، وإحتفظوا لأنفسهم الرعاية على ''المكاتب ''الخمسة المتبقية ، وهي: اليهري ، الكلدي ، الناخبي ، السعدي ، واليزيدي الكائنة فيما تسمى يافع السفلى . ولقد إستمر عبر العقود تقدير القبائل

اليافعية لآل الشيخ أبوبكر بن سالم منذ إرساله الشيخ على هرهرة ، وعلى مساعيه المحمودة ، حيث قبلت هذه القبائل الشيخ بوبكر – وهو وحيد عصره وشخصية دينية عملاقة – منصباً ومرشداً دينياً لها ، ومن بعده ، من تولى محله في عينات من سلالته . ولقد إستمر عليها الحال ، ولو بدرجات منخفضة ، إلى أن إستولت الجبهة القومية علي الحكم فيما كانت تسمى إمارات الجنوب العربي ومحمية حضرموت وفرضت على السكان نظامها الشيوعي الهدام .

فعندما وصلت إلحاحات منصب عينات الحبيب علي بن أحمد بن علي بن سالم بن حسين بن الشيخ أبوبكر بن سالم إلى يافع ، كما أتي إليها بدر بن محمد المردوف الكثيري وذبح العقاير أمامهم ملتمساً منهم المناصرة على الطريقة القبلية وبإسم الدين من عدو معارض لمذهبهم ومصمم على تحويل المناطق التي تطيع مذهب الإمام الشافعي إلى متابعة مذهب الإمام زيد ، فبما أن القبائل اليافعية كانت قد إكتوت سابقاً بنيران معاملة الجيوش الإمامية وإنتصرت عليها بعد حروب إستنزافية مطولة ودامية ، كانت شروعاتها في سنة ١٠٦٣هـ/١٦٥٣م عند زحف الجيش الإمامي على منطقة الشعيب وتقدمها على يافع سنة ١٠٦٥هـ/١٦٥٥م ، ولم تخمد بشكل مرض حتى بعد إستسلام وموت العديد من حكامها وشيوخها مثل السلطان معوضة بن العفيف والشيخ الناخبي والأمير عبدالله بن علي هرهرة وغيرهم سنة ١٠٦٦هـ /١٦٥٦م في ظروف مشبوهة ، إلى أن تمكنت قبائل يافع أخيراً من إخراجها من أراضيها تحت سلطانيها قحطان بن معوضة العفيفي وصالح بن أحمد هرهرة حتى إستطاع السلطان قحطان من إمتلاك عدن سنة ١١١٤هـ/١٧٠٢م. فإن هذه العوامل مجتمعه وهي : إلحاح منصبهم الروحي ومرشدهم الديني بالوصول إليه عاجلاً للمدافعة عن مذهبهم ، وإلتماس الأمير بدر بن محمد المردوف الكثيري بالمناصرة بأسلوب يعتبر الرد السلبي عليه عاراً أو إهانة كبرى وفقاً للقيم والتقاليد والأعراف القبلية ومروءة وشهامة ورسالة القبيلة المعنية، وثم نشوة الإنتصار الحديث علي أندادهم بعد حروب دامية ومطولة كانت لها الدور الرئيسي في وصول هذه القوة إلى حضرموت بعد إتخاذ قرار عاجل في''قبل'' أو إجتماع عام حضره السلطانان قحطان بن معوضة العفيفي وعمر بن صالح هرهرة وشيوخ ''المكاتب '' وغيرهم من أبوة وعقال أعيان يافع في المحجبة بيافع العليا سنة ١١١٦هـ /١٧٠٤م ، حيث تقرر أيضاً أن يقوم السلطان عمر بن صالح بقيادة هذه القوة – علماً بأن تموينها بالأقوات بالطبع (من البر والتمر) خلال فترة تواجدها في حضرموت كانت بالطبع من مسئولية المنصب والأمير بدر والأهالي ، الذين أتت القوة من أجلهم ويطلب منهم .

ولقد كلفت عملية تموين هذه القوة مجموعة من المتاعب للأهالي نظراً لضئالة إمكانياتهم

والتي لم يحسبوا لها حساباً جدياً قبل الطلب بالإغاثة ، ولو أن مجموعة كبيرة من هذه القوة عادت إلى بلادها مع السلطان عمر بن صالح سنة ١١١٩هـ/١٧٠٩م بعد الإنتهاء من أداء المهمة الرئيسية التي كانت أتت من أجلها . ولكن من ثم ، توالت الزيارات إلى حضرموت من قبل أعيان ومجاميع يافعية بسبب الصلة المتينة بمناصب عينات والحاميات (التي كانت تدعى " الرتبة" في المفرد و" الرتب" في الجمع) المنتشرة فيها، حيث عند إستعادة أية مدينة أو موقع ذات أهمية من المنافسة ، قامت أجزاء من هذه القوة بترتيب حاميات لها تتكون في الغالب من رجال قبيلة واحدة لو أمكن لكل موقع ، وبنفس الشروط ، أن تكون نفقة أقواتها في شكل عيني أو نقدي على الوالي أو الأهالي . والجدير بالذكر هنا أنه لو عادت مجاميع كبيرة من هذه القوة إلى بلادها بعد النصر وقضاء مهمتها الرئيسية كما ذكر أعلاه ، فإن الجنود الذين طال لهم المقام في حضرموت بسبب نوعية الحرب ، التي كانت إستنزافية وممتدة المدى ، حبذوا الإستمرار في الإقامة بحضرموت ومزاولة نشاطهم . ومع مرور الزمن وإنعدام تواجد أية سلطة مركزية مسؤلية عن الإدارة أو الإنفاق على الحاميات ، فلقد كانت آلت السلطة الفعلية في العديد من المدن والقرى لرؤساء هذه الحاميات اليافعية . وفي المدن الكبيرة التي تكونت حاميتها من أكثر من قبيلة ، أفتتح المجال أمامها للتنافس والتناحر العشائري ، والذي تسبب المزيد من المتاعب والكلفة على المواطنين العادين وبالخصوص العارين من السلاح .

ولقد سميت هذه الفترة التي شاهدت إستيلاء الحاميات على السلطة الفعلية في مراكزها، بفترة" حكم الطوائف" ، حيث" عز" فيها من كانت لديه الإمكانيات و" بز" ، كما إستمر أمرها على هذه الحالة حتى الإنخفاض بعض الشئ عند ظهور إمارة النقباء من آل بريك في الشحر و من آل كساد في المكلا ، وإختفي تماما أو نحوه بعد تكوين دولة آل عبدالله الكثيرية المتمركزة في مدينتي سيؤن وتريم على يدي السلطان الطيب النية ، الهمام غالب بن محسن الكثيري وأعوانه ودولة آل عمر بن عوض القعيطية اليافعية من قبل الجمعدار عمر بن عوض القعيطي وأولاده عبر تمويل ومجهود خيالي من قبل الطرفين – الكثيري واليافعي – من حيدرآباد منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي بالتقريب) ، علماً بأن شخصيتي الجمعدار الثري عبدالله بن علي العولقي وإبنه محسن وإمكانياتهما قد لعبا دوراً كبيراً ، سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة في صناعة والتأثير علي الأحداث السياسية في حضرموت وإن لم تدم دولتهما – التي كانت إتخذت من قرية ومعيان الصداع مقراً لها – طويلاً .

وأما بالنسبة لتوزيع جيوب حكم الطوائف اليافعية خلال الفترة المشار إليها ، فكان على

هذا النحو بالتقريب ، علماً بأنه قد تمثلت فيها غالب"مكاتب "القبائل اليافعية وماجاورها من العشائر التي رافقتها إلى حضرموت وأحصيت ضمنها مثل آل الأرضي(لرضي) من سلاطين آل الرصاص ، وآل الخلاقي والشعيبي وحتي الفضلي . فلقد آل صيانة الأمن والأمان في مدينة شبام وما جاورها لقبائل مكتب الموسطة ، وفي مدينة سيؤن لآل الشيخ علي هرهرة ، ومكتب الظبي ، وفي مدينة تريم لمكتب البعسي، وفي تريس وحورة لآل النقيب، وفي جفل لآل النقيب والرياكي ، وفي مريمة للبكري ، وفي سدبه للجهوري ، وفي الهجرين لليزيدي ، وفي القزه للبطاطي (الذي يعد بيت المشيخة لآل اليزيدي) ، وفي غيل بن يمين لبن شنظور ، وفي ريدة المعارة للكلدي ، وفي غيل باوزير لفترة ما للبعسي ، وفي حريضة لإبن بريك ، وفي لحروم للقعيطي ، وفي المكلا للكسادي ، وفي الشحر لأبن بريك كما سلف (وإن إمتثلت فيها فروع من آل هرهرة ، وبيت مشيخة آل الظبي من عاطف جابر ، وآل إبن معوضة ، وآل البطاطي ، وآل إبن عياش ، والبياتي وآل إبن قحطان) – وهذا بصفتها " رتب " أو حاميات (كما أوضحنا أعلاه) مرتبة ومكلفة بالمسؤلية المشار إليها تقليدياً في غالب الحالات .

وأما عن توزيع العنصر اليافعي في أرجاء حضرموت وعن مساهمته في أدوار وأنشطة البلاد الحيوية التقليدية بالمزيد من التفصيل ، فلقد تناولها المرحوم الشيخ عبدالخالق إبن عبدالله البطاطي (الذي كان عمل قائماً في عدة مقاطعات حضرموت ونائباً للسلطنة القعيطية في بعض ألويتها) بنسبة وافية من التفصيل في كتابه المفيد ،" إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت." ولقد أرفقنا الفصل المعني منه على رأس الملاحق في مؤخرة هذا الكتاب لإطلاع من يريد الإلمام بالمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع .
ويعد إنقراض وزوال النفوذ الإمامي وأعوانه من حضرموت ، أتت اليها حملتان من "الإخوان" أو" الموحدون" ، أحداهما بقيادة علي بن قملا في سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م ، والثانية تحت قيادة ناجي بن محمد بن مشاري في سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م . ولكن لم يطب لهاتين الحملتين المقام في حضرموت بالرغم من المودة التي أبدت لها بعض القبائل بما فيها بعض العشائر من يافع وغيرها التي قامت بمحالفة الدرعية. ولعل السبب في ذلك أن وجودهم في حضرموت كان دب الرعب والخوف في قلوب الناس بسبب الأخبار التي كانت وصلتهم عن نشاط بعض فرق "الموحدين" في ربوع أخرى من الجزيرة العربية . كما أن غالبية السادة العلوية لم ترحب بوجودهم نظراً لهدمها قباب وقبور أجدادهم البارزين. وهكذا يتبين مما سلف أن آخر موجة هجرة الى ديار حضرموت كانت من قبل فصائل من قبائل يافع .

ونرى هنا مجالاً مناسباً لنقل ماذكره السيد عبدالرحمن إبن عبيد اللاه في كتابه المشار إليه سابقاً إقتباساً من عدة مصادر عن" يافع" بأنه " أبو قبيلة من رعين ، وهو يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعين . فيهم (أي من يافع) عبدالله بن موهب وعبدالله بن سعيد بن الصعبة

وغيرهم ، وهم اليوم بحضرموت بطن كبير ينسب إليهم طائفة باليمن لما الآن ، ومن متأخريهم قطب الحرم الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي نزيل مكة و مؤلف "روض الرياحين" وغيره ... وكثيراً ما يطلق علي يافع " بنو مالك " نسبة إلى مالك إبن زيد هذا ... وعن قدم الإتصال بين يافع وحضرموت ، فقد كانوا موجودين بكثرة في جيش بدر بوطويرق و ... عن " عقد جواهر الدرر" وغيره ما يفهم منه وجودهم بكثرة أيضاً في عسكر الصفى أحمد إبن الحسن ، وذكر في " المشرع " في ترجمة العيدروس أنه غضب من قتل أبي دجانة ، صاحب الشحر ، لعمر باقديم ، فلم ينشب أن جهز على عدن فإنكسر وأخذه صاحب عدن عامر بن طاهر وأسروه ومن معه ، وكان مبارك اليافعي هو الذي جراءه على تلك الأفعال ، فقتل وطيف به على جمل ... بمعناه والشاهد... لم يكن ليقبل برأيه أبو دجانه إلا لجلالة قدره عنده وعظم شأنه لديه . وبه يعلم تمكن يافع من القبض علي أزمة السياسة بحضرموت منذ قديم ، وكانت وفاه العيدروس في ٨٦٥هـ (١٤٦١م) . "

وبعد النبذة التاريخية عن قبائل يافع وبعض نشاطها العسكري في حضرموت أثناء فترات من الزمن ، فإننا لسنا في حاجة إلى المبالغة حول شكيمة وبأس رجال قبائلها وشجاعتهم النادرة ولياقتهم المتفوقة في كل ما يتعلق بالعسكرية وشؤنها والتي أعترف لهم بها وأشادها حتى من أندادهم الذين واجهوهم وشاهدوها في ميادين العراك . وعلى سبيل المثال، إضافة إلى ما ذكرنا سابقاً عما قاله المحافظ الروماني "أيليوس قالوس"(AELIUS GALLUS) قائد الحملة الرومانية على جنوب الجزيرة العربية في سنة ٢٤ ق.م ، فبين أيدينا أيضاً ما سجله المؤرخون المسلمون عن إنجازات قبائل يافع في فتوحات مصر وإفريقية والأندلس والشام والعراق مع الجيوش الإسلامية . وعلى سبيل المثال ، فقد كان الصحابي مبرح بن شهاب اليافعي قائد ميسرة جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه عند غزوه لمصر ؛ وأن منطقة الجيزة الواقعة على مقربة من القاهرة الحالية كانت سميت ذلك بسبب أبناء قبائل يافع (وعلى رأسهم حسان بن زياد) الذين كانوا في طليعة الجيش الإسلامي التي إجتازت نهر النيل إلى شاطئه الغربي .

ثم إذا تدرجنا عبر الزمن ووصلنا إلى عصرنا الحالي ، فقل من يعلم عن تلك الفرقة للمشاة المكونة من ثلاثمائة (٣٠٠) مرشح تحت التدريب من شبيبة يافع ، والتابعة لجيش جبهة التحرير التي كانت أرسلت من مدرستها إلى جبهة القتال (جنوب ممر متلا) خلال حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧م ، والتي بالرغم من تواجد الأوامر بالإنسحاب الشامل، رفضت أن تستجيب، وظلت تقاتل الزحف الإسرائيلي المرؤوس بالمدرعات ، بأسلحتها الخفيفه حتى أبيدت عن بكرة أبيها.

ومن الأمور التي تثير الإستغراب أن هؤلاء الكوادر للجندي المثالي يعيشون في بيئتهم حياة تتميز بحرية نادرة في أساليب الحياة، والإستقلال الفردي في التفكير والرأي والقول والفعل، وقلة الخضوع للسلطات العليا، تكاد أن تمنح لمجتمعهم جوا وكأنه غير خاضع لسيطرة القانون ! وكما لم تستطع بريطانيا العظمى بقوتها العسكرية الفائقة أن تجعل دويلات صغيره مقارنة بها مثل أفغانستان ونيبال بالخضوع لسلطانها ، فقد فشلت أن تجعل قبائل يافع"بني مالك" و "بني قاصد " أيضاً يخضعون لحكمها حتى إستقلال عدن وإتحاد الجنوب العربي ومحمية حضرموت في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧م .

لقد تناول تدوين هذا الجانب –أي أساليب الحياة والعادات والتقاليد والأعراف من تاريخ يافع، ولو بأسلوب مختصر ، المرحوم الشيخ صلاح عبدالقادر البكري في تأليفه " في شرق اليمن" وثم الشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي في تصنيفه "رحلة إلى يافع" وبالمزيد من التفصيل نصر صالح بن سبعة اليهري في كتابه الحديث الصدور"من ينابيع تاريخنا اليمني" ، والذي نتمنى له المزيد والمزيد من التوفيق في مساعيه المستقبلية المحمودة . ولقد إكتشفت أيضاً مؤخراً أثناء حضوري ندوة عن الجزيرة العربية في جامعة أكسفورد ببريطانيا ، باحثة فرنسية من باريـس تسمى الدكتورة "مارتين فان هوف" (MARTINE VAN HOVE) مهتمة بدراسة هذا الجانب وبصوتيات ولهجة مناطق بلاد يافع ، ونتمنى لها كامل التوفيق مع الأمل أنها سوف تقوم بنشر نتائج دراساتها باللغة العربية أيضاً ، كما وما ندري كيف تقوم هذه الدكتوره بتحليل وتفسير ملاحظة سعد السويني رحمه الله على لغة هذه القبائل حينما قال: " نولا لغتهم تشبه الضفادع " ! .

الصلات التاريخية بين الشرق والجزيرة العربية

الكل يدري ولو بعض الشئ عن العلاقات التاريخية على إختلاف أنواعها والمصير المشترك الذي كان وما زال يربط الجزيرة العربية بدول الشرق وعلي رأسها شبه القارة الهندية وجزر الأرخبيل الأندونيسي، وبالرغم من أنه لم يتمكن الباحثون والمؤرخون وخبراء الآثار منح هذا الموضوع حق أهميته البالغة إلى الآن، وما زالت الآثار تتطلب المزيد من التنقيب ، وبحاجة إلى المزيد من الفحص الدقيق والمقارنة والتقييم ضمناً مع ما تحويه لمخطوطات والأدلة الأخرى على كل من شواطئ الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية والجزر المذكورة في جنوب شرق آسيا بصفة خاصة، ومكتبات ومتاحف الدول التي توجد فيها مواد تاريخية وتسهيلات لهذا الغرض بصفة عامة، فإنه في نفس الوقت ودون شك بالإمكان أن نتحدث بنسبة وافرة من اليقين عن هذا الموضوع بتناول ما هو متيسر لنا حالياً في شكل معلومات موثوقة وأدلة وإثباتات. إننا نقر بأنه سيأخذ من أي باحث أو كاتب مدة طويلة من البحث الشاق المستمر لكي يوفي حق موضوع واسع النطاق في مضمونه ومنتشر في حيثية المصادر كهذا

الموضوع، كما إننا نعترف بأن ما قد يصل إليها الباحث من إستكشافات وإستنتاجات من خلال بحثه وتحليلاته قد تشكل أكواماً من مجلدات ضخمة تحوي معلومات نادرة ، عالية القيمة من النواحي الاكاديمية بحالها، وإننا لسنا بصدد ذلك هنا، ونسأل الله التوفيق في تحقيق هدف مساعينا المتواضعة هذه ونقدم للقارئ الكريم إعتذارنا المسبق عن أي تقصير أو غفلة قد تطرأ في هذه المحاولة من قبلنا نظرا لضخامة حجم الموضوع الذي نحاول إستعراضه .

ومن الممكن أن نذكر بالنسبة لمصادر المعلومات للعصر الكلاسيكي أن إكتشافات المنقبين وخبراء الآثار، وذلك في مواقع تنتشر بين شرق آسيا ومصر، إضافة إلى تأليفات المؤرخين والجغرافيين اليونانيين والرومان والمصريين والإيرانيين والهنود والصينيين تكون مصدراً قيماً يزخر بمعلومات هامة – وعلى سبيل المثال، فهناك المخطوطة اليونانية النادرة من القرن الأول الميلادي الذي سبق ذكرها وهي – (PERIPLUS MARIS ERYTHRAEI) المؤلفة من قبل بحار يوناني مجهول من الأسكندرية، تم نشرها في شكل كتاب، والتي تذكر بأن ميناء "مزيريس" (MUZIRIS) – وهي مدينة " كرانقانور" (CRANGANORE) على الساحل الجنوبي الغربي للهند حالياً – "تزخر بسفن محملة ببضائع من الجزيرة العربية" . ولقد ذكر الجغرافي الكلاسيكي " سترابو"(STRABO) في سنة ٢٤ ق.م بأن ما لايقل عن ١٢٠ سفينة تغادر من مينائي " مايوس"/ "هرمز" (MYOS-HORMOS) بحاليهما الى ساحل الهند سنوياً . وهناك أيضاً مجموعة كبيرة من المؤلفات (التي لها علاقة بالسلوك) لأتباع المذهب البوذي والتي تسمى "جاتكا" (JATAKA) وبالخصوص ال "سوباركا جاتكا" (SUPPARAKA JATAKA) ، كما هناك الكتاب المسمى "أرثاشاسترا" (ARTHASHASTRA) – وهو تدوين يختص بالسلوك والتعامل السياسي وأنظمة الحكم والتجارة وخطوطها ومسالكها للمفكر الهندي " كاوتليا" (KAUTILYA) والمعروف أيضاً بإسم "تشاناكيا" (CHANAKYA) (المتوفى حوالي سنة ٣٠٠ ق.م) –الذي يزود الباحث بمعلومات عما كانت عليه العلاقات التاريخية وكيفياتها في ذلك العصر .

عدن وسقطرى

لقد أطلق المدونون الكلاسيكيون على ميناء عدن لقب (ARABIA EMPORIUM) أو "متجر بلاد العرب" وأيضاً (EUDAEMON ARABIA أو ARABIA FELIX) أي "العربية السعيدة" ، بينما كانت جزيرة سقطرى تسمى وللعجب – نظراً لما هي عليه الآن – "دفيبا سوخاترا" (DVIPA SUKHATARA) أو "جزيرة السرور" أو "النزهة البالغة" ، وذلك في لغة السانسكريت الهندية . وتذكر هذه المصادر الكلاسيكية عن ذلك

العصر بأنه كان يوجد في سقطرى كما في عدن وغالبية موانئ جنوب شرق وجنوب غرب الجزيرة العربية أيضاً مستعمرات لتجار هنود ويونانيين بالإضافة إلى التجار العرب الذين كانوا حريصين كل الحرص على الإحتفاظ بأسرار الملاحة في مياه المحيط الهندي، مما جعل رئيس مكتبة الأسكندرية اليونانية في عصر البطالمة أو البطالسة يذكر (في عام ١٧٧ق.م) بأن "اليمن هو مركز التجارة بين آسيا و أوروبا".

وبالرغم من أنه تم إكتشاف أسرار الرياح الموسمية من قبل الغربيين وبالتحديد عبر الملاح اليوناني الذي سبق ذكره وهو "هبالوس" (HIPPALUS) أو "هيباركوس" (HIPPARCUS) كما يسميه البعض ، في حوالي (سنة ١٠٠ ق.م) ، والذي إكتشف أنه بالإمكان قطع المسافة ما بين ساحل جنوب الجزيرة العربية إلى الساحل الهندي خلال مدة ٤٠ يوماً مستعيناً بالرياح الموسمية الموافقة التي تعصف في المحيط الهندي في إتجاه شرقي (نحو الهند) خلال فترة الصيف ، وغرباً نحو أفريقيا خلال فترة الشتاء ، فإن ذلك لم يؤثر كثيراً على سيادة العرب على هذه التجارة ، وإن كانت السفن الرومانية بدأت تبحر إلى الموانئ الهندية مثل " بتالا" (PATALA) على نهر " الإندوس" (السند) وإلى موانئ ساحل المالابار في عصري الإمبراطور " تيباريوس" (TIBERIUS) (الذي حكم بين سنتي ١٤م و٣٧م) والإمبراطور " كاليغولا" (CALIGULA) (الحاكم بين عامي ٤١م و ٥٤م) بمحاذاة السواحل العربية وعلى رأسها عدن وكنعا وسقطرى التي كانت مراكز للإستيراد والتصدير للتجارة بين الهند والدول الأخرى .

وكانت البواخر المعنية تبحر لأغراض هذه التجارة من الموانئ المصرية في طريقها نحو الهند في شهر يوليو وترسو في عدن أو سقطرى لشراء اللبان والمر لعرضهما للبيع في أسواق الهند ، وتعود بالبهارات وعلى رأسها الفلفل الأسود ، الملقب آنذاك بـ "الذهب الأسود" وخشب العود وبضائع هندية أخرى مثل الأقمشة والفصوص والعاج والأخشاب والحديد لبيعها في أسواق الدول المجاورة للبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط .

وقل من يتصور الآن مدى الأهمية التي كانت ممنوحة في ذلك العصر لتجارة اللدائن نظراً لدورها البارز في ممارسة التقاليد والمراسم الدينية لدى جميع الشعوب القديمة وبدون إستثناء ، وقلة الإنتاج السنوي في موطنها مقارنة بالإحتياجات الواسعة النطاق لها. وعلى سبيل المثال ، فيذكر الجغرافي وعالم الطبيعة الروماني الكبير "بليني" (PLINY) السالف الذكر بشئ من النقمة عن تبذير الأمبراطور " نيرون" (NERO) الذي حكم من سنة ٥٤م إلى عام ٦٨م ، بأنه أحرق إنتاج سنة كاملة لهذه اللدائن في تشييع جثمان حظيته "بوبايا" (POPPAEA) التي ذهبت ضحية ضمن سلسلة من أعمال القتل

الوحشية التي إرتكبها تالية لإكتشاف أمر مؤامرة ضد شخصه سنة ٦٥م . ولقد سبق أنه كان قتل أمه وزوجته أثر نوبة من الطيش الوحشي الجنوني الذي إشتهر به في التاريخ . ويذكر "بليني" أيضاً وبأن العاملين لدى بائعي هذه اللدائن ، وعلى سبيل المثال في الإسكندرية يؤدون واجباتهم تحت مراقبة دقيقة ، والربط والضبط الذي يخضعون له ويعاملون به كان يشبه في دقة كثير من تفاصيله معاملة سلطات الأمن مع العاملين في مناجم الألماس في يومنا هذا في جنوب أفريقيا وغيرها من البلدان بل وأشد ! – وبإمكاننا أن نكون فكرة عن كميات الإنتاج والإستهلاك لهذه اللدائن مما تذكره بعض المصادر أن معبد "بعل" في بابل بحاله كان يحرق ما يوازي ستين ألف (٦٠,٠٠٠) رطلاً من اللبان سنوياً ، فما بالكم عن معابد الشعوب والديانات الأخرى مثل الصينيين ، والهنود ، والفرس ، والمصريين ، واليونانيين ، وبعدهم الرومان ! – وأيضاً بأن الإمبراطور "دارا" – "داريوس" باليوناني – من سلالة الأخمينيين التي حكمت بلاد فارس أكثر من قرنين بين سنتي ٥٥٠ق.م ، و ٣٣٠ ق.م) – كان يستلم ما يزيد عن ثلاثين (٣٠) طن من اللبان في شكل إتاوة سنوية من العرب .

أما بالنسبة للفترة ما بين ظهور الإسلام إلى القرن السادس عشر الميلادي حين إستطاع البرتغاليون تقليص سيطرة العرب على هذه التجارة في مياه المحيط الهندي بعد الحصول على أسرار الملاحة فيها من بعض الملاحين العرب، ويقال أنه من أحمد بن ماجد ، فهناك مجموعة كبيرة من المصادر بما فيها بيانات لرحالة ومؤرخين وجغرافيين من عدة جنسيات ، وعلى رأسهم العرب ، التي ترسم لنا صورة – وإن كانت في بعض الأحيان غير مرتبة – عما كانت عليها الأمور في تلك الفترة. وسوف نقدم للقارئ الكريم أسماء هم في المكان المناسب إن شاء الله كما يتيسر مع تطور هذه الدراسة .

الإسلام وشبه القارة الهندية

مما لا شك فيه أن تعريف الإسلام في شبه القارة الهندية تم بواسطة الملاحين والتجار العرب في النصف الأول من القرن السابع الميلادي . فهناك رواية منتشرة في أرض المالابار بأن أحد ملوكهم ، وإسمه "شكراوتي فرماس" (CHAKRAWATI VERMAS) تشرف بزيارة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقبول الإسلام على يديه ، وبأن سفره إلى الحجاز كان بناء على تحقيق تنبؤ قديم مذكور في مخطوطة موجودة في خزانته، كما تذكر بعض الروايات بأنه توفى في ميناء الشحر في حضرموت وهو في طريقه للعودة إلى وطنه.

وإن لم تصدق هذه الرواية ، فهناك رواية أخرى بأن أحد التابعين والذي يسمى مالك بن دينار، وصل مع مجموعة إلى تلك الديار وغادر منها إلى أرض "سرنديب"(سيلان/ سري لانكا حالياً) باحثاً عن آثار قدم سيدنا آدم عليه السلام ، وبأنه كان وصوله في ميناء " كرانقانور" في سنة ٦٤٣م (٢٢هـ) . ولقد تم خلال هذا القرن إكتشاف أول نحت إسلامي مؤرخ في ميناء" بنتلايني كولم" (PANTALAYINI KOLLAM) في أرض الملابار ، والذي يعود تاريخه إلى سنة ٧٨٨م (١٧١هـ).

أما بالنسبة لصلات العرب بشمال غرب الهند ، فأول غارة شنها العرب على الساحل الهندي كانت ضد ميناء "بروش" (BROACH) بأمر عثمان بن أبي العاص الثقفي حاكم البحرين وعمان والتي كانت في سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م بالتقريب. كما كان يوجد للمسلمين نشاط عسكري ملحوظ عبر البر في السند ومكران التي أدت في ما بعد إلى السيطرة ومن ثم تأسيس دويلات إسلامية حكمها نبلاء عرب من قريش وغيرها من القبائل كما ذكر البلاذري وغيره من المؤرخين. وعلى سبيل المثال ، فيروي المسعودي (المتوفي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م) الذي زار الهند في أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) بأن " صاحب مملكة بلد المولتان (MULTAN) رجل من قريش من أسامة بن لؤي بن غالب وكذلك صاحب مملكة المنصورة .... من ولد هبار من قريش." وفي وصفه عن المنصورة ، يقول المذكور بأن " جميع مال المنصورة من الضياع والقرى مما يضاف إليها ثلاثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة " . ويقول المقدسي الذي عاش نحو ٣٧٥هـ/٩٨٥م في كتابه " أحسن التقاسيم " بأن أهل المولتان "يحبون الغرباء وأكثرهم من العرب " . ومن الجدير بالذكر هنا أنه بعد ما تيسر لعساكر من المسلمين فتح تلك الديار ، قام قادتها العرب بتأسيس مستوطنات عسكرية مثل المنصورة والمولتان وغيرها في شمال وجنوب أراضي السند . ويذكر إبن حوقل بأنه وجد سكان هذه الديار يتكلمون مزيجاً من اللغة العربية واللغة المحلية .

ولقد إهتم بأمر فتح الهند، ولو بدرجات مختلفة ، جميع الخلفاء الراشدون (بإستثناء سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه) وبعدهم معظم الخلفاء البارزين من الأمويين والعباسيين. وعلى سبيل المثال ، فبإمكاننا أن نذكر أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد أمر الحارث بن مره العبدي بغزو الهند عام ٣٩هـ/ نحو ٦٥٩م ، وبأنه قتل في أرض السند في سنة ٤٢هـ/٦٦٢م. ثم جرب الخليفة الأموي معاوية قائده المهلب بن أبي صفرة في تأدية هذه المهمة والذي فشل في الوصول الى حدود هذه الديار بسبب معاركه مع القبائل من الأتراك. ثم قام بتبن هذه المهمة بعده عبدالله بن سوار العبدي الذي كان عاد بغنائم . ولقد سبق ذكر مساعي عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي و "جيش الطواويس" وبأن نشاطه كان قد وصل إلى حدود الهند الكبرى خلال سنة ٨٠هـ/٦٦٩م ، ولكن ضغوط سياسية

خارجة عن إرادته أرغمته على الإنسحاب . وأما إكليل الفتح لهذه الرقعة من الهند للإسلام ، فهو يقع على رأس القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي الذي إستطاع في أيام الخليفة الأموي الوليد إبن عبدالملك أن يضع أساساً لدولة عربية إسلامية دامت قرونا طويلة والتي كانت بدايتها في سنة ٩٣هـ أي نحو عام ٧١٢م . وكانت لهذا الفتح عواقب إيجابية كبيرة، منها، زرع بذور المساواة في مجتمع يؤمن بالطبقية المذهبية ويحتقر البؤساء و"المنبوذين". ولقد أدت هذه الفتوحات وأخذ السبايا إلى إمتزاج العنصر العربي بالهندي إلى درجة ملحوظة ، وعلى سبيل المثال ، فيبين إبن سعد في "الطبقات الكبرى " وإيضاً إبن خلكان في قاموسه" وفيات الأعيان" أن أم محمد بن الحنفية – خولة، زوجة سيدنا علي بن أبي طالب كر م الله وجهه كانت هندية ، ويبين إبن قتيبة الدينوري (المتوفى سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م) في كتاب "المعارف" مع إبن خلكان في هذا الصدد إسم سلافة أم زين العابدين ، وكذلك أم يزيد بن عمر بن هبارة حاكم العراق من قبل الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك ..... وهناك أمثلة كثيرة على هذا النحو .

ومثلما كان زحف الجيوش الإسلامية نحو حدود غرب الهند مصدراً لنشر الدعوة الإسلامية وتأسيس إمارات سادها نبلاء عرب مثل : ١) الدولة الماهانية التي أسست في عهد الخليفة العباسي المأمون على يد مولى بني أسامة العمانيون وهو فضل بن ماهان (و دامت من عام ١٩٨هـ/٨١٤م إلى سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م) – و ٢) الدولة الهبارية التي أسست على يد عمر بن عبدالعزيز الهباري (و دامت من عام ٢٤٧هـ/٨٦١م إلى سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م بالتقريب) – و ٣) الدولة السامية بالمولتان المؤسسة على يد محمد بن القاسم بن منبه السامي (والتي دامت من عام ٢٧٩ هـ/٨٩٢م إلى سنة ٣٧٠ هـ /٩٨٠م) – و ٤) الدولة المعدانية التي تأسست على يدي عيسى بن معدان (وكانت مدتها من سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م إلى عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م بالتقريب)– و ٥) الدولة الإسماعيلية التي أسست سنة ٣٧٥هـ /٩٨٥م بالتقريب على يد جلم بن شيبان ، الذي كان فتحها بإسم الفاطميين.

ومن الجدير بالذكر هنا أن أفراد الأسرة الحاكمة في ولاية "بهاولبور" (BAHAWALPUR) التي إنضمت الى باكستان بعد إستقلال الهند من بريطانيا في عام ١٩٤٧م ، ما زالوا يفتخرون بنسبتهم إلى العباسيين ويستخدمون تلك التسمية أي – "العباسي"– كلقب عائلي لهم . ويقول صاحب "معجم البلدان" (ياقوت الحموي) عن حكام العرب في عصره، وهو القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، "أن لكل واحد من رؤسائهم إسم بالعربية وإسم بالهندية ". فكانت للصلات بين المسلمين العرب والهنود نتائج إيجابية كثيرة أدت إلى إنتعاش موانئ تجارية على سواحل الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية بالتساوي ،

فبينما انتعشت موانئ " دبهول"(DABHOL) ميناء سلطنة "بيجابور" (BIJAPUR)" و "سورت" (SURAT) و"بروش" (BROACH) و"كمبايا" (CAMBAY) و "كاليكوت "(CALICUT) و"كنانور" (CANNANORE) و"كوللم" (KOLLAM) و "كرانقانور" (CRANGANORE) و "فيناتي" (VENATI) على الساحل المغربي الهندي التي توجد في بعض منها جاليات من اليهود والمجوس من الفرس"(PARSEES) والسوريين النسطوريين (NESTORIANS) ، فلقد إنتعشت أيضاً على السواحل العربية مدن هرمز و البصرة و عمان (صور) و ظفار و سقطرى و الشحر وعدن و جدة . و يذكر اليعقوبي أن ميناء عدن في عصره كان يستقبل سفناً من سواحل أفريقيا وجدة و"سلهت " (SYLHET) – اي "البنغال" (BENGAL) والصين ، ويذكر المقدسي في القرن الرابع للهجرة (العاشر الميلادي) عن عدن بأنه إذا أتي إليها رجلاً بألف درهم (وهي مسكوكات فضية) لغرض التجارة ، فبإمكانه أن يعود منها بألف أشرفي (وهذه مسكوكات ذهبية) في وقت يسير .

وأهم من كتب عن هذا العصر من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين البلاذري (المتوفى سنة ٣٣٩هـ / ٨٩٢م) ، وإبن حبيب (المتوفى عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، وإبن رستة (المتوفى عام٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، وإبن حوقل (المتوفى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، والمسعودي (المتوفى عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م) ، والبيروني (المتوفى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م وقيل سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م)، ثم يليهم آخرون مثل إبن بطوطة (المتوفى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) وغيره .

النفوذ العربي التجاري

ولقد كان حاول العرب مد سلطانهم عبر البر إلى جنوب شبه القارة الهندية سنة ١١٥هـ/٧٣٣م لكنهم لم يفلحوا إذ تصدى لمحاولتهم "بوليكيسن " (PULEKESIN) احد الحكام الهندوكين الأقوياء ، بينما إستمر إمتداد نفوذهم التجاري والثقافي عبر البحر عن طريق القنوات التجارية حتى وصل إلى مستوى يحسد عليه . ويقول المسعودي بأنه وجد "صيمور" (CHEMBUR) – وهي ضاحية من ضواحي مدينة بومباي اليوم –١٠٫٠٠٠ من العرب.

كما يذكر إبن بطوطة عن المنطقة المعروفة لدى العرب بتسمية "كم كم"أي (KONKAN) بأنها كانت مشهورة بحفاظ القرآن الكريم ، وأن "شاه بندر"أو نقيب جالية التجار في

"كاليكوت" كان من البحرين ، وأيضاً بأن – حاكم تلك الضاحية – (الذي عرف لدى العرب بلقب " السامري" و كـ "زامورن" (ZAMORIN) لدى البرتغاليين في ما بعد) – كان بالغ العطف على التجار العرب كما كان أيضاً في حالة حرب في فترة تالية ضد البرتغاليين ، وذلك دفاعاً عن مصالح التجار العرب. وأشاد إبن بطوطة بمستوى المراكز العلمية للمعارف الإسلامية والعربية التي كانت موجودة في جنوب الهند خلال فترة زيارته وعلى رأسها مركز "فونان"(PONANI) ، الذي وجد فيه علماء بارزين من غالبية الأقطار العربية، وعلى رأسها الشام ومصر والحجاز واليمن ، يدرسون العلوم القرانية والتفسير والحديث والفقه واللغة والنحو والصرف وعلم الكلام والشعر والحساب والطب. وسجل إبن بطوطة الملاحظة بأنه وجد في مدينة زارها ، قضاة وخطباء وعلماء أكفاء للإفتاء ، وغالبيتهم تابعون للمذهب الشافعي، مما يدل على مدى نفوذ عرب جنوب الجزيرة العربية في تلك الديار مقارنة بمناطق أخرى . ويذكر إبن بطوطة أيضاً بأنه وجد علماء على مستوى الشيخ شهاب الدين بن حجر المكي وأحمد بن عثمان اليماني ضمن آخرين يقومون بالإشراف على أمور التدريس في " فونان " .

وإنه ليس من المبالغ فيه لو ذكرنا هنا أن شعب جنوب الجزيرة العربية مع شرقها وغربها يميل نحو الأسفار البعيدة وطويلة المدى لغرض تحسين مستوى المعيشة ، فلا عجب إذ كان نفوذهم في تلك الديار أبرز من أية جماعات عربية أخرى .

ولقد أدى هذا الإمتزاج العلمي والثقافي والعنصري إلى إمتداد الدعوة الإسلامية ونشر اللغة العربية والعلوم المتعلقة بها ، حتى بدأ العلماء المحليون إستخدام اللغة العربية لأغراض التأليف في خدمة نشر الوعي الإسلامي والمعرفة والتدريس وفقاً للمناهج العربية التي تم تعريفها لهم ، كما قام بعض مشاهيرهم بالسفر إلى الحرمين الشريفين والإقامة بهما لغرض كسب العلوم والتدريس فيهما منذ تلك الفترة إلى العصور القريبة ، تاركين وراء هم مدارس ومكتبات – ما زالت قائمة – كآثار لمساعيهم .

ولغاية ورود البرتغاليين إلى هذه المياه عقب رحلة "فاسكو داجاما"(VASCO DA-GAMA) من البرتغال الى ساحل غرب الهند ("كاليكوت") عن طريق رأس الرجاء الصالح في شهر مايو سنة ١٤٩٠م (٨٩٥هـ) ، كانت المواصلات والتنقل بين بلاد العرب والهند وشرق آسيا أمراً متيسراً يتميز بشيء كثير من الأمان بالرغم من وجود بعض القراصنة، حيث كانت السيادة في هذه المياه لربابنة مسلمين ؛ وكثيراً ما نجد إشارات إلى تبادل ثقافي عميق بين الشعوب القاطنة على السواحل المتاخمة لمياه

المحيط الهندي.

ثراء الهند كما وصفه الرحالة والشعراء

كانت الهند تشتهر منذ العصور القديمة بغناها الأسطوري ، وعلى سبيل المثال ، يقول الدينوري (المتوفي في أوائل القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر الميلادي) في "الأخبار الطوال " بأنه عندما إستفسر سيدنا عمر الخطاب رضي الله عنه – وقيل الخليفة الأموي الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، وهو في الغالب الأصح – عن الهند من بعض التجار ، سمع بأن "بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر". ويذكر إبن خرداذبه (المتوفي في سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م بالتقريب) في "المسالك والممالك"أن محمد بن القاسم الثقفي عندما فتح المولتان لقبه "فرج" – أي ثـغـر – "بيت الذهب"نظراً لما وجد في قلعة من قلاعها من كميات ذهب وهي "أربعون بهاراً ذهباً والبهار ثلاثمائة وثلاثون مناً – أي ألفا ألف وثلاثمائة ألف وسبعة وتسعون وستمائة مثقال" ، وهذا حسب تقديرنا يوازي ١٢ر٣٢٠ كيلو جرام بالتقريب . ولقد أشار إلى هذا الحدث الشاعر الكبير جرير (المتوفى سنة ١١٥هـ/٧٣٣م) عندما مدح الخليفه الأموي الوليد بن عبدالملك (الذي حكم بين سنتي ٨٦هـ/٧٠٥م و ٩٦هـ/٧١٥م) ، والذي بلغت في عصره الإمبراطورية الإسلامية أوج عزها عبر فتوحات على جميع الجبهات في الشرق والغرب وعلى البحار قائلاً :

" و أرض هرقل قد قهرت داهـر و تسـعى لكم من آل كسرى النواصف
و أدت إليك الهند ما في حضونها و من أرض صينستان يجبى الطرائف.."الخ

كما يقول شاعر عباسي عن ثراء الهند في العصور التي تلت :

" لعمري أنها أرضى إذا القطر بها ينزل
يصير الدر والياقوت والدر لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب يستعمل من يتقل
وأنواع الأفاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والسندل
وإن التوتيا فيها كمثل الجبل الأطول

ومنها البير والنمـــر ومنها الفيل والدغفل
سيوف مالها مثل قد إستغنت عن الصيقل
وأرمح إذا اهتزت اهتز بهـــا الجحفل ."

ويعلق المؤرخ الهندي الحديث "شاستري" (SHASTRI) على مثل هذه المشاعر التي كانت منتشرة لدى الشعوب الأخرى بأن الهند كانت أبد الدهر ينظر اليها من قبل الغير بنظرة "البقرة الحلوب" بسبب ثرواتها المتنوعة الأصناف – وهي كانت على هذا الأمر حتى تغلبت على خيراتها مشاكل تنبثق من كثافة السكان .

وكثيراً ما كانت تتوجه إليها أنظار مشاهير تلك الأزمنة سعياً وراء كسب المزيد من الشهرة والإعتراف والغني ، ولقد شجعتهم على ذلك عدة عوامل منها سياسية وإجتماعية، كانت سائدة في الهند عبر تاريخها ، كما شجعهم أيضاً الترحيب والتكريم الذي كان ينتظرهم عند وصولهم إلى تلك الشواطئ من قبل عدد كبير من الحكام والنبلاء والأخيار. ومن الجدير بالذكر هنا أن الأمراء الهنود كانوا ينظرون في وجود وتوظيف الأجانب لديهم مصدراً للفخر والإعتزاز أمام شعبهم وأندادهم . ولنتناول على لسان صاحب "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار"– وهو إبن بطوطة– ما شاهده وأختبره من تجارب بهذا الصدد عند وصوله إلى حدود الهند في الممالك التابعة لسلاطين" دهلي" (DELHI) من المماليك الترك ، و بالذات في بلاط السلطان محمد بن تغلق الذي كان حاكماً بين سنتي ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م و ٧٥٢هـ/١٣٥١م – (وهو من سلالة التغلقيون – ولعل كلمة "تغلق" هذه تحريف ل "قتلغ" وهو إسم تركي يعني " مبارك"!)– وعند وصوله إلى بلاد "بنج آب" (PUNJAB) – "أي بلاد الأنهار الخمسة "– "بتاريخ الغرة من شهر المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة" يوصف إبن بطوطة بأنه : "إذا كتب المخبرون إلى السلطان بخبر من يصل إلى بلاده ، عرفوه أنه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا ، و ...... عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه وجميع تصرفاته ، لا يغادرون من كل ذلك شيئاً ..... حتى ينفد أمر السلطان بقدومه وما يجرى له من الضيافة . وإنما يكرم الإنسان هناك بقدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته وهمته ... ومن عادة ملك الهند ..... إكرام الغرباء ومحبتهم ، وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة، ...ولابد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها إليه ويقدمها وسيلة بين يديه ، فيكافئه السلطان عليها بأضعاف مضاعفه .. ولما تعود الناس ذلك منه ، صار التجار الذين ببلاد السند والهند

يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير ديناً ويجهزونه .... فإذا وصل إلى السلطان أعطاه العطاء الجزيل ، فقضى ديونهم ووفاهم حقوقهم ، فنفقت تجارتهم وكثرت أرباحهم ... ". ويقول أيضاً : "وقد شهرت في الناس حكاياته في الكرم والشجاعة ، وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الخيانات . وهو أشد الناس مع ذلك تواضعاً ، وأكثرهم إظهاراً للعدل والحق . وشعائر الدين عنده محفوظه، وله إشتداد في أمر الصلاة والعقوبة على تركها .... من أخباره فيه عجائب لم يسمع بمثلها عمن تقدمه ، وأنا أشهد بالله وملائكته ورسله أن جميع ما أنقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين، وكفى بالله شهيدا. وأعلم أن بعض مآثره من ذلك لايسع في عقل كثير من الناس ، ويعدونه من قبيل المستحيل عادة ، ولكن شيئاً عاينته وعرفت صحته وأخذت بحظ وافر منه لا يسعني إلا قول الحق فيه وأكثر ذلك ثابت بالتواتر في بلاد المشرق .... " كما يقول : "والبلاد التي تقرب من أرض الهند، كاليمن وخراسان وفارس مملوة بأخباره ، يعلمونها حقيقة ، ولا سيما جوده على الغرباء ... فإنه يؤثرهم ، ويجزل لهم الإحسان ، ويسبغ عليهم الانعام ، ويوليهم الخطط الرفيعة .... والمواهب العظيمة . ومن إحسانه أن سماهم " الأعزة " ، ومنع من أن يدعو "الغرباء "، وقال :"وإن الإنسان إذا دعى غريباً إنكسر خاطره وتغير حاله " .

المعاهد و العلوم الإسلامية في الدكن (جنوب الهند)

ولقد فتح هؤلاء الحكام العديد من المدارس والمعاهد العلمية والدينية وإستخدموا فيها النازحين والزائرين بإغرائهم على البقاء لتدريس الخاصة والعامة ، وبإمكاننا أن نذكر هنا من حيث المثال مدرسة غياث الدين محمود الملقب " كاوان" (GAWAN) – وهو غياث الدين محمود إبن محمد الجيلاني المتوفي سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م – في مدينة" بدر" (BIDAR) التي أسسها ذلك الوزير العالم الموصوف في التاريخ " بإمتيازه في الحكمة بين العرب والعجم " في تلك الديار – وهو صاحب ديوان أشعار ونثر باللغة العربية أيضاً – للسلاطين البهمنيين في عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م ، ويذكر وفقاً لبعض البيانات بأن مكتبة هذه المدرسة كانت تحوي ما لا يقل عن ٣٥،٠٠٠ نسخة من الكتب عن شتى مواضيع ومجالات مختلفة من العلوم. وبإمكاننا أن نذكر هنا أيضاً عن بعض سلاطين هذه الأسرة أن السلطان محمود شاه (الذي حكم بين سنتي ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م و ٧٩٩هـ/١٣٩٧م) كان يجيد اللغة العربية إضافة إلى اللغة الفارسية كما كان قارئاً بارعاً ممتازاً للقرآن الكريم. والمشهور عن خليفته السلطان فيروز شاه (الذي حكم الى عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م) بأنه كان عالماً باهراً في غالبية العلوم المعقولة والمنقولة ويمتاز في عدة لغات ، بحيث أنه كان يلقي المحاضرات على الطلبة في علوم التفسير والتجويد والفلسفة وعلم الكلام والطب وعلم الفلك

والحساب والهندسة في ما لايقل عن ثلاثة أيام في الأسبوع دون إنقطاع . ومن طرائف أخباره، ذكر بأن حرمه كان يحوي فتيات من جنسيات عدة ، وبأنه كان قد أحضر لكل واحدة منهن ثلاث خادمات ينطقن بلغتها الطبيعية ، وأنه نظراً لحبه البالغ للغة العربية ، فإنه كان منح لزوجته العربية تسع خادمات ومرافقات عربيات ! ومن المشهور عن هذا السلطان بالذات أنه كان يبعث بسفنه الى جهات مختلفه في المواسم بمهمة إغراء وإحضار علماء وفقهاء وأدباء إلى بلاطه لغرض المرافقة والتدريس . ومن الجدير بالتدوين هنا أيضاً أن قد سبقه في ذلك كما قلده العديد ممن سلف وخلف من حكام هذه الشبه القارة . وعلى سبيل المثال ، فأحد خلفائه ، السلطان علاء الدين أحمد (الثاني) الذي حكم بين سنتي ٨٤٠هـ/١٤٣٦م و ٨٦٢ هـ/١٤٥٨م كان قد إستوزر العراقي محمود بن علي الباوردي بعد إزالة وزيره "ملك "حسن بحري الملقب "نظام الملك" من ذلك المنصب .

والمعروف عن الإمبراطورية البهمنية التي سادت على رقعة واسعة من جنوب الهند منذ تأسيسها في سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ، والتي دامت لغاية أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بل وإستمرت في شكل ما حتى سنة ٩٣١هـ/١٥٢٥م، بأنه عندما ضعفت جذورها، فإنها إنقسمت إلى خمس سلطنات يأتي ذكرها ، وهي ذات أهمية رئيسية في تاريخ علاقات العرب بالهند ، حيث إستمرت هذه السلطنات أيضاً على نهج السلطنة الأم في تشجيع وتكريم العلماء العرب وغيرهم من الوافدين إلى بلاطها .

ولقد دامت هذه السلطنات في الغالب من أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (أوائل العاشر الهجري) إلى الخمس الأخير من القرن السابع عشر الميلادي (العقد الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة). ويصادف أن تمثل هذه الفترة العصر الذهبي للحكم المغولي في شمال الهند ، وأيضاً لحكم سلاطين كجرات الأفاغنة الذين حكموا تلك المناطق القوية الصلة بالملاحة العربية من أوائل القرن الخامس عشر الميلادي (أوائل القرن التاسع الهجري) إلى الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي (أواخر القرن العاشر للهجرة).

ولقد إشتهرت جميع هذه الدول بإستقبالها للعرب وتوظيفهم ومنحهم مناصب عليا لديها . ومن المعروف أنه قد زار هذه الديار عدد كبير من العلماء والميالون نحو التصوف لغرض نشر الدعوة كما إستشهد بعضهم فيها ودفن بها. والتواريخ لتلك الفترة، وغالبيتها باللغة الفارسية ، ولكن مجموعة منها باللغة العربية أيضاً، تعطينا

فكرة جيدة ، ولو بأسلوب متقطع ،عن أسماء الكثير من هؤلاء ونشاطهم وإنجازاتهم إضافة إلى التواريخ العربية التي تم تدوين بعض منها في البلاد العربية مثل مصر واليمن وحضرموت . ومن هذه الكتب العربية التي كان تأليفها في الهند، بإمكاننا أن نذكر على سبيل المثال تاريخ" النور السافر عن أخبار القرن العاشر "للسيد عبد القادر بن شيخ العيدروس (المتوفى سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م) ، وتاريخ "كجرات "المسمى" الظفر الواله بمظفر وآله" لعبد الله بن محمد ألغ خان الذي عاش خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، و"تحفة المجاهدين لبعض أحوال البرتغاليين " لزين الدين المعبري الذي عاش أيضاً خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، والتي كلها ترسم لنا جمعاً صورة واضحة عن ما كانت عليها الأحوال بالنسبة لوضع ومكانة وأنشطة العرب في تلك الرقاع خلال ذلك العصر.

أما بالنسبة لأحوال العرب في بلاط المغول، فهناك تواريخ باللغة الفارسية لكل أمبراطور وعصره والتي تدون الوقائع من الأحداث السياسية والدبلوماسية وغيرها لجميع سنوات الحكم لكل منهم في ترتيب تسلسلي بالسنين في شكل روزنامة أحداث ، بحيث يمكن لنا أن نجد فيها المعلومات عن زيارات وسفارات بعض المشاهير التي إستقبلها البلاط المغولي من العرب وغيرهم.

تجارة الخيول العربية واللؤلؤ

ومنذ تعريف الخيول العربية إلى جنوب شبه القارة الهندية، كانت لهذه المطايا قيمة خيالية لدى الأمراء الهنود بحيث أغتنى الكثير من التجار العرب من نجد والإحساء والبحرين والعراق كما أيضاً تجاراً من الهنود والبرتغاليين وغيرهم بنشاط جلب الخيول لاسطبلات جيوش هؤلاء وإسطبلات مراكبهم الخاصة . ومن الجدير بالذكر أن هذا النشاط قد إستمر عبر القرون إلى أن نالت الهند إستقالها من بريطانيا في سنة ١٩٤٧م .

وبالنسبة لتقدير الهنود للخيول العربية، فيقول "دومنقوس بايز" (PAEZ) الذي كان يتاجر بالخيول العربية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي(القرن العاشر للهجرة، بأن "نرسيمها" (NARSIMHA) " راجا" "فيجيا نكر" (VIJYANAGAR) – (وهذه امبراطورية هندوكية عظيمة في جنوب الهند دامت مدتها بأحوال مختلفة وتحت رأيات أربع أسر حاكمة من سنة ١٣٣٦م/٧٣٧هـ إلى سنة ١٦٣٨م/١٠٤٨هـ بالتقريب)

– كان قد خصص الدخل السنوي لعاصمته ، وهي في يومها "من أكبر وأفخم مدن العالم"، لشراء وإقتناء المطايا لأسطبله الخاص في بلاطه. ويذكر برتغالي آخر وهو"نونيز" (NUNIS) بشئ من العجب بأنه قد وجد الهنود على إستعداد لتسديد كامل القيمة وحتى مقابل تلك الأعداد من الخيول التي ماتت أثناء الرحلة من مصدرها إلى الهند إذا إستطاع البائع أن يعرض على المشتري ذيول هذه الحيوانات التي كانت سقطت ضحية الرحلة. وما زالت آثار نشاط هؤلاء التجار العرب باقية في عدة مدن هندية في شكل أحياء وشوارع تحمل أسماء تنتسب إليهم مثل ما هو الحال في مدينة"مومباي "(تسميتها التاريخية التي تمت العودة إليها مرة أخرى الآن) أي "بومباي" (BOMBAY) ، وعلى سبيل المثال "عرب قلى"– أو زقاقة العرب – علماً بأن هذه المدينة كانت آخر مقر هام لهذه التجارة، وهذا شأن عدة من المدن الأخرى.

وأما بالنسبة لتجارة اللؤلؤ الطبيعي (والذي أيضاً يوصف بـ "البصري"أو "البحريني" أو "السورتي" في الهند) والتي لعب فيها العرب دوراً بارزاً طوال القرون ولغاية الحرب العالمية الثانية عندما قضت على هذه التجارة التقليدية المنافسة اليابانية بإختراعاتها البديلة والرخيصة ، فكانت بومباي قد أصبحت بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول بالتقريب من القرن العشرين عاصمة هذه التجارة في الشرق و المركز الثاني – بعد مدينة باريس – في العالم ، علماً بأن المركز السابق لهذه التجارة في الشرق كانت مدينة " سورت " (SURAT) التاريخية والمتجر الكبير على مقربة من" بومباي" ، والتي كان يأتي إليها العرب بسفنهم التقليدية وإستقر فيها لأغراض التجارة ، كما كان يبحر منها الحجاج الهنود وغيرهم من آسيا الوسطى لأداء هذه الفريضة المباركة. وتوجد في متحف أمير" ويلز " في " بومباي " مخطوطة نادرة ورائعة ، مزينة بمنمنمات ، للكتاب" أنيس الحج " –وهو عبارة عن قصة رحلة وحج أحد العلماء، صفي ولي القزويني ، تم تدونيه في سنة ١٠٨٧هـ /١٦٧٧م ، والذي يعطي صورة واضحة عن العديد من جوانب ومخاطر الرحلة البحرية إلى الديار المقدسة من ميناء "سورت " وثم عن تأدية المناسك ، والأحوال المتواجدة فيها خلال ذلك العصر ، كما العودة منها إلى السواحل الهندية .

ولقد لمعت أسماء العديد من الأسر من الجزيرة العربية في ميادين هذه التجارة (أي – اللؤلوء) وغيرها من الأعمال . ولم يتأخر هؤلاء على الإنفاق بسخاء على أعمال الخير أيضاً . وندون هنا بنسبة وافية من اليقين و الدقة والإعتزاز أسماء بعض منها عبر الإشارة إلى أقطابها البارزين و المشتهرين ، وذلك إستحساناً لها ولهم على ما سجلوا وسجلت من تاريخ في دفتر أعمال وإنجازات العرب التجارية والإجتماعية في شبه القارة

الهندية ، وبالخصوص أثناء نصف القرن قبل إستقلالها من الحكم البريطاني في سنة ١٩٤٧م ، حيث تحلى خلالها العديد من أبناء هذه الأسر بلقب "أمراء" تجارة اللؤلوء – قامت الخاصة والعامة بإطلاقها عليهم لما لاحظوا من قوة وضخامة لحجم نشاطهم ، علماً بأن كانت للعديد من هؤلاء أنشطة تجارية وصناعية أخرى وعلى نفس الحجم المتميز .

وعلى سبيل المثال ، فكان أبرز ممثلي الحجاز في هذه الجالية : الحاج محمد على زينل (الذي كان يعد من كبار أعيان العرب لوقته) – والحاج عباس عبدالله عباس وأخوته وأولادهم ، كما كان هناك آخرون مثل بيت عرب.. ألخ. ومن الكويت ومن الذين كانوا ضمن أبرز صدور العرب ، الشيخ عبداللطيف بن عبدالرزاق – والشيخ حمد العلي القاضي – والشيخ مشاري – والشيخ مصطفى بن عبداللطيف – والشيخ حسين بن عيسى – والشيخ على الشايع – والشيخ مساعدالساير – والشيخ ناصر الصانع وآخرين . ومن عمان : عائلة عبدالمنعم الزواوي وعبدالرحيم وغيرهم . ومن قطر الشيخ محمد العلى المسلم. ومن نجد والمنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية حالياً وما جاورها : الشيخ عبد الرحمن القصيبي (الذي عمل أيضا وكيلا لحكومة المملكة السعودية بعد تأسيسها) – والشيخ محمد علي البسام – والشيخ عبدالله الفوزان – ومن الزبير : عائلة الماجد والمانع (وهذه الأسرة تنتمي أساساً إلى نجد)، علماً بأن كان لهاتين الأسرتين نشاطاً بارزاً في إستيراد الخيول العربية لجيوش حكام الأمارات الهندية وللجيش البريطاني ، كما سلف في الذكر . ومن البحرين :الشيخ أحمد الزياني – والسيد إبراهيم البحريني – والشيخ إبن إدريس وغيرهم ومن دبي: بيت فاروق صديق ألخ . إضافة إلى هذه الأسماء فكان في مدينة "بومباي" تمثيل للعديد من الأسر التجارية وغيرها من شتى أقاليم عربية أخرى مثل العراق ، ومصر ، والشام، ولبنان ، وفلسطين ، واليمن (وبالخصوص من حضرموت – التي كان يمثل حكومتها القعيطية رسمياً آنذاك الشيخ على عبد القادر باعكظه – وبالمثل من عدن) .

ولقد كانت لهؤلاء التجار جمعيات لخدمة المجتمع ونشر الوعي وتدريس العربية، مثل الجمعية العربية التي كان قام بتأسيسها الدكتور حسين الهمذاني ، وذلك إضافة إلى سلسلة مدارس الفلاح التي كانت إفتتحت عبر مجهود مادي ومعنوي جبار من قبل الحاج محمد على زينل وأعوانه وإن لم تدم ، كما كانت هبت بعض الأسر بنفسها لخدمة المعرفة والعلوم الدينية مثل آل حافظ من المدينة المنورة وغيرهم ، وذلك بدعم سخي من بيوت التجارة المذكورة أعلاه ؛ ولم يتوقف هذا الدعم للعمل في منطقة "بومباى " فحسب ، بل نجد أن مداه كان شمل مدارس في أقاليم بعيدة مثل "البنغال" (BENGAL) ، حيث كان يقوم السيد محمد بن حسين السقاف (من حضرموت) بإدارة مدرسة تسمى"الفرقانية"

لتدريس اللغة العربية والعلوم الدينية وغيرها في مدينة "باريشال" (BARISHAL)

الدعوة الإسلامية والترحيب بالعلماء العرب

أما بالنسبة للمصلحين الدينيين من العرب ، فأرض الهند ما زالت تحتفل بدور وإنجازات هؤلاء وأبنائهم الذين لعبوا دوراً بارزاً في نشر الدعوة الإسلامية ومفاهيمها وتقوية جذورها، وعلى سبيل المثال ، يتيسر لنا أن نذكر السيد أبوبكر بافقيه الحضرمي الذي مكث في سلطنة "بيجابور" في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)، وهناك أيضاً السيد عبدالله العيدروس المتوفي في سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م الذي يقال عنه بأنه إستطاع بتاثيره علي السلطان إبراهيم عادل شاه (الذي حكم من سنة ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م إلى عام ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) ان يستميله من مذهب التشيع إلى إتباع السنة وإرتداء ملابس رسمية عربية بدلا من الإيرانية – الهندية .

وتذكر المصادر عن هذا السيد الخير والعالم الفاضل بأنه كان ينوي تأسيس مكتبة ضخمة وسط بساتين في موطنه حضرموت، إلا أن النقود والكتب التي بعثها لتحقيق هذه الأمنية فقدت في البحر وهي في طريقها إلى الساحل العربي.

وهناك أيضاً السيد عبدالله " بروم " أو باروم وأخوه وغيرهما. ولقد ذكر صاحب الكتاب "تذكرة أولياء" أسماء كثير من هؤلاء ، كما ذكر محمد المحبي (المتوفى سنة ١١١٠هـ/١٦٩٩م) عدداً منهم في كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر".

وقد أعتنت سلطنة " بيجابور " بكثير من العلماء العرب وأيضاً كل من سلطنات "أحمد نكر " (AHMADNAGAR) و " بدر " (BIDAR) و " برار " (BERAR) و " قول كوندا " (كولكندة) (GOLCONDA)، كما كانت تعتني بهم وسلطنات "كجرات" (GUJRAT). وعلى سبيل المثال ، فلقد سبق الذكر عن السيد عبدالقادر العيدروس وبأنه ألف تاليفه المشهور " النور السافر في أعيان القرن العاشر " أثناء اقامته في " كجرات " حيث كان مولده و وفاته. ولقد إستقبلت هذه السلطنة العريقة عديداً من علماء حضرموت واليمن مثل بدر الدين محمد من زبيد ومحمد بن عمر بحرق الحضرمي ، الذي عاش بين سنتي ٨٦٩هـ/١٤٦٥م إلى ٩٣٠هـ/١٥٢٤م ، وكان يتمتع بعناية خاصة لدى السلطان مظفر شاه الثاني ، صاحب "كجرات". الذي حكم بين سنتي ٩١٧هـ/١٥١١م و ١٥٢٥/٩٣٢م. وبالمثل ، أعتنت سلطنة " أحمد نكر " أيضاً بعديد من العلماء العرب مثل السيد جعفر

السقاف (المتوفي سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) والسيد جعفر العيدروس (المتوفي عام ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م) اللذين كانا من المقربين لدى ولاة الأمور. ومن المشهور عن السيد جعفر السقاف بأنه ترجم لعناية وصي سلطنة " أحمد نكر " الحبشي " ملك " عنبر كتاب " سفينة الأولياء " من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية والذي سماه " تحفة الأصفياء " ، وهذا مما يدل على سعة إطلاع ومعرفة علماء ذلك العصر وإلمامهم بلغات ومعارف الشعوب الإسلامية الأخرى .

لقد ذكرنا سابقاً على لسان صاحب " معجم البلدان " بأنه وجد في الهند لكل واحد من الرؤساء " إسماً بالعربية وإسماً بالهندية " وذلك في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، ونجد أن الأمور قد إستمرت على هذه الحالة بحيث كان يحمل كثيراً من الموظفين والضباط العرب والأحباش القاباً فارسية – ذلك لأن اللغة الفارسية كانت لغة التعامل الرسمي في جميع البلاد الإسلامية في الهند إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وهذا مما جعل أمر فرز النبلاء ذوي الأصل العربي عن غيرهم صعباً إلا في حالات تواجد إشارات تعريفية إضافية تدل على أصلهم. وعلى سبيل المثال ، فتدل قائمة بأسماء كبار الضباط من سلطنة "بيجابور " الذين كانوا إنحازوا من خدمتها إلى جانب أمبراطورية المغول أثناء الصراع القائم بين الدولتين، وهم عشرون، بأن ثلاثة من هؤلاء كانوا عرباً وأن أربعة منهم كانو أحباشاً. وتذكر هذه القائمة أسماء العرب على النحو التالي:

الإسم :"الملا" (أو العالم) أحمد (دون ذكر الأب أو العائلة أو المصدر) .
المرتبة : قائد على ٦٠٠٠ مشاة و ٦٠٠٠ خيالة .
المجموعة : عربي ،

وهكذا للأحباش أيضاً ، إنما يعترف الضابط الحبشي في غالبية الأحيان عبر وجود لقب"ملك" أو"سِدى" – أي "سيدي" في تسميته – وعلى سبيل المثال "ملك عنبر" أو "سدي ياقوت" .. ألخ . (وعلينا بالتوضيح هنا بأن هذه الألقاب لمخاطبة المماليك كانت تستخدم من باب الأدب (نظرياً) لتفادي جرح مشاعرهم !).

وتدل عملية الترجمة التي قام بها السيد جعفر السقاف لـ "سفينة الأولياء" من الفارسية الى العربية بأن لغة هؤلاء الأحباش مثل " ملك " عنبر أو غيره كانت العربية وأنهم جلبوا من الجزيرة العربية وليس مباشرة من سواحل أفريقيا. كما بأن لقب الحبشي لا يعني بالتأكيد إنتماء الشخص المشار إليه إلى بلاد الحبشة بالذات، وإنما إلى أفريقيا بصفة عامة. ولقد عم إستخدام هذا اللقب في الخطاب والتدوين من قبل الناقلين لسبب أساسي ، وهو أن الحبشة

كانت معروفة لديهم آنذاك على مستوى أفضل من أية رقعة في القارة "المظلمة" أو "السوداء" أفريقيا . وأما عن عنبر هذا بالذات ، فيذكر بعض المؤرخون بأنه من مواليد هرر بالحبشة ، وإبتاعه رئيس قضاه مكة المكرمة طفلاً وهذبه وثقفه بعض الشئ نظراً لما لاحظ فيه من مقدرة ومواهب . وكان وصوله إلى الهند مع أحد الحجاج من التجار الكبار الذي إشتراه من القاضي المذكور . ولقد توفي " ملك " عنبر سنة ١٠٣٥هـ/١٦٢٦م عن عمر يناهض الثمانين بعد أن لعب دوراً بارزاً من جميع النواحي – الإدارية والدبلوماسية والسياسية والعسكرية في ظروف خطرة وحرجة بصفته أميراً ثم وصياً على عرش المملكة النظام شاهية المشتهرة في التاريخ بإسم " أحمد نكر " .

أما بالنسبة للوجود العربي في سلطنة "قول كوندا" (كولكندة) ، فما توج الوجود العربي في هذا البلاط هو وصول السيد أحمد بن معصوم (المشتهر أيضاً في تاريخ "قول كوندا" بلقب "الأمير نظام الدين") من مكة المكرمة في عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م بناء على إلحاح شديد من سلطان هذه الديار لذلك الوقت عبدالله قطب شاه ، إلى الشريف زيد بن محسن، طالباً منه إرسال المذكور إليه. ويضمن "سلافة العصر في محاسن أعيان العصر بكل مصر" رد الشريف زيد على هذا الإلحاح الموجه إليه من السلطان عبدالله على هذا النحو:"بحيث كنا لا تخطر مفارقتنا له في الأوهام .. ولكن لما تكرر منكم ... في وفوده على تلك الحضرة ..... سمحنا له بالتوجه إلى ذلك السوح المعشب المراد والناد الذي يبلغ الأرب مريده فكيف بمن كان هو المراد فالمأمول مقابلته بما يجب له من الإجلال ومعاملته بما تقتضيه ما أشتمل عليه من كرم الصفات والخلال" . كما يقول مؤلف هذا الكتاب عن إستقبال السيد أحمد بن معصوم بأن السلطان "أختاره لمصاهرته وأجتباه لمؤازرته فأملكه إبنته الطاهرة ". ويعلق المؤخرون بأن حيث لم يكن للسلطان أولاد من الذكور، فلولا المؤامرات ضده من بعض أمراء البلاط، لكان تولى السيد أحمد الحكم من بعد السلطان عبدالله وذلك بصفته زوج إبنته الكبرى.

ولقد ذكر أيضاً مؤلف"سلافة العصر"، والذي هو السيد على المولود في المدينة المنورة والمعروف في"قول كوندا" (كولكندة) بلقب " الأمير صدر الدين "، أسماء كثيرة لمشاهير عصره من الأدباء والعلماء والشعراء الموجودين في بلاط "قول كوندا" (كولكندة)، كما أورد المحبي صاحب "خلاصة الأثر" السالف الذكر مجموعة من هذه الأسماء والسير لأصحابها– ومنهم الشيخ محمد بن علي الشامي، والسيد عمار بن بركات النمي، وشيخ الإسلام جعفر بن كمال الدين البحريني، والشيخ حسين بن شهاب الدين الشامي، والشيخ عفيف الدين بن عبدالله الثقفي، والشيخ علي بن الحسن المرزوقي اليماني، والسيد محمد بن عبدالله الموسوي "الكبريت" المدني ، والشيخ أحمد بن عبدالبر

المنوفي، و السبت الشيخ زين الدين الآملي المكي ، والشيخ علي بن قاسم الشيرازي المكي، والشيخ أحمد بن محمد الجوهري المكي والخطاط صالح البحريني وغيرهم من العلماء وأصحاب الإفتاء والأدباء والشعراء والخطاطين وغيرهم . ولقد إقتصرنا على سرد أسمائهم بدون سيرهم لغرض الإختصار ، إنما يهمنا أن نقدم هنا لملاحظة القارئ الكريم بعض أبيات من الشعر التي ترسم لنا صورة جميلة وحية عما كانت عليها أحوال الوافدين من العرب وغيرهم في تلك الديار.

فيقول السيد محمد بن عبدالله الموسوى (المكنى) " الكبريت " المدني (المتوفي في عام ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م) عن عزمه بالسفر إلى الهند من مكة المكرمة :

" ينازعني شوقي إلى الهند تارة   وأخرى لأرض الروم والشوق لا يجدي
وما الهند قصدي ولكن بسوحها   رأي قصده فيهـــا الفؤاد من الوجد ."

وأيضاً :

"فارقت مكة والأشواق تجذبني   لهـــا ويممت طه معدن الكرم
فهل درى البيت إني بعد فرقته   ما سرت من حرم إلاّ إلى حرم ."

وعن حسن الإستقبال والتكريم الذي يحظى به الوافد في هذه الديار وإعترافاً منه بالجميل، فيقول السيد عبدالله بن حسين البحريني مدحاً في أحد أمراء مملكة "قولكندة"و هو السيد على الملقب " الأمير صدر الدين" وهو إبن السيد أحمد المخاطب من قبل البلاط بلقب "الأمير نظام الدين" :

" فخر العلى بحر المكارم لم تزل   بكم المعالي تستطيل علاء
طوقتنى طوق الســرور فهاك من   جيد تطوق بالســرور ثناء
ويود مني كــل عضـــو أنـــه   يمسى ويصبح ناطقاً ثناء ."

كما يقول عنه عالم آخر وهو السيد محمد بن على الشامي الذي كان أستاذاً له ، رداً على بعض شعره :

"رفعت يا إبن نظـــام الدين أعلامي   نوهت بإسمى وإن كنيت بالشامي
لقد التفت في حماكم بين أقوامي   إلا رأيت الغني خلفـــي وقدامي ."

ويذكر عنه العالم السيد أبو عبدالله محمد بن الحسين بن إبراهيم البحريني ثم الشيرازي (

حيث أنه إستقر بها) :

"يا أيها السيد الحسيني — شرفت قدراً أبا الحسين

إن بنت منكم على فؤاد — لديكم لم يمل لبين

دمت مدى الدهر في سرور — رحيب صدر قرير عين

توزي مساعيك في المعالي — بذي نواس وذي رعين ."

ولكن بصرف النظر عما عمهم وأحدقهم من خير في أرض الدكن ، فإن ذلك لم يخفف من شوقهم لمواطنهم الأصلية . ونذكر هنا ما قاله نفس الشاعر تعبيراً عن هذه المشاعر لديهم تذكراً لبلاده :

"فمالي والهند التي منذ دخلتها — محت رسم طاعاتي سيول من الدر

إلام بأرض الهند أذهب لذتي — ونضرة عيشي في محاولة النضر

إذا لم تكن في الهند من أصناف نعمة — ففي هجر أحظى بصنف من التمر."

كما يقول آخر :

"تذكر بالحمى رشاً أغن — وهاج له الهوى طرباً فغنى

وحن فؤاده شوقاً لنجد — وأين الهند من نجد وإني

وماقصدي بتحبير القوافي — سوى اللفظ أحبره و معنى"— ألخ .

وأما عن السلطان عبدالله قطب شاه وسيرته ومعاملته للعرب الوافدين إلى بلاطه ، فلقد مدحه السيد أحمد بن معصوم (الأمير نظام الدين) بقصيدة تقليدية رائعة فور وصوله إلى مملكة " قولكندا " ، ونذكر منها هنا ما يلي :

"سلا هلا سلا قلبي من البان والرند — وعن اثلاث جانب العلم الفرد

وعن سمرات بالنقا وطويلع — وعن سلمات بالأجارع أو نجد

وعن ضال ذات الضال أو شعب عامر — وعن ظله إذ كنت في زمن رغد

وعن نخلات العقيق وسقحه — نهلن بماء الورد أو سلسل الخلد

وعن زينب أو عن بثين وعزة — وعن حي ليلى أو تماضر أو دعد

لها بشر الدر الذي قلدت به — كما قاله نجل الحسين الفتى الكندي

بكل تداونيا فلم يشف مابنا — على أن قرب الدار خير من البعد

بلى ليس بعد الدار ياصاح ضائراً — إذا كان عبدالله منتجع الوفد

شهنشاه شاه قطب شاه مليكنا — و والى ولاة الأمر مشرعة الرفد

— وأيضاً —

ذلك البان والحمى والمصلى — فقف الركب ساعة نتسلى

وأستثله برقة وخضوع — عن فؤادي ياصاحبي أين ضلا

مليكا سما فرع السماكين راقيا — إلى رتبة العلياء ذات على نهد

وإذ ناب خطب معضل قام رائه — مقام جيوش غرقت في صفا السرد

وبيرما الافلاك حافلة به — فيتضح المطلوب من غير أن يبدى

يسوم جميع العالمين نواله — فيوسعهم جوداً ينوف عن العد

تعطف على عبد لكم صادق الولاء — غريب فريد حل في أدور الهند

وخلى بلاد الله والكعبة التي — اليها قلوب الناس تهوي من البعد

وجاور ملكا للمكارم صائداً — ولكن عن الضراء والظلم ذاصد."

والجدير بالذكر هنا أيضاً أن هذه العلاقات بين حكام وأهالى الديار المقدسة وحكام وأهالى الدكن إستمرت على نهجها هذا حتى بعد إنقراض سلطنة آل قطب شاه في "قولكندة"، وظهور السلاطين من آل آصف جاه إلى أن كتب الله لحكمهم الزوال في وسط هذا القرن . ومن باب تعزيز كل ما سلف وعن علاقات العرب بأرض الدكن والترحيب بهم وإكرامهم فيها، نورد بعض القصائد العربية المقدمة تهنئة لحاكم حيدر آباد الأخير مير عثمان على خان في مناسبات مختلفة من قبل بعض الشخصيات العربية والعجمية ، تعبيراً عن مطالب لديهم وإعترافاً بالجميل، والتي تلقى ضوءاً وافياً وترسم لنا صورة ناطقة عن نوعية ومتن هذه العلاقات وما كان عليها الأمر ، إضافة إلى تأثيرها وإنعكاسها الثقافية والإجتماعية ، وعن مدى نشر اللغة العربية في المجتمع ومعيارها العالي لدى الإستخدام ، وذلك في مكان مناسب في مؤخرة هذا الكتاب إن شاء الله .

وأما بالنسبة لصلات العرب مع إمبراطورية المغول خلال تلك الفترة ، فبإمكاننا أن نكتفي بذكر – وذلك على سبيل المثال وليس الحصر– ورود بعض السفارات من الجزيرة العربية إلى البلاط الإمبراطوري وما تيسر لها من أمر ومقام . فيذكر صاحب "إقبال نامه جهانكيري" ، مرزا محمد الملقب معتمد خان (الذي كان شاهداً معاصراً للأحداث والمعلومات التي دونها) عن وصول سفارة من قبل شريف مكة المكرمة في عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م بهدية عبارة عن كسوة الكعبة المشرفة ، وبأن أذنت هذه السفارة بالعودة بعد التكريم المناسب ، محملة بهدايا متنوعة قيمة من إنتاج المصانع الملكية ، تساوي في قيمتها ١٠٠,٠٠٠ روبية، وكان ذلك في السنة الثانية

من تولية الإمبراطور نور الدين محمد المشتهر بلقب "جهانكير" (أي– "فاتح العالم") علـى عرش آبائـه ، والذي حكـم من سنـة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م إلـى عـام ١٠٣٧هـ/١٦٢٨م. ويذكر صاحب "عمل صالح" محمد صالح كنبوه لاهوري (المتوفى بعد سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م) عن وصول الشيخ عبدالصمد العمودي رسول أمير مكة المكرمة ، الشريف زيد بن محسن ، الذي مارس الإمارة من سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م إلى عام ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م ، والذي قدم للإمبراطور شهاب الدين محمد الملقب "شاه جهان" – أي "ملك العالم"– إبن جهانكير مفتاحاً للكعبة المشرفة، وذلك في ٨ذو الحجة سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٣م ، والذي عاد بعدها إلى الديار المقدسة محملاً بهدايا قيمة وصدقات للتوزيع . ولقد حكم شاه جهان ثلاثين عاماً منذ وفاة والده لغاية عزله عن العرش سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م . وأما بالنسبة للكتاب المذكور ، فقد كان إنتهى مصنفه من تأليفه سنة ١٠١٧هـ/١٦٦٠م بالتقريب . ويذكر لنا التاريخ بأن السفير العمودي كان قد عاد إلى الهند في ما بعد لقبول وظيفة "مير العدل" للعساكر، وعين قائداً على ٧٠٠ مشاة و ١٠٠ خيالة. وفي السنة الثانية والعشرين من تاريخ توليته للحكم، قام الإمبراطور شاه جهان بأهداء "شمع دان" مرصع للحرم المدني الشريف كلفه ٢٥،٠٠٠ روبية ، إضافة إلى بضائع تم بيعها بمليونين روبية ، والتي وزعت على الأشراف والعلماء والمحتاجين في تلك الضواحي ، كما أرسل في عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م مبلغاً آخراً يساوي ٦٦٠،٠٠٠ روبية مع الأمر بتوزيعه على نحو ماسلف .

ولقد كانت أصبحت عادة سنوية ثابتة لدى سفراء ومبعوثي أشراف الديار المقدسة إلى الهند زيارة الحكام والأمراء المسلمين فيها لتجميع الزكوات والصداقات بإسم "التوزيع" في الأراضي المقدسة . وإضافة إلى ذلك ، كان للحكام أيضاً وكلاء في الديار المقدسة ، مهمتهم الإشراف على أية توزيعات خاصة أخرى قد يأمر بها صاحب الشأن. وعلى سبيل المثال ، فقد كان أمر الأمبراطور الكبير والزاهد محيى الدين محمد الذي حكم بعد أبيه لغاية سنة ١١١٨هـ/١٧٠٧م ، والمشتهر في التاريخ بلقبى "عالم كير"– أي" فاتح العالم" و" أورنك زيب" أو " زينة العرش" ، وذلك باللغة الفارسية ، اللغة الرسمية في الهند لغاية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بتوزيع مبلغ ١٢٠،٠٠٠ روبية في عام ١١٠٣هـ/١٦٩٢م عندما شفي أحد أبنائه – محمد أعظم – من مرضه. ومن الجدير بالتدوين هنا إنه كانت من عوائد هذا الإمبراطور الدقيق في مراقبة جميع أموره أن يستفسر من مخبريه عن كيفية ونتائج تنفيذ أوامره وتعليماته بعد إصدارها . فعندما أخبر مراراً بأن توزيع هداياه وصدقاته السنوية لم يتم حسب رغباته على يدى الأشراف وعماله ، إمتنع عن

إرسالها وتوزيعها عبر قنواتهم ، وشرع في إبعاث المبالغ في دفعات صغيرة متتالية طوال السنة لتقسيمها عن طريق رسله (مرضاة لله ولخدمة عباده) بدلاً من دفعات سنوية كبيرة ، بالإمكان إستكشافها ومصادرتها من قبل عمال الأشراف .

وفي هذه المصادر ، إننا نجد وصفاً أيضاً لسفارات وهدايا من حكام حضرموت واليمن تم إستقبالها في البلاط المغولي. وعلى سبيل المثال، فنعلم أنه تم إستلام رسائل وهدايا من حكام حضرموت واليمن في كل من عام ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م ، و١٠٧٨هـ/١٦٦٧م ، و ١١٠٣هـ/١٦٩٢م ، ومنها هدية تسعة خيول عربية من الإمام اسماعيل في عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م. وكما بالامكان التصور ، فحتى في بلاط السلطنات الصغيرة ، كان يتواجد فيها من يتقن ويقوم بالإشراف على دور أمناء السر في دار الإنشاء ممن يجيدون اللغة العربية إضافة إلى الفارسية ولغات أخرى لأغراض الإستقبال والإستلام والترجمة والإجابة على الرسائل الخاصة بالعلاقات عبر حدودها – أي الخارج .

وأما بالنسبة لتولية العرب مناصب إدارية هامة ، فيقول أحد المؤلفين لذلك العصر (أي في أواخر دور الإمبراطور شاه جهان ومنتصف القرن السابع عشر الميلادي – أي النصف الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة) ، وهو المؤرخ الهندوكي "شندرا بهان براهمن" (CHANDRABHAN BRAHMIN) ، بأنـهـم " من عناصر مختلفة مثل العرب والفرس والترك والتاجك (الطاجيك) والكرد واللارس والتتر والروس والزنوج والشركس وغيرهم ؛"– وإن القوائم بالضباط الذين كانوا يلقبون في المفرد "منصب دار" (أي صاحب منصب و وظيفة)، تذكر أسماءً مثل حبش خان وعرب خان .. ألخ. وهي في الحقيقة ألقاب إستثنائية تدل على وتشير إلى أصلهم– حاملين أعلى المناصب القيادية .

طائفة الـ " مابلا " في جنوب غرب الهند

ولقد برز دور العرب العسكري في الهند ووصل إلى ذروته بعد تفكك الإمبراطورية المغولية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي (أي بين النصف الثاني للقرن الثاني عشر والنصف الأول للقرن الثالث عشر للهجرة). وكما قد أشرنا سابقاً ، فإن للعرب دوراً بارزاً في نشر الدعوة الإسلامية في جنوب غرب الهند منذ فجر الإسلام وإنتعاشها خلال هذه الفترة أيضاً ، وذلك إلى درجة أنه ما زالت طائفة "المابلا"(MAPPILA)او (MOPLAH) في

ولاية "كيرالا"(KERALA) تحتفل بذكرى معركة بدر الكبرى . إن هذه الطائفة التي تقطن سواحل جنوب غرب الهند من شـــمال ميناً " كانانور " (CANNANORE) إلى جنوب ميناء "كوللم " (KOLLAM) تنحدر أصلاً من عنصر يماني وحضرمي وعماني وبحريني ، وذلك واضح في غالبية الأحيان من الملامح العربية التي يتميز بها أبناء تلك المناطق مثل الشعر والأنف والبنية – كما قد أشتهر هؤلاء عبر تاريخهم بتمسكهم بالعقيدة الإسلامية (على المذهب الشافعي) إلى درجة "التطرف" (وهكذا وصفهم المؤرخون البريطانيون والعديد من غيرهم) وحبهم للجهاد والإستشهاد في سبيل الدين والكرامة والشرف . وكان ظهر أمر هذه الطائفة ، الموصوفة في بعض المصادر كـ " قوم أساساً من الجزيرة العربية ومنتشرة حالياً (أي خلال القرن الثامن عشر الميلادي) على مدى سواحل الملابار(MALABAR) " ، عندما وفد أبناء أحد أعيانها على حيدر علي خان (المتوفى عام ١١٩٧هـ/١٧٨٢م) سلطان مملكة ميسور وتعين من قبله أميراً على بحريته الناشئة ، وسبق أنه كان تزوج على إبنة " راجا" "كنانور " (CANANORE). من طائفة " ناير " (NAIR) الهندوكية ، وأصبح حاكما للإمارة من بعده . ومن غرائب أخبار هذه الطائفة أنها تسمح لنسائها حق تعدد الأزواج وينسب المولود إلى إسم أخواله !– وتذكر المصادر عن إنضمام فرقة عربية إلى جيوش حيدر علي أيضاً.

وتذكر وتنقم المصادر البرتغالية والهولندية والفرنسية والبريطانية، والتي كانت حكوماتها تعاني من عنف هذه الثورات بصفة متواصلة عبر إستعمارها للهند، بأن النشاط المسلح لهذه الطائفة كان بإيعاز وتشجيع ومساهمة رؤوس علمائها الذين يلقبون "تنقل" (TANGAL)في المفرد في لغتهم "الملايالم" (MALAYALAM)، ومعنى ذلك "سيد". وهؤلاء في الغالبية سادة علويون من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، والذين أتوا إلى هذه الديار ، سواء منذ القدم أو حديثاً، من بلاد حضرموت ، وكانوا على صلة مستمرة بأخبار وتطورات موطنهم الأصلي عبر القنوات التجارية . ومن أبرز بعض من استوطن هذه الديار من عائلات السادة العلوية الحضرمية من آل العيدروس ، وآل الجفري ، و آل الكاف ، وآل المحضار ، وآل الحامد ، وآل مولي الدويلة، وأشهر هؤلاء المصلحين الدينيين في هذه المنطقة في العصر الذي نحن بصدده السيد علوي بن فضل بن سهل مولي الدويلة ومن بعده إبنه السيد فضل الذي سبق ذكره في فصل سابق . وتذكر المصادر بأن وصول السيد علوي من تريم في حضرموت إلى هذه الديار كان في سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م والذي كان قد سبق إليها السيد شيخ الجفري مؤلف "كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية " في سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م. وطاب لهم المقام في " تيرورنقادي " (TIRURANGADI) التي أطلقت عليها تسمية " ممبرم " (MIMBARAM) أيضاً في ما بعد ، والتي أصبحت في وقت يسير مركزا لنشاطهم الإصلاحي /الديني / السياسي على الطريقة الصوفية ، ولا تزال تعد من أبرز المراكز

الإصلاحية الإسلامية في تلك المنطقة .

وقد فكرت الحكومة البريطانية جدياً في القاء القبض على السيد علوي وعلى إبنه السيد فضل نظراً لمزاولتهم نشاطاً دينياً وسياسياً " مثيراً للشغب" ، ولكنها لم تتجرأ نظراً لما كان يتمتع به السيد المذكور من حسن السمعة والأهمية البالغة في أنظار طائفة "المابلا" ، ويعلن "التحصيلدار" (COLLECTOR) البريطاني لتلك الضاحية "جيمس فون" (JAMES VAUGHAN) في تقرير له مؤرخ شهر إبريل ١٨١٧م /١٢٣٢هـ بأنه : "نظراً لسمعته وورعه ومقامه العالي لدي الكبير والصغير من "المابلا"، فإنه من إعتقادي أن أية محاولة لالقاء القبض على "التنقل" جبراً ، ينتظر أن تنتج عنها عواقب مخيفة إلى أبعد الغايات والتي لن تقل عن ثورة شاملة من جميع سكان " المابلا " ".

وأما عن جرأة وشجاعة طائفة "المابلا "، فتذكر المصادر الهولندية والفرنسية لتلك الفترة بأنهم "أصحاب جرأة عظيمة وحمية للإسلام وبأنهم لايستسلمون أبداً ويفضلون الإستشهاد على ذلك " . ومن غرائب الأمور أن وضع هذه الطائفة وحميتها وتاريخ علاقاتها ومعاركها مع قوى الإســتعمار وثوراتها ضد ســلطانها تشــبه في كثير من النواحي أوضاع " المورو"(MORO) و " الســولو" (SULU) في "الفلبيين" (THE PHILIPPINES).

وأعتقد أنه من الضروري أن نذكر شيئاً إضافياً هنا عن تاريخ وسيرة السيد فضل بن علوي مولي الدويلة، من مواليد أرض "الملابار" . فلقد كانت حياته مملوءة بمغامرات ومجابهة تحديات وإنجازات عظيمة هدفها خدمة الإسلام والمسلمين في أي مكان كان . وفي إعتقادي الراسخ أن سيرته ، التي تمثل المثل الأسمى لحياة الوجيه الحضرمي المغامر في سبيل الله على أعلى المستويات ، تحتاج إلى دراسة منفصلة لحالها ، فهو السيد الذي كان نعم الساعد الأيمن لنشاط أبيه، ونعم المؤمن الجريء الباسل عند تنفيذ كل ما يؤمن به. وكانت كل خطواته تتميز بالجرأة المنبثقة من يقين صادق في قضيته وأحقية أهدافها. فلا عجب أن الإدارة البريطانية خشيت من وجوده وقامت بنفيه من الهند في عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م، غير أن هذا لم يسدل الستار على حياته. فلقد ذهب السيد فضل إلى مكة المكرمة حيث إستطاع أن يبني لنفسه مكانة لدى الخاصة والعامة حتى بدأ الشريف الحاكم آنذاك في الديار المقدسة يغار من وجوده. و إستطاع السيد فضل أن يصل إلى ظفار ويسيطر عليها بمفرده ويفرض على أهلها الزكاة ويعلمهم تعاليم الدين لعدة سنوات رغماً عن الضغوط البريطانية عليه في تلك الرقعة أيضاً ، وحتى كلفته قلة الإمكانيات الموجودة تحت تصرفه على السفر إلى الحجاز ، ثم استانبول ، حيث عاش فيها كأحد مستشاري و وزراء الخليفة العثماني السلطان عبدالحميد الثاني حتى وافته المنية.

ومن الجدير بالاثبات هنا بأنه يقال أن إليه يعود الفضل إلى حد كبير في نصح السلطان المذكور مكرراً بمد سكة حديدية من الشام إلى الديار المقدسة (وثم إلى اليمن) ، لما كان يترتب على هذا المشروع من فوائد إقتصادية وإستراتيجية (وإعلامية أيضاً حيث أن السلطان كان يهتم بها كثيراً) ، إضافة إلى خدمة الحجاج وربط إستانبول بهذه الأجزاء الهامة والمقدسة في قلوب المسلمين من أمبراطوريته ، علماً بأن المرحلة الثانية من هذا المشروع لم يتبلور ويتطور إلى مرحلة التنفيذ نظراً للعديد من التطورات السياسية على الساحة الدولية وكان السيد فضل قد شاهد في الهند إستخدام بريطانيا لشبكة السكك الحديدية لممارسة سيطرتها والمراقبة على مصالحها العسكرية والسياسية ، بجانب العديد من الفوائد الإقتصادية والتجارية للمواطنين ، كما بإمكاننا أن نضيف هنا أنه بعدما جهز الملك عبدالعزيز آل سعود على الحجاز ، وضاق على المملكة الحجازية الفتية خناق الحصار ، أندب الملك علي إبن حسين وأعيان الحجاز شيخ السادة في مكة ، السيد محمد السقاف ، بالتوجه إلى حضرموت لتجنيد مقاتلين مرتزقة من القبائل . ولكن لما إستفسروا علم السلطان غالب بن عوض القعيطي الأول عن عدم أرتياح السلطات البريطانية من مساعيه ، والذي كان في أواخر عام ١٩٢٤م وأوائل ١٩٢٥م ، فلم يسمح له . وكانت نتيجة مهمة المذكور الفشل .

ونذكر للقارئ هنا من باب رسم صورة عن الأوضاع السائدة في ظفار قبل وصول السيد علوي إليها بأن لم تكن فيها أية حكومة تذكر وكانت القلاقل والتناحرات القبلية منتشرة فيها إلى درجة أنه كان قرر بعض رؤساء عشائرها عرض الحكومة فيها للسلطات البريطانية في عدن ، كما قد حاولت الأسرة القعيطية شـــراء الحكم فيها من ســكانها وقبائلها بمــبلغ مــائة ألــف دولار " فرانصة" أو " ماريا تيريزا " (MARIA THERESA THALERS) وكادت تنجح لولا أتاها منع من التدخل في شؤن ظفار من الحكومة البريطانية من عدن . وتوجد إشارات واضحة لهذه الصفقة ولأسباب فشلها في المصادر الرسمية السرية لحكومة الهند البريطانية وفي مخطوطة تاريخ إبن حميد (وهو سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي المتوفى سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م) التي تسمى "العدة المفيدة ".

طائفة آل "نايته" أو " النوايط" في جنوب شرق الهند

وكما أن طائفة "المابلا" تنحدر عنصرياً من عرب جنوب وشرق الجزيرة العربية، فهناك طائفة أخرى في جنوب شرق الهند التي تلقب " نايته" في المفرد ("نوايت"في الجمع) والتي تفتخر بأصلها من سادات وأشراف المدينة المنورة والمهاجرون إلى وائط في

العراق حتى إنتحل هؤلاء لقب " بنو وائط " . ويذكر بأنه عندما قام الحكم العباسي بممارسة ضغوط شديدة علي العلويين ، هاجرت طوائف منهم إلى مناطق الأمان ، وسافر هؤلاء السادة من وائط إلى جنوب غرب وشرق الهند ، فأطلقت عليهم تسمية"بنو وائط " والتي أصبحت تنطق في ما بعد بلهجات الهند كَ "نوايت". ولقد ذكر العلامة إبن جرير الطبري المشار إليه سابقاً (والمتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م)، والإمام محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (المتوفى عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، والعلامة جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، وغيرهم من العلماء والمؤرخون عن بعض أحوالهم وهجرتهم كما عن نسبهم ونسبتهم . والجدير بالذكر أن تنفرد وتتميز هذه الطائفة من بقية سكان الهند في ملامحها وهيكل بنيانها وذكائها، كما أنها لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الهند الإسلامي في ميادين عسكرية وعلمية وأدبية طوال فترة تواجدها في تلك الديار . ونثبت لعناية القارئ الكريم بعض ما ذكره المؤرخون المذكورون عن شأن هذه الطائفة .

فيقول الطبري : "النايطة طائفة من قوم قريش تفرقت من البلدة المباركة الطيبة خوفاً من الحجاج بن يوسف الذي قتل خمسين الفاً من العلماء والأولياء حتى وصلت إلى ساحل بحر الهند فتوطنت في أماكن فيها وتلك التفرقة كانت سنة إثنين وخمسين ومائة من الهجرة النبوية (أي ٧٦٩م) ... وقريش أولاد نضر بن كنانة بن مدركة بن الياس من أجداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الثاني عشر منهم ."

ويقول الإمام النووي : "وإن سئلت عن قوم يسمونهم في بلاد الهند بالنايطة فهم من قوم بني هاشم بن عبد مناف ...... وهم المهاجرون أيام الحجاج بن يوسف من المدينة المشرفة سنة أحدى وستين من الهجرة الطيبة (أي ٦٨١م) .... إلى سواحل بحر الهند ... . إشتهروا في الأطراف ..... بأنهم ملاحون حتى كتب بعض أهل اللغة مثل .... الفيروزآبادي مصنف قاموس اللغة .... : النواتي الملاحون في البحر .... فما كتبه صاحب القاموس وغيره غلط ..... إنهم أشرف الأشراف شعوباً وقبائلاً وهم السادات العظام والمشائخ الكرام .... وهذا غاية ما تحقق من أكثر كتب التواريخ ونهاية التنقيح ... ألخ ".

ويقول العلامة السيوطي : "فبنو الوايط قوم وهم أولاد عبدالله الوايط بن محمد بن إسمعيل الذي مات في المدينة المنورة وهو إبن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه وسبب خروجه من المدينة المنورة أنه وقع ذات يوم بينه أى بين عبدا لله الوايط وبين الخليفة بحث كثير وكلام طويل حتى غلب على الخليفة ....فغضب على عبدالله الوايط وأخرجه من المدينة الطيبة مع أولاده وقبائله فقدم سيدنا مع عشيرته وأهله.... وأقام في موضع الوايط الذي بينه وبين بغداد مسيرة ثلاثة أيام ..... سلط الأمير عليهم العسكر وأمر بالظلم والإيذاء

والأخراج ثم هاجروا من ذلك الموضع إلى البصرة ونزلوا فيه ومات رئيس المذكورين السيد عبدالرحمن في البصرة .... وتلك الوفاة و الهجرة والتفرقة والفتن كانت في سنة إثنين وخمسين وسبعمائة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم –(١٣٥١م) – ثم بعد وفاته هاجروا من البصرة إلى سواحل بحر الهند وتوطنوا فيه ...".

وعندما نأتي إلى إنحطاط عصر الدولة المغولية ، فإننا نأتي أيضاً إلى الفترة التي تصادف القمة في نشاط العرب في المجالات العسكرية في مجموعة كبيرة من دويلات الهند ، وبالخصوص على إمتداد المناطق على السواحل الهندية الغربية . ومن الجدير بالذكر أن من العوامل التي شجعت العرب في هجرتها إلى الهند في تلك الفترة، ظروف التفلفل والفوضى الضاربة أطنابها في جميع رقاع جنوب وشرق الجزيرة العربية بصفة عامة والقطر الحضرمي بصفة خاصة ، وذلك بسبب عدم تواجد قوة مركزية فيها والتي لديها الإمكانيات والهيكل الإداري لممارسة سيادة فعالة عليها وتأمين الأنشطة الحيوية فيها. ولقد أدى إنعدام الإستقرار هذا إلى إهمال الزراعة والمصادر والتسهيلات لتخزين المياه ، كما أن صادفت هذه الفترة قلة في الإمطار وإنخفاض النشاط التجاري ، حتى أدت كلها ضمناً إلى حالة قحط في العديد من المناطق، مشجعة بذلك هجرة أبنائها بإعداد غير ملحوظة سابقاً ، وبالخصوص إلى الهند وأقطار شرق آسيا الغنية المصادر والبراقة السمعة . ولقد لمع فيها إسم العربي بصفة غير إعتيادية نظراً لمجهوده وصبره ومثابرته وذكائه، وذلك في حقول التعليم الديني بالنسبة للعلماء والمشائخ ، والتجارة لمن كان يهواها ويتقنها– وقد ساعدت الحضرمي فيها روح الجرأة والمغامرة، وثم الخدمة العسكرية لأبناء القبائل وحملة السلاح الذين إستنفعوا من سمعتهم بالبسالة والأمانة والوفاء ، وكان في صفوف هؤلاء من العلويين وغيرهم أيضاً.

هواة الجندية و أنشطتهم الحيوية الأخرى في الهند وإنعكاساتها على نشر المعرفة العربية

وبينما توجه غالبية الميالون نحو ممارسة مهنة التجارة والوعظ والإرشاد الديني إلى بلاد شرق آسيا ، حيث نالوا نصيبياً وافراً من الشهرة ، فلقد هاجر غالبية الذين يهوون مهنة الجندية إلى بلاد الهند – كما ولم يكن الجندي العربي غريباً على الهند ، حيث أشار عدد كبير من المؤرخين والرحالة من العرب مثل إبن بطوطة والأفرنج وغيرهم الذين زاروها عبر القرون عن وجودهم في جيوش وأساطيل الحكام الهنود سواء كان الحاكم مسلماً أو هندوكياً ، حيث كان إستطاع عرب تلك الفترة إتقان مجموعة بارزة من الفنون الحربية وعلى رأسها الملاحة البحرية ، وإستخدام فعال ومؤثر للمدافع والبنادق التي إنتحلها من الأتراك ، وهي من أهم الميزات التي جعلت الحكام الهنود ينظرون في الجندي العربي الند السوي

الجندي الأفرنجي المدرب على هذه الأسلحة الحديثة آنذاك، وذلك بالإضافة إلى ميزتهم الفريدة التي اشتهروا بها في تلك الفترة وهي الإستعداد الدائم للقيام بدفاع المستميت عن أية مواقع تسلم لحوزتهم.

ويؤكد لنا أي مسح مركز لتاريخ الهند لهذه الفترة عن الدور البارز للجندي العربي في المحافظة والمدافعة عن القلاع ، كما يؤكد لنا بأنه إستطاع بسبب مهاراته المذكورة أن ينال مرتبات من مستخدميه التي كانت توازي ولا تدفع إلا لجنود مدربين على القواعد الأوروبية لفنون القتال. ولقد عمل الجندي العربي لدى كل أمير أو حاكم كان يزمع في الدفاع عن ممتلكاته وإتساع مساحة رقعة حكمه ، كما إستخدمه أيضاً الدائنون الهندوكيون لحراسة ونقل أموالهم ولإستعادة حقوقهم من المدينين.

ولقد إشتهر الجنود العرب في هذه الفترة أولا في الولايات على غرب سواحل الهند مثل "كتش" (KUTCH) و "جوناكر" (JUNAGARH) حيث إشتهرت فيها أسرة بافقيه العلوية ، و"كاتهياوار" (KATHIAWAR) و" كجرات" (GUJRAT) و"برودە "BARODA) – (التي ظهرت فيها أسرة الجمعدار الفضلي) ، و"خانديش" (KHANDESH) و" إنـدور" (INDORE) و "بونا" (POONA) وأخيراً في حيدرآباد الدكن، حيث أتي إليها عدداً كبيراً منهم بعدما إستطاع الحكم البريطاني أن يقلص من نشاطهم في الولايات المذكورة ويفرض سيادته عليها. ولكن عندما قل دور الجنود المرتزقه من العرب وغيرهم في ميادين العراك ، إستطاعت عبقريتهم أن تبرز في حقول أخرى وخصوصاً بعد إنتشار التعليم في صفوفهم والذي كان بعد العقد الأول من هذا القرن الميلادي بالتقريب .

ولا يخفى علينا، كما أن التاريخ ليؤكد لنا عن ذلك العدد الكبير من أفراد تلك الأسر الحاكمة والشهيرة من الجزيرة العربية الذين ساهموا في تأسيس ونمو نصيبهم ومستقبلهم في الهند خلال هذه الفترة عبر الإنخراط والمساهمة في جميع مسالك ومسارات الحياة والأنشطة الحيوية ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر فبامكاننا أن نذكر بعض أسماء سلاطين من حضرموت مثل من سلالة آل كثير و القعطة (آل القعيطي) ، ومن يافع العليا (آل الشيخ على هرهرة) مثل حسين بن صالح ، و من مكتب آل الظبى (أيضاً من يافع العليا – وشيخهم الحالي الأخ العزيز والقدير عبدالرحمن بن عاطف جابر) وغيرها من "المكاتب " اليافعية المذكورة سالفاً ، وشيوخ و زعماء من العوالق وقبائل أخرى ، وأيضاً من جميع بيوتات الأسر العلوية وعلى سبيل المثال : آل العيدروس (ولقد كان آخر قائد للجيش النظامي في حيدرآباد اللواء أحمد محضار العيدروس منهم ، كما لهذه الأسرة الفضل في التوجيه والإرشاد الديني على منهج الصوفية الحضارمة منذ عدة أجيال ، ولا زال قطبها هناك – وهو حالياً السيد

مجتبى بن جعفر بن حسين بن عيدروس العيدروس –يتمتع ، كما كان أسلافه سابقاً، بإحترام وتقدير الصغير والكبير والمسلم والهندوكي في المجتمع) ، و آل الشيخ أبو بكر بن سالم (والذي كان قائد الحرس الملكي الحبيب أبو بكر منهم) كما إشتهرت هذه الأسرة مؤخراً بتقديم بعض لاعبي "الكريكيت" (CRICKET) للولاية وهما الأخوين أحمد ومحمد إبني الزعيم محسن)، وآل المحضار، وآل الكاف ، وآل بن شهاب (وعلى رأسهم العلامة والشاعر الحضرمي المشهور أبو بكر بن شهاب المتوفى في حيدرآباد سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م ، والذي ترك مجموعة من التصانيف في مواضيع مختلفة إضافة إلى دواوينه الشعرية ، علماً بأنه كان بارعاً في جميع أنواع القصائد وبالخصوص المدح ، كما كان عين شاعراً عربياً لبلاط ملك حيدرآباد السادس مير محبوب علي خان وأستاذاً ومصححاً لأشعاره بالعربية . ولقد زار المذكور غالبية المهاجر الحضرمية الرئيسية وعلى رأسها جزر الهند الشرقية ، كما زار إستانبول ومدح السلطان عبدالحميد الثاني ، الذي قلده وساماً) ، وآل العطاس ، (وعلى سبيل المثال ، فياور أول رئيس لجمهورية الهند الدكتور "راجندرا براشاد" (RAJENDRA PRASHAD) كان منهم) ، وآل الحامد ، وآل السقاف، وآل الحداد ، وآل الهدار ، وآل بافقيه ، وآل المديحج (وأشهرهم السيد عبدالله الذي نال عدة جوائز أدبية) وغيرهم؛ ومن المشائخ مثل آل العمودي (فمنهم الخطاط محمد بن طيار العمودي) ، وآل بن محفوظ ، وآل باصرة ، وآل باوزير ، وآخرون من قبائل يافع من أهل "الجبل" (أي جبل يافع) و"التلد" (أي مواليد حضرموت) مثل الأحمدي (ينطق "لحمدي" وهو قعيطي المرجح – ومنهم الشاعر الكبير الشيخ صلاح أحمد المتوفي سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ، وهو صاحب ديوان لم ينشر إلى الآن وقد يكون فقد ! – وكان شعره، وبالخصوص قصائده السياسية ، مفعمة بقوة الكلام وعلو وإستقلال الفكر وبعد النظر والرؤية السياسية . ولقد كان إشتهر هذا الشاعر بما إشتهر بها بين صفوف الحضارمة في أرض الوطن والمهاجر بقصيدة تنبؤية سياسية رائعة وجذابة نطق بها في سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ، وهو قد تجاوز التسعين سنة من العمر ، وذلك عندما تقدما سلطاني حضرموت ، القعيطي والكثيري ، وأعيانها مثل العلويون آل الكاف ، على توطيد العلاقات مع الحكومة البريطانية عبر معاهدة إستشارة . ولقد كانت أنجبت قصيدته الإنتقادية ، التي تدل دلالة قاطعة على إهتمام الحضارم بشؤن بلادهم في المهاجر أينما ثقفوا ومهما طالت مدة غيابهم عنها، رد فعلاً شعرياً عنيفاً من معارضي أفكاره ، والتي قام بالرد عليها بقصيدة أخرى بارعة مثل قصيدته الأولى ، تهمنا منها الأبيات الآتية التي تخص الموضوع الذي نحن كنا بصدده هنا ، كما سنثبت في مؤخرة هذا الكتاب النص الكامل للقصائد الثلاثة المشار إليها لما لها من أهمية سياسية وتاريخية وأدبية شعبية . والأبيات التي تهمنا منها هنا هي :

"سبحان بارينا تسبحه الخلايق والرعود   الله جل الله قهار الشياطين المرود
ذا فصل ياحيا ويا سهلا عدد ما في الوجود   بأبيات من شاعر محجب صقر في رؤس الحيود
بلغت إلينا ما عرفنا من محب أو من حسود   يقول على يافع وهمدان القواسم والعمود
ثم يارسول الخط من حيدرآباد أرض السعود   أرض الرخاء والعدل والرحمة وتحصيل النقود
من خيرها كلاً ملى كيسه ورحلوا للنجود   وتسلطنوا وألقوا حكومة حلم طارئ في الرقود
أرضوا خطمها حولوها أهل الطماعة والوعود   هذا سن الدكن وهذا جودها ياخير جود
هذا كلام الصدق بايشهد به الخصم اللدود   هيهات من باينتقد الملك عثمان وإلا بن سعود
اللى عمد مكة وقام العدل فيها والحدود   ياناظم الأبيات ذي سيفك موفر في الغمود .." الخ

وهناك شاعراً حمينياً آخراً معاصراً للمرحوم صلاح أحمد وفي نفس المستوى من حيث الفكر وعلو الهمة وقوة الكلام ، وهي كلها ميزات تذكرنا بكلام وحيد عصره الشاعر الحضرمي الأصل ، أبو الطيب المتنبي الذي سبق ذكره ، ألا وهو الأمير المرحوم حسين بن عبدالله القعيطي المتوفى سنة ١٣٥٤هـ/١٩٢٦م ، الذي أيضاً خلف ديواناً من الشعر الحميني ، لم ينشر إلى الآن ماعدا بعضاً من قصائده ، ويوشك في الغالب أنه قد فقد مع وفاة إبنه سيف بن حسين القعيطي في سنة ١٩٦٨م ، ونورد في ما يلي ضرباً من أبيات شعره التي تعطينا فكرة ما عن الشاعر وكلامه والتي لها علاقة أيضاً بموضوعنا هذا –

"قال الفتى الشاعر تركت الشعر وكسرت القلم   لا من عدم وجده ولا رأسى توطيه الحتم
أنا أتجرأ الشعار أنا حط القسم فوق القسم   أنا إذا راوعت حاتم زاد روعى في الكرم
يدى بنت لي حصن من فوق الثريا أربع قيم   جدى ويدي و البلاغة والعلم فوق العلم
لي الحسب لي النسب لي الجسرة والهمم   فينا الأمير إبن الأمير فينا الحكم بن الحكم
من حمير أهل المجد ليس المجد يأتي بالنسم   إلا بكسار الجماجم لو قد الحرب التحم
ياكم ناس خلينا جماجمهم شذم   ياكم دمنًا الأرض من لحم العدو والسقى دم
نحن من الأنصار نحن أهل الشرايا والخيم   نحن لنا الفخر على كل العرب هم والعجم.. الخ" .

ولقد سمعت لهذا الشاعر قصيدة جبارة أخرى تتعلق بحدث نفيه من حضرموت عندما حاول بمعية أخيه منصر بن عبدالله معارضة عمهما السلطان عوض بن عمر القعيطي بطلب تقسيم وتجزئة السلطنة القعيطية بينهم ، والذي لم يقبله السلطان المذكور ، حيث أنه أعتبره ضياعاً لجميع نتائج مساعيه وكفاح عمره – ولقد كانا إتفقا الطرفان على عرض هذه المسألة مع كل ما لديهما من وثائق وبراهين وأدلة للتحكيم من قبل منصب عينات السيد أحمد بن سالم بن الشيخ أبو بكر بن سالم (وهو صاحب نفوذ روحي على قبائل يافع كما سبق شرحه)

والإلتزام بقراره . وعندما صدر قراره في صالح السلطان عوض إبن عمر بعدم تجزئة السلطنة كما بتعويض الأميرين حسين ومنصر مادياً مقابل ذلك وعن أملاكهم بمبلغ ضخم، لم يجد هذا الحكم القبول لديهما ، بل جعلهما يعتزمان على التمرد المكشوف، بل وقبل إنفجار الموقف ، كان الأمير منصر بن عبد الله قد سبق سك النقود النحاسية بإسمه ، كما ضرب إسمه على المسكوكات الفضية المتداولة في حضرموت مثل دولارات "ماريا تيريزا" والروبيات الهندية ، دون إستئذان عمه ! فإضطر السلطان عوض آنذاك على إتخاذ خطوة إبعادهما عن السلطنة. ونذكر لعناية القارئ الكريم على وجه المثال بعض الأبيات من هذه القصيدة التي تحوي دون ريب أو شك ضروب من ميز قوة وروعة كلام المتنبي وإن كانت القصيدة حمينية وهي:

"والله لولا العارض المصعق على غفلة نهم   وإن كان ما عولت به ما قلت ذا سعره بكم
لو هو على شمسان (جبل شاهق في عدن)   بايصبح وجوده كالعدم .... ألخ ."

(هذا وفقاً للسيد حامد بن أبوبكر المحضار ، الذي كان يحفظ ، رحمه الله ، دواوين من الشعر الحميني الحضرمي) – ولكنني عثرت على نسخة لهذه القصيدة ، وسوف أثبت نصها ضمن الملحقات في مؤخرة هذا الكتاب والتي تذكر هذه الأبيات على النحو التالي:

"والله لولا العارض المصعق على غفلة دهم   لو هو على قمران (جزر) بايصبح وجوده كالعدم
إن كان ما عولت ما باقول ذا سعره بكـم   ولو علمت الروح يردع لم يقضى به عزم.. ألخ."

وأما عن كيفية خاتمة قصة التناحر العائلي بين العم وإبني أخيه ، فقد وضع مبلغ التعويض لدى الحكومة البريطانية التي أستثمرتها في الوقت الذي قاما فيه الأميران برفع دعاوي على عمهما في المحاكم الهندية – البريطانية والحيدرآبادية ، وإستمرت المحاكمات والأستئنافات عقود من السنين حتى إصدار الحكم النهائي بتقسيم مبلغ التعويض ، الذي كان تضاعف مع مرور الزمن على الورثاء الشرعيين بما فيهم ذرية السلطان عوض بسبب روابط المصاهرة بين فرعي الأسرة ، حيث أن إبنه غالب وحفيده صالح كانا متزوجان على أختي حسين و منصر ، وهكذا إنتهت هذه القضية المؤلمة.

وبالنسبة لسـيف بن حسين القعيطي ونشاطه الأدبي وإنجازاته الثقافية ، فلقد عمل المذكور أستاذاً للغة والأدب العربي في الجامعة العثمانية بحيدرآباد ، وترك أعمال

موسوعية عن خصائص ولهجات وأمثلة اللغة الحضرمية أهمها -١) " خصائص اللغة الحضرمية " ، الذي يتكون من ١٢ مجلد -٢)" فقه اللغة الحضرمية" -٣)" الأمثال و الأقوال الحضرمية" ، وهو جزءين -٤)" فوح المدام عن رباعيات عمر الخيام " ، وهو ترجمة شعرية باللغة العربية مع شرح لرباعيات مختارة للعالم والشاعر الفارسي المشهور المتوفي عام ٥٢٦هـ/١١٣٢م ، والتي حثت العالم والأديب المصري الكبير البروفيسور عبدالوهاب بك عزام على التعليق عليها بأن " كثيراً من الرباعيات نقلت إلى العربية في صورة جديده بالأعجاب" . وعلينا بالذكر هنا أن المذكور قد إتخذ من أسلوب " إدوارد فيتزجيرالد" (EDWARD FITZGERALD) – المترجم البريطاني للرباعيات من الفارسي إلى الإنجليزي مسلكا للترجمة والتعبير عن معانيه الفلسفية . وله أيضاً ترجمة شعرية إلى العربية لبعض قصائد العلامة والمفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد إقبال ، مثل" شكوى" و"جواب شكوى"– وهذه كلها لا زالت وللأسف مخطوطة وفي إنتظار محقق وناشر ، لعله الأستاذ محمد با سلامة من جامعة أم القرى، الذي كان ينوي تقديم رسالة لأحدى الجامعات البريطانية لشهادة الدكتوراه ، مركزاً على أعمال سيف بن حسين القعيطي ، ونذكر لعناية القارئ في ما يلي ترجمة شعرية لسيف بن حسين لرباعية من رباعيات عمر الخيام:

"من كرب الأمس في زفير نفسي
من خوف غد يغمر مني حسـي
عمري قد ضاع بين خوف وأسي
يوم في حسـرة وهـم أمسي ."

وهذه في نظري المتواضع ترجمة دقيقة ورائعة تعبر ما في الرباعية من معان وضروب فلسفية بأمتع أسلوب مع الدقة في الإلتزام والتقيد بمنهج "فيتزجيرالد" الذي هو التركيز على روح المعاني في التعبير عند الترجمة ، علماً بأن قد سبقه في نشر تراجم شعرية لرباعيات الخيام كل من وديع البستاني وأحمد الصافي النجفي و السباعي، و نثراً، أحمد حامد الصراف ، و لكن كل ذلك لم ينقص من مجهود سيف بن حسين الرائع الذي كان أهداه لصديقه السالف الذكر اللواء أحمد محضار العيدروس .

السلطان صالح بن غالب القعيطي وبعض مساعيه في سبيل خدمة المجتمع ونشر المعرفة العربية و الثقافية

ولا يمكن أن نتجاهل هنا نشاط السلطان صالح بن غالب القعيطي (المولود سنة

١٣٠١هـ/١٨٨٤م والمتوفى عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) في تلك الديار كما في وطنه ، حيث المشهور عنه أنه أول من قام بالإشراف على عمليات تأسيس وإنشاء وتجميع وتركيب محطة للاسلكي والإذاعة الأولى في حيدر آباد نظراً لمعلوماته الوافرة في هذه الحقول بصفة خاصة والمجالات التقنية بصفة عامة. وعلى سبيل المثال يذكران الزائران البريطانيان لحضرموت (ســنة ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ) " نورمان بيرن" (NORMAN PEARN) و " فيرنون بارلو " (VERNON BARLOW) في تأليفهما" البحث عن سبأ" (QUEST FOR SHEBA) بأنهما قد أخبرا في عدن من قبل السيد حامد المحضار ، وزير السلطنة القعيطية قبل بدء زيارتهما ، بأن السلطان كان غائباً من مملكته آنذاك في زيارة للقاهرة بغرض شراء مولد وأجهزة كهربائية لتوسعة الإنارة في عاصمته ، المكلا . ولقد ذكر أيضاً المستر" هارولد إنجرامس" (HAROLD INGRAMS) في محاضرة ألقاها مع زوجته " دورين" (DOREEN) أمام الجمعية الملكية الجغرافية بلندن في إجتماع لها بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٤٤م (محرم ١٣٦٤هـ) بأن " كل التنمية التي تحققت (في حضرموت) كانت بتشجيع كبير من قبل صاحب العظمة " و بأن" من هواياته الكهرباء والزراعة والأدب . فلقد أحضر الكهرباء إلى المكلا ، وفعل الكثير للزراعة ،كما أسس مكتبتين عامتين في كل من المكلا والشحر . وإنني إذ أعتقد بأن الأولى تعد أفخم مكتبة عربية في جنوب الجزيرة العربية وهي منظمة ومرتبة ترتيب رائع . "

ويضيف المذكور في كتاب له يســـمى " شــــــبه الجزيرة العربيـــــة والجزر " (ARABIA AND THE ISLES) بأنه وجد"صاحب العظمة مليئاً بالأفكار لتنمية بلاده " وبأن "إهتمامه الحقيقي كان يتكمن في هذه الأمور وليس في ضياقة أفق قيل وقال السياسة المحلية . وعدد المواضيع المتنوعة التي ناقشناها عبر مقابلات دامت أسبوعين تدل على سعة إهتماماته . فبالنسبة للزراعة ، طلب إرسال خبير إلى حضرموت لمدة ستة أشهر لتقديم المشورة حول تنمية الزراعة كما رغب في إحضار شخص خبير ليعلم زراعة التمباك الملائم ومعالجته للسجاير وتصنيعها محلياً . ولقد ضمنت رغباته (الأخرى) طلب خبير لتقديم إستشارته حول إنشاء وإعداد وتجهيز مستشفى وآخراً لإعطاء رأيه عن إمكانية إنشاء طريق جديد يصلح للسيارات عبر (وادي) دوعن إلى شبام . وكان ضمن خططه شراء منارة عوامة للتحذير والإرشاد للسفن مع ونش"يصلح لرفع طنين من الوزن لمصلحة الجمارك ، وإحضار جهاز لاسلكي جديد للمكلا وإنشاء محطة له في شبام أيضاً . ولقد شملت رغباته (شراء) محدلة بخارية ، وسبق أنه كان طلب جهازاً قوته ٦٠ حصاناً لإنارة المدينة. لقد وجدته أيضاً قلقاً لترتيب مسح إستكشافي وتحليلي لمصادر بلاده المعدنية ، كما عرض علي مجموعة جادة من النماذج والعينات لها التي كان قد قام بتجميعها شخصياً . وإنه كان قلقاً أيضاً ليبدأ في تنفيذ مشروع لتنمية الثروة السمكية ، ولإحضار مدرسين من السودان ، كما لإبتعاث طلبة إلى هناك للتدريب . ولقد إكتشفت بأن لديه مشروعاً ضخماً لتنمية قوّه مع مطارها ، حيث لا توجد في المكلاّ المزيد من

المساحة للإعمار الإضافي. وكنت أشعر بإرتياح كبير كل مرة عندما كان يكرر لي: مستر إنجرامس ، ياكم عدد الأشياء التي أحتاج إلى مساعدتكم فيها". هذا بالنسبة لبعض إهتماماته وهمومه عن وطنه حضرموت .

أما بالنسبة لبعض خدماته للغة العربية والثقافة الإسلامية ، فإنه قد يكون منسياً الآن لدى الأجيال الجديدة في جمهورية الهند المتمتعة بأغلبية هندوكية ، ولكن ليس لدى ذوي العمر والدراية في حيدرآباد بأنه كان تبنى مشروعاً ضخماً على مستوى الهند لتأسيس مدارس ودوائر لنشر تعليم اللغة العربية ، وعلوم القرآن ، والدراسات الإسلامية ، بين العرب ومن لا ينطقون لغة الضاد تحت إسم "جامعة دار العرفان". وقد كان إستعان بمن إستعان بهم في وضع منهج دراسي لهذه الجامعة، بالعلامة الأزهري المشهور محمد حسن الأعظمي والبروفيسور عبد الوهاب بك عزام . وهذه الخطوات كانت تعد آنذاك من الشروعات لوضع منهج إسلامي خالص على جميع المستويات للطلبه المسلمين على إختلاف الأقطار الإسلامية ، وأن تكون العربية اللغة العامة الرابطة بين هذه الشعوب ؛ كما يجب أن يذكر بأن الذي حثهم وشجعهم على ذلك بالمشورة والدعم المعنوي وبوسائل شتى البطل الإسلامي والأديب عبدالرحمن عزام باشا ، الذي تعين فيما بعد أميناً عاماً للجامعة العربية . ولقد أراد الله في حكمته البالغة أن لا تتم هذه المشاريع التي كانت بدايتها في الهند بسبب لياقتها من حيث الكثافة السكانية للمسلمين القاطنين بها وحماستهم لمثل هذه المشاريع خلال تلك الفترة . فلقد إستولت الحكومة الهندية على مملكة حيدر آباد في سبتمبر ١٩٤٨م ، كما توفى بعض كبار رواد فكرة هذه المشاريع الجليلة ومحركيها البارزين الذين إمتثلوا خير تمثيل للتعليمات الربانية الواردة في هذه الآية الكريمة من ذكره الحكيم :" وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين " – (سورة التوبة) .

ومن أعمال هذا السلطان العالم الذي كان يولي المعارف ونشره إهتمامه الخاص أينما ثقف ، بحيث كان قد أصبح الإنفاق السنوي المخصص في موازنة الدولة على بند المعارف بعد سنتين من توليته عرش السلطنة في حضرموت سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ، يعلو بنسبة ملحوظة المبلغ المخصص تحت نفس البند من قبل الحكومة البريطانية في "مستعمرة التاج " عدن ! . ويذكر الشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي ، أحد أبرز علماء وأعيان حضرموت الذي كان عرفه عن قرب وعمل معه فترات طويلة في مجالات المعارف والإدارة والسياسة ، وذلك في مقدمة كتاب " إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت" لعبدالخالق البطاطي ، وفي كتابه "رحلة إلى يافع " بأنه :"إذا تحدثنا عن ...... السلطان صالح بن غالب ، وحيد عصره وفريد دهره ، فإنه يتطلب منا مجلدات ، فهو العالم بما تحمل هذه الكلمة من فقيه ، محدث ، أديب ، فيلسوف ، ميكانيكي ، ملم بعلوم الطبيعة، متقن لعدد من اللغات الأجنبية (قرأةً

ونطقاً وكتابة ، منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والفارسية والأردو) ، له تآليفات كثيرة ، وسع دائرة التعليم ، وفتحت في عهده الأندية والأحزاب ، ولكن كانت الظروف تعمل في الجانب المعاكس ، ورحم الله الزعيم المغربي الشيخ عبدالعزيز الثعالبي القائل عند زيارته للمكلاّ ، قال: إنني أفكر بألم عندما يتولى السلطان صالح مقاليد الحكم في هذه البلاد ، فمؤهلاته وطموحاته ومواهبه ستظل حبيسة لا تجد لها منطلقاً ، لأن الشعب ما زال متخلفاً والإستعمار يولي هذه المنطقة إهتماماً كبيراً – وقد صدق ."

وعن مجالس السلطان صالح اليومية أينما ثقف والتي كانت عامرة دائماً بعلماء ورجالات عصره ، فيقول الشيخ سعيد عوض باوزير في تأليفه "صفحات من التاريخ الحضرمي:" له (أي السلطان صالح) مع زواره من العلماء والأدباء ورجال الدين من وطنيين وأجانب مواقف تنطق بفضله وغزارة علمه وسعة إطلاعه . فقد كان يبحث مع كل من يضمه مجلسه من حملة العلم وأرباب الثقافة بحث المتضلع الواثق من معلوماته فيدهشهم بما يحويه دماغه الكبير من علوم ومعارف . وقد أعترف المستر"وندل فلبس" (WENDELL PHILLIPS) – رئيس البعثة الأمريكية التي زارت حضرموت أخيراً في طريقها إلى بيحان للبحث عن حضارة القتبان – بأن بعض الأسئلة العلمية التي كان يوجهها إليه صاحب العظمة نزلت على رأسه نزول الصاعقة حيث لم يستطع الإجابة عليها ، فإضطر أن يحيلها إلى بعض المختصين من أفراد بعثته الذين حضروا هذه المقابلة . " ويضيف عن رغبته في الإصلاح بأن :"وقد كانت ثقافة السلطان صالح الواسعة وخبرته بشؤون العالم ووقوفه على أحواله وتطوراته سبباً في إختلاف نظرته إلى الحكم وواجباته عن نظرة غيره ممن سبقه من السلاطين ، فالبلاد في نظره أمانة في عنق الحاكم ، عليه أن يسعى بكل الطرق والوسائل لتقدمها ورفاهيتها ، وليست عقاراً خاصاً به يستغله لمصلحته الخاصة".

وعن مؤلفاته ، فبإمكاننا أن نذكر بعض منها وهي – ١) " مصادر الأحكام الشرعية " في ثلاثة أجزاء (مطبوع) –٢) "الآيات البينات الدالة على وجود خالق الكائنات "(مطبوع) –٣)" مبحث التعبد بأحاديث الآحاد "(مطبوع) –٤) " الملاحة البحرية " في مجلدين (مخطوط) – ٥) " رسالة في الهندسة " (مخطوط) – ٦) " رحلة إلى دوعن" (مخطوط) – ٧) " تفسير مفردات القرآن " باللغة العربية والأردو (لم يطبع) – و غيرها .

ولقد علق مفتي الديار الحضرمية السيد عبدالرحمن بن عبيد إللاه في تاريخه المخطوط والضخم " بضائع التابوت " عن السلطان صالح وبعض مؤلفاته على هذا النحو : "الملك الحالي ... هو من أهل الفضل والعلم له مؤلفات منها كتاب في الفقه علي طريق الإجتهاد ، أطلعني على حصة منه في العبادات يذكر أدلة الأحكام ثم يختار ما ينص عليه أقواها ، فأعجبني وأنقني ، وكان عرضة ذلك نفاسة وتحقيقاً وعذوبة عبارة .... فالمأمول أن يتحرك في

"ياصنو غالب زلك المعقول وأخطاك الصواب
إستغفر الله ما تخاف الله وتخشى العذاب
كم لي و(أ) نا ناصحك من طرق الخسارة والخراب
ولا سمعت النصح مني شئ في العقل إضطراب
أو ذا أصرفوك (سحروابك) " المولوية والحضرات " (العلماء وذوي الدين والثقافة) بالكتاب
باتطرد الوارث وباتطرح بدل عوله غراب
وباتيقل علب في مسقاك لي (الذي) شوكه حراب
غروك لي (اللذين) حطوك (وضعوك) في ذا الشور (هذا التفكير) بيضان الثياب
لي (اللذين) جاء وا من بغداد (العلويين الحسينيين)
ما تنشد عا (على) الفريس إلا الكلاب
إسمع كلامي كان عادك للمعزة في طلاب
خل العسل في النحي لا تطرح في الجفنة ذباب
وإنظر و دبر في الأمور المبعدة وإلا القراب – " ألخ.

والمشهود ضمن إنجازات هذا السلطان الخير وبعيد الرؤية الذي لم يتردد عن المساهمة في أعمال الخير أينما كانت ، أنه كان قام أيضاً بتبني وتمويل مشروعاً خيرياً صناعياً ، لعله الأول من نوعه ، تحت عنوان" دار الصناعة" – والذي كان أول فروعه في المدينة المنورة – وذلك بموافقة وتشجيع من الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه. وكان الهدف من إنشائه ، الذي تم في سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م ، تعليم أهالي الديار المقدسة الحرف الصناعية ، والقيام بتغطية إحتياجات الأهالي وضيوف الرحمن لأقمشة الإحرام ، وإنتعاش إقتصادياتها ، وإن لم تعم فوائده لزمن طويل بسبب إكتشاف النفط بكميات تجارية خلال فترة متقاربة .

وإذا أردنا أن نعطي نبذة عن هوايات هذا السلطان ، فبإمكاننا أن نذكر أنه كان يفهم الكثير في فن الموسيقى الشرقية حيث كان في مقدوره أن يفسر للمغني أو الآلى في أية نوتة أو وتر أخطى، والجوقة السلطانية التي نالت أعجاب كل من إستمع لها من الزوار الأجانب إضافة إلى السكان المحلي كانت من أعماله. إنه كان رساماً أيضاً كما كان رامياً ماهراً وصياداً ، إستطاع أن يقنص العديد من الحيوانات المفترسة وعلى رأس قائمتها عدة نمور هندية قبل ترك هذه الهواية وتبنى فن التصوير بما فيه التصوير السينمائي والعلوم الجانبية المتعلقة به. وعلى سبيل المثال ، فيذكر المؤلف البريطاني المشهور" جيمس موريس" (JAMES MORRIS) الذي كان زار المكلا ، وذلك في كتابه " الملوك الهاشميين" (THE HASHEMITE KINGS) بأن السلطان صالح كان قد قام بتزويد فيلم لـ "شارلي شابلين" (CHARLIE CHAPLIN) بمدرج صوتي باللغة العربية . وأما عن مهارته في الرماية

"ياصنو غالب زلك المعقول وأخطاك الصواب
إستغفر الله ما تخاف الله وتخشى العذاب
كم لي و(أ) نا ناصحك من طرق الخسارة والخراب
ولا سمعت النصح مني شئ في العقل إضطراب
أو ذا أصرفوك (سحروايك) " المولوية والحضرات " (العلماء وذوي الدين والثقافة) بالكتاب
باتطرد الوارث وياتطرح بدل عوله غراب
ويا تبقل علب في مسقاك لي (الذي) شوكه حراب
غروك لي (اللذين) حطوك (وضعوك) في ذا الشور (هذا التفكير) بيضان الثياب
لي (اللذين) جاء وا من بغداد (العلويين الحسينيين)
ما تنشد عا (على) الفريس إلا الكلاب
إســـــــــمع كلامي كان عادك للمعزة في طلاب
خل العسل في النحي لا تطرح في الجفنة ذباب
وإنظر و دبر في الأمور المبعدة وإلا القراب – " ألخ.

والمشهود ضمن إنجازات هذا السلطان الخير وبعيد الرؤية الذي لم يتردد عن المساهمة في أعمال الخير أينما كانت ، أنه كان قام أيضاً بتبني وتمويل مشروعاً خيرياً صناعياً ، لعله الأول من نوعه ، تحت عنوان" دار الصناعة" – والذي كان أول فروعه في المدينة المنورة – وذلك بموافقة وتشجيع من الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه. وكان الهدف من إنشائه ، الذي تم في سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م ، تعليم أهالي الديار المقدسة الحرف الصناعية ، والقيام بتغطية إحتياجات الأهالي وضيوف الرحمن لأقمشة الإحرام ، وإنتعاش إقتصادياتها ، وإن لم تعم فوائده لزمن طويل بسبب إكتشاف النفط بكميات تجارية خلال فترة متقاربة .

وإذا أردنا أن نعطي نبذة عن هوايات هذا السلطان ، فبإمكاننا أن نذكر أنه كان يفهم الكثير في فن الموسيقى الشرقية حيث كان في مقدوره أن يفسر للمغني أو الآلي في أية نوتة أو وتر أخطئ، والجوقة السلطانية التي نالت أعجاب كل من إستمع لها من الزوار الأجانب إضافة إلى السكان المحلي كانت من أعماله. إنه كان رساماً أيضاً كما كان رامياً ماهراً وصياداً، إستطاع أن يقنص العديد من الحيوانات المفترسة وعلى رأس قائمتها عدة نمور هندية قبل ترك هذه الهواية وتبنى فن التصوير بما فيه التصوير السينمائي والعلوم الجانبية المتعلقة به. وعلى ســـبيل المثال ، فيذكر المؤلف البريطاني المشـــــهور" جيمـــس موريس" (JAMES MORRIS) الذي كان زار المكلا ، وذلك في كتابه " الملوك الهاشـــــميين" (THE HASHEMITE KINGS) بأن السلطان صالح كان قد قام بتزويد فيلم لـ "شارلي شابلين" (CHARLIE CHAPLIN) بمدرج صوتي باللغة العربية . وأما عن مهارته في الرماية

والقنص ، فلقد مدحه الشاعر والعالم الجليل السيد أبوبكر بن شهاب عند عودته من رحلة صيد قائلاً :

" من كان يصطاد في يوم ثمانية   من الضراغم هانت عنده البشر ."

لقد سبقت الإشارة إلى أمر توله بالفقه والفلسفة والرياضيات والفيزياء وعلم الفلك والهندسة والكهرباء والمذياع واللاسلكي والزراعة عبر الكتب التي ألفها – ألخ . وإضافة إليها، فإنه كان يهوي البستنة أيضاً كما كان حاول ترويج العسل الحضرمي الشهير بين الأوساط البريطانية عبر تقديم مائة علبة هدية لنبلاء ومشاهير بريطانيا ، وعلى رأسهم الملك جورج السادس والملكة أليزابيث خلال زيارته لحضور إحتفالات التتويج ، كما كان طلب من قبل المعهد الإمبريالي (THE IMPERIAL INSTITUTE) دراسة إمكانيات تسويقه تجارياً في المستقبل . ولكن إجابة المعهد آنذاك لم تكن مشجعة .
وكان السلطان صالح يوظف عدداً من المهندسين والميكانيكيين والنجارين والكهربائيين للقيام بتنفيذ توجيهاته ، وعلى سبيل المثال ، إضافة إلى تأليفه كتاباً عن الملاحة البحرية كما ذكرنا ، فإنه كان قد قام بتصنيع سفينة عربية مزودة بمكينة والعديد من الآلات والتسهيلات الحديثة لإستخدامها للتنقل بين السواحل الحضرمية والتي كانت سميت بإسمه ، بينما كانت أدت هواياته في الطب – علماً بأن كانت له دراية جيدة بأصول مدارس الطب المختلفة ، مثل الألوباثي ، الهوميوباثي ، واليوناني، والعربي والهندي – إلى إنشاء مختبر صغير في قصره ، حيث كان يقوم علي سبيل المثال بتحليل نسبة السكر في بوله وبمعالجة نفسه .

لقد سلف الذكر عن إهتمامه بالجيولوجيا والمعادن بحيث كان طلب خبراء أوروبيين من الحكومة المصرية خلال فترة حكم والده السلطان غالب بن عوض الأول لإجراء مسح جيولوجي لإمكانيات حضرموت في إنتاج المعادن بصفة تجارية ، كانت نتيجته تقرير المستر" ليتل" (THE GEOGRAPHY AND GEOLOGY OF MUKALLA) (O.H.LITTLE) المطبوع في سنة ١٩٢٥م(١٣٤٣هـ) . كما كان أول من فاوض إتفاقية للإستكشـــــاف عن النفط في الجزيرة العربية بعد البحرين وفي وقت متزامن بالتقريب مع الكويت ، والتي كانت مع شركة (EASTERN SYNDICATE LTD) البريطانية . ولقد كانت البداية الجدية لهذه المفاوضات من سنة ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) ، زار أوروبا من أجلها في شهر يونيو – وذلك في عهد جده ، وأمضى عليها من قبل والده سنة ١٩١٢م(١٣٣٠هـ) بعد أخذ ورد طويل مع الحكومة البريطانية من أجل المصادقة عليها – وإن لم تتوفق هذه الشركة في أية مساعي تذكر ، علماً بأنها كانت وقعت في مرحلة لاحقة إتفاقية مع الملك عبدالعزيز آل

سعود أيضاً، ولكن دون نتائج . ولكن قل من يعلم بأنه كان خبيراً في الأحجار الكريمة أيضاً ، وبالخصوص اللؤلؤ ، الذي يشتريه من السفن الواصلة من الخليج الفارسي (العربي حالياً) لبيبعها في أســـواق "بومباي"، أهم المراكز العالمية لهذه التجارة بعد"باريس"، عن طريق بعض أصدقائه. وكانت وفاة السلطان صالح في عدن سنة ١٩٥٦م ودفن رحمه الله في مقبرة الشيخ يعقوب بالمكلا .

تاسيس أمارات في جنوب الجزيرة العربية بتمويل من الهند

وعن الذين إستطاعوا أن يحققوا لأنفسهم الحظوة الكبرى بنشاطهم في تلك الديار حتى أصبحوا، مستعينين بما كسبوه ، وكما أشار الشيخ صلاح أحمد الأحمدي في قصيدته المشهورة التي ذكرنا منها أبياتاً سالفاً ، أصحاب مماليك وممالك في مواطنهم الأصلية ، فبإمكاننا أن نذكر السلطان جعفر بن علي بن جعفر الكثيري الذي كان أتي من الهند إلى حضرموت بمال كثير وإستطاع بذلك أن يحتل مدينة شبام في سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م ثم مدناً رئيسية أخرى في حضرموت. ومن بعده إبنه عمر بن جعفر الكثيري، الذي وصل من"بروده" (BARODA) محضراً بمعيته أربعين صندوقاً – والذي ظن الناس بأنها مملوءة ذهباً بينما هي كانت تحوي حديداً ! وهناك آخرون من سلاطين آل كثير مثل السلطان غالب بن محسن وأقربائه كالسلطان عبود بن سالم والسلطان علي بن أحمد الذين إستطاعوا بمكاسبهم من حيدرآباد أن يؤسسوا ما سميت بالدولة الكثيرية "الرابعة"، وهي آخر دولة لهؤلاء البواسل من همدان ، دامت لغاية فترة إستقلال رقعة جنوب الجزيرة العربية من الحكم البريطاني في سنة ١٩٦٧م . ولقد رافقتها في العمر الدولة التي أسستها يافع برئاسة آل عمر بن عوض بن عبدالله القعيطي وأبنائه بأتعابهم التي نالوها مقابل الخدمة العسكرية في بلاط "ناكبور" (NAGPUR) ومن ثم في حيدر آباد والتي رافقهم فيها بعض من سلاطين يافع العليا من آل هرهره. وإننا أيضاً لا نستطيع أن نتجاهل سرد إسم القائد العسكري المحنك عبد الله بن علي العولقي الذي كان نداً لعمر بن عوض القعيطي في زعامة العرب في حيدرآباد، وإن تلاشت مساعيه ومجهودات ولده محسن في تكوين دولة مستديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية – بعد أن استطاعا عقب عدة محاولات فاشلة لشراء بعض المواقع الساحلية مثل بئر علي وبئر أحمد – على وضع حجر أساس لمشروعهما بشراء ميان الصداع على مقربة من الحزم وإنشاء قلعة شامخة فيها تسمى حصن الصداع، لا زالت آثارها قائمة في موقعها في حضرموت بين مدينتي الشحر وغيل باوزير. ويقول العلامة المرحوم السيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف ، مفتي الديار الحضرمية لعصره، في تأليفه "بضائع التابوت في تاريخ حضرموت" تلخيصاً حول ما نحن بصدده هنا:

"إن القعيطي أقام بمن فاء اليه من يافع دولة رفيعة القدر محكمة البناء جميلة المنظر مبنية على الرأفة بالرعايا والرفق بهم لم يبال في سبيل ذلك بمزاحفة رجال ولا بإنفاق مال ولقد حدث الحبيب أحمد بن حسن العطاس عن عنبر مولاهم أن ما خرج على يده (بحاله) في مشترياتهم وحروبهم بحضرموت (خلال الفترة الأولى) ثمانية آلاف وألف ومائة الف ريال ("دولار ماريا تيريزا") والفضل في هذه الدولة ودولة العولقى و دولة السلطان غالب عائد كله إلى حكومة حيدرآباد فهي التي أنبتتهم كما ينبت الربيع البقل .... الخ ."

والجدير بالتدوين هنا أيضاً أنه إضافة إلى الإنفاق المشار إليه أعلاه ، فلقد كان أوصى الجمعدار عمر بن عوض القعيطي في رجب سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٣م قبل وفاته بالثلث من كل ما كان يملكه من أجل إصلاح الأحوال في وطنه الحبيب حضرموت ، والذي قدر في يومه زائداً على ألف ألف روبية هندية مـــــن ممتلكــاته في حيدرآباد بحـــالها ! وعندما زارا المـــستكشفان البريطانيان المـــستر " ثيودور بنت " (THEODORE BENT) و زوجته حضرموت بمعية مجموعة من الخبراء ، منهم نباتي ومصور و رسام و طبيب و ترجمان و غيرهم في شهر ديسمبر عام ١٨٩٣م/ ١٣١١هـ في زيارة إستكشافية ضمنت مناطق أخرى أيضاً في الجزيرة العربية ، وتلاها بنشر ملاحظاتهما في عدة مقالات و كتاب مفصل باللغة الإنجليزية تحت عنوان (SOUTHERN ARABIA) أو "جنوب الجزيرة العربية" ، فدونا عن الوضع في حضرموت على النحو التالي :"إن زمام حكم البلاد يقع الآن وعلى نحو متكامل بيد الأسرة القعيطية، وهي أقوى أسرة في المنطقة كما تعتبر أغناها في الجزيرة العربية "– وبأنها " تستمر في توسيع رقعة نفوذها في الوديان المجاورة عبر الشراء وبناء حصون كبيرة وهامة وتأسيس من أقوى السلالات ......"ثم "إنهم يأتون بجميع أموالهم من المهاجر " كما بأن " قوة و ثروة هذه الأسرة تعتبران تقريباً الضمانة الوحيدة للأمن والأزدهار في بلاد يخلو دون هذا العنصر من أي إنضباط قانوني."

وأما عن ثروة الجمعدار عبدالله بن علي العولقي ، فيقال عنه بأنه عندما أدرك عن إقتراب أجله فقال بأنه تارك لإبنه محسن عشرين ألف ألف روبية نقداً إضافة إلى ما يملكه من عقار ومجوهرات وغيرها وبأنه "إذا كان فحلاً فلن يحتاجها وإن كان فسلاً ، فلن تنفعه !" – ولقد سمعت بنفسي من مجموعة من الثقاة المسنين بأنه عندما أحترق قصره في أيام أحفاده نتيجة لإصابته بصاعقة ، فشوهدت المعادن مثل الفضة وغيرها تسيل في المجاري بسبب شدة الحرارة! – والغريب عن هذه الأسرة أنه بينما العرب

يذكرونها بخير ، فالهنود ينسبون إليها الظلم والعنف في معاملاتها مع المواطنين – والله أعلم بالصواب ! ويعلق السيد عبدالرحمن بن عبيدالله عن الجمعدار عبدالله العولقي في تاريخه بأنه " كان صغير الجثة" بحيث وصفه أنداده بأنه" مثل الذباب"، ولكنه في نفس الوقت كان وقوراً ، حليماً ، مرضي الخلائق ، قوى النفس ، عالي الهمة والمعنوية وكبير الطموح والإنجازات ، كما أنه يعد (مع الجمعدار عمر بن عوض القعيطي) أول من مهد الخير للعرب بحيدرآباد وفتح لهم السبيل ، كما يضيف تعليقاً بأنه: "لولا ما جبلوا عليه من الأحساد واللجاج من العناد لما كانت حيدرآباد إلا وطنا عربياً لهم ولكنهم أعطوا النعمة فلم يحسنوا شكرها وسيق اليهم ملك عظيم فلم يحسنوا سياسته فآل بهم الأمر فيها ماخلا القعيطي إلي الإنحطاط والإضمحلال."

ولعل آخر محاولة للحصول على تمويل من حيدرآباد لتقوية جذور رئاسة أو صدارة ناشئة في حضرموت كانت من قبل السيد محمد بن طاهر الحداد رحمه الله ، الذي كان بويع نقيباً للعديد من الأسر العلوية في حضرموت عبر وثيقة تم التوقيع عليها من قبل هؤلاء سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م . ولقد سافر المذكور ، وهو صاحب شخصية كبيرة متميزة وآمال مجيدة ، إلى حيدرآباد بحثاً عن مصادر لتحقيق العديد من أحلامه ومنها "كفاية جميع العلويين بحضرموت" . وعند وصوله ، رحب به وأجله الأمراء وأسلم على يده الكثيرون ، كما إستطاع أن يجمع أموالاً كثيرة . ولكن يقال أن إتباعه لآراء غير صالحة من بعض أصحابه ساعدت أعداء له من جماعته العلويين على نفسه ، حتي كانت خاتمة مساعيه الندم بعد أن أشرف على نجاح باهر . والذي وقع له أيضاً في الأخير لسوء الحظ أنه أختلس عليه أحد أصحابه من الهنود الأموال التي كان جمعها والتي قدمها للآخر لتحويلها إلى حضرموت. وبعد عودته ، لم يبق السيد محمد الحداد طويلاً في حضرموت يعض أنامل الندم . فلقد شجعه تعبه بالتوجه هذه المرة إلى مهجر الحضارم الآخر والأكبر ، جاوا . وهناك ، سرعان ما حقق لنفسه مكانة في المجتمع ، ولكن لم تطل أيامه ، فتوفي بـ "تقل" (TEGAL) سنة ١٣١٦هـ /١٨٩٨م عن عمر يناهض أثنين وأربعين عاماً ، ودفن بها ، حيث يعامل ضريحه مثل أضرحة كبار الأولياء في تلك الديار .

مدى تأثير الوجود العربي على التقاليد و العناصر الثقافية

وتشير تواريخ هذه الولايات الهندية المفصلة لهذه الفترة إلى مدى نفوذ ونشاط

العرب ، كما تبين الدراسات الإجتماعية مدى تأثيرهم على المجتمع من ناحية الزي والسلاح والموسيقى والغناء والرقص والرياضة والأطعمة وغيرها من العوامل والعناصر الحيوية والثقافية كما عن مساهماتهم .

ولقد لاحظت خلال بحوثي صوراً تاريخية لأواخر القرن التاسع عشر الميلادي لكثير من حكام هذه الولايات من الهندوكيين والمسلمين – ماعدا حكام حيدرآباد– يتقلدون "الجنابي" (مفردها جنبية) و "النمش " (مفردها نمشة) – وهي بالترتيب خناجر وسيوف يتمنطق بها عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، وأيضاً بعض " الدساميل" (مفردها دسمال – وهي العمامات) ، و " المعاجر" (مفردها معجر) أو " العصر" (مفردها عصرة – وهي ربطات تستخدم حوالي الخصر لتثبيت الجنابي في محلها وكبديل أو زيادة للأحزمة). كما تعرف الهنود على الرقصات الشعبية العربية بالسيوف والخناجر والعصى من عسير و اليمن ويافع بحضرموت وعمان وترافقها في الغالب الزوامل وآلات الطرب مثل الدف والمرفع والمزمار ؛ وعلى أطباق شهيرة مثل "المرق" (وهو كما هو معلوم شربة اللحم المسلوق) ، و "الهريس"(الذي هو مطحون اللحم والقمح) ، و المضبي (وهو لحم يتم شواؤه على أحجار ساخنة)، و"الكوزي" (وهو الخروف المحشي) الخ .

وعلى سبيل المثال ، فلو تناولنا موضوع حقل رياضي مثل المصارعة – وهي رياضة شبه غير معروفة في حضرموت – فنجد أن سرعان ما تعرف عليها العرب فور وصولهم إلى ديار الهند وسجلوا لأنفسهم دوراً بارزاً فيها . ولقد أشتهر في مهارة فنون هذه الرياضة النادرة الأستاذ عيسى بن عفيف بن على اليافعي، الذي أسس" دنقل" أو مركزاً للتعليم والتدريب في فنون المصارعة ، والذي أصبح يعد أشهر مركزاً ضمن آلاف أمثاله في مملكة حيدرآباد ماعدا مركزاً واحداً كان يتمتع بنفس السمعة . وعندما توفى المذكور سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، إشتهر مثله إبنه محمداً ، الذي كان قارئاً متميزاً وصاحب مدرسة لتدريس حفظ القرآن والتجويد ، كما كان يتمتع بشرف التلمذة لبطل العالم لعصره في المصارعة – غلام محمد المشتهر في تاريخ هذه الرياضة بلقب " قاما " (GAMA) – علماً بأنه تحصل عليه – أي شرف التلمذة – في سنة ١٩٣٢م/١٣٥١هـ . ومن الجدير بالذكر أن والدته كانت أختاً للأديب والمحقق المشهور عمر بن صلاح بن يحيى اليافعي ، الذي لعب دوراً كبيراً في تجميع مخطوطات علمية نادرة وتعريفها للمجتمعات العلمية وأعدادها وتحقيقها وترجمتها للنشر .

ثم إذا تطرقنا إلى موضوع الموسيقى وفن الغناء ، فإننا لا نقدر أن نتجاهل التأثير العميق للموسيقى وفن الغناء الشرقي – أي الهندي والجاوي – على الفن الحضرمي . ومن أبرز من ترجموا وعبروا عن هذا خلال العقود السابقة لعصرنا اليوم سلطان بن صالح آل هرهرة اليافعي المتوفى في مدينة بومباي سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، الذي كان استفاد من مكوثه في

تلك الديار ، كما علم العديد من المغنين والمطربين والملحنين . وهناك من يزعم بأنه أول من أدخل آلة العود إلى حضرموت ، بينما نرجح القول أن هذه الآلة العربية كانت معروفة في بلاد العرب قبل نشأة المذكور بقرون عديدة، والله أعلم . وهناك أيضاً المرحوم الأستاذ محمد جمعة خان (الذي قيل عند وفاته من قبل هواته أنه بها " مات الفن ") وغيره الذين أبدوا تأثيرهم الواضح في فنهم بالموسيقى وفن الغناء الشرقي ، كما إعترفوا بذلك بكل وضوح وأعتزاز وسعوا في ترويجه ، بحيث أصبح الأمر جزء لا يتجزأ من الفن الحضرمي . كما يجدر بالأعجاب أيضاً ، تواجد أعداد من الفنانين الحضارمة الأصل ضمن المغنيين المشهورين في جميع المهاجر الحضرمية وعلى رأسها أندونيسيا ، وثم الهند وأفريقيا .

ونظراً لتواجد العرب في الهند بأعداد كبيرة وفي وظائف حساسة ، إستفادت قضية الثقافة العربية والإسلامية المركزة على تجميع مخطوطات نادرة لإعدادها وتحقيقها للنشر مع تراجمها في مطابع و دوائر نشر أسست في تواريخ متطابقة لإنشاء مطبعة بولاق في مصر. – أي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) – ومما يجدر بالذكر أنه عندما بدأت دائرة المعارف إضافة إلى مجهودات دائرة دار الترجمة في حيدرآباد في نشاطها الجدي المكثف بتجميع ونشر العديد من المخطوطات العربية النادرة ، وعلم بها علماء وشيوخ جامعة الأزهر ، فلم يبخلوا في ثنائهم على هذا النشاط وهذه الإنجازات ، كما قد علق البعض منهم بأنها تحقق للعرب ما كان يجب عليهم أن يقوموا بتنفيذها. وعلى سبيل المثال ، فلقد قام العلامة عبدالله العمادي المنتسب إلى دار الترجمة بنقل الخمسة أجزاء الأولى من ثمانية "الطبقات الكبرى" لأبو عبدالله محمد إبن سعد البصري (المتوفى في عام ٢٣٠هـ/٨٤٥م) والتي سبق ذكرها ، إلى الأردو قبل أن توافيه المنية وهو قائم على عمله هذا.

والجدير بالذكر أيضاً أن الوجود العربي في الهند كان ضمن أهم الأسباب التي جعلت حكومات وأثرياء تلك البلاد يتبنون ويشجعون جميع القضايا الإسلامية بحماس كبير ، السياسية منها و الثقافية . فلا عجب على ما قالها الشريف زيد بن محسن في قصيدته المضمونة نصها في مؤخرة هذا الكتاب و المقدمة لآخر ملوك حيدرآباد مير عثمان علي خان:

" قد شـــاع فعله المبرور والعز   وأصبح الشهم مأوى العرب والعجم
حتى إلى القدس قد فاضت سوانحه   بالجود يسمو وللخيرات يقتحمي." ألخ

وفي نفس الشأن ، ذكر السيد جمال الملاح، أستاذاً للأدبيات العربية من طرابلس، لبنان في قصيدة ، منها :

"ولازلت للدين الحنيف ناصـــراً   ظهيراً لكل المســـلمين إماما
تناصره في كل شـــرق ومغرب   وترعى لأهل العلـــم فيه مقاما
تؤسس من جدوى يديك مدارسا   تهذب أطفـــالاً بهـــا ويتامـــى
فقد شتت الجهل المفر و شملنا   وفل من الدين الحنيف حســـاما
أباح حصون المســلمين وعزهم   وخيـــم من فـــوق الرؤس ظلاماً
ولم يبق للإسلام غيرك مســـعفا   كفيلا بنصر المسلمين هماما –" ألخ .

ولإطلاع القارئ أيضاً ما يلي من أبيات من قصيدة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحيم المدني ، التي أيضاً تلقى ضوءاً على ما نحن بصدده ولو بنسبة من المبالغة الشعرية :

" لم ألق بدراً في الفخـــار يزهر   إلا أميـــــر المؤمنين النير
الملك عثمان الســـمى ومن غدا   بعطائه وجه البســـيطة يغمر
من سال للحرمين مسبل جوده   وغدت له الأنام طرا تشـــكر
(**)(******)(*****)(*)(*****)   (****)(*****)(*)(**)(**)(****) –" ألخ .

ونضيف إلى كل ذلك ما قاله الزعيم العربي الكبير ، مفتي ديار فلسطين ، المرحوم الحاج أمين الحسيني تأسفاً عندما علم بإحتلال الهند لحيدرآباد عنوة في سنة ١٩٤٨م والقضاء على المملكة الآصفيه ، بأنها "مأساة إسلامية توازي في حجمها إنقراض الحكم الإسلامي من غرناطة ! ".

وتعزيزاً لما سلف من ذكر عن النشاط الثقافي والخيري الإسلامي في مملكة حيدر آباد ، نثبت هنا ما قاله الكاتب والأديب البريطاني المسلم " محمد مارماديوك بكثال" (PICKTHALL) الذي حاز أيضاً بشرف ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان: (THE MEANING OF THE GLORIOUS QURAN) ، تتمتع بتأييد جامعة الأزهر الشريف ، وهو آنذاك مديراً لدائرة المعارف السالفة الذكر في حيدرآباد ، فيقول المذكور :"إن حيدرآباد كانت تعتبر شبه عاصمة لجميع المسلمين، حيث يأتي إليها أناس من جميع الأنواع (أي بمطالب على إختلاف الأنواع) مجتذبين بثروة صاحب العظمة المجللة (نظام حيدرآباد) الأسطورية ، وقد كان العديد من هؤلاء يقومون بزيارتي في مكتبي ."

وفي هذا الشأن ، عثرت من حسن الحظ على عدد من القصائد باللغة العربية التي كانت قدمت لآخر ملوك حيدر آباد في مناسبات وأعياد مختلفة من قبل شـخصيات عربية وهندية، أثبت بعضاً منها من التي سبقت الإشـــارة إليها كاملة ، لعناية القـارئ الكـريم في مؤخـرة هذا الكتاب إن شاء الله كما ذكرته ، وذلك لما لها من صلة بموضوع الكتاب وأهمية تاريخية وثقافية دالة على أهتمام أهل هذه الديار باللغة العربية ومدى إنتشارها، والمستوى العالي التي كانت أحرزته ضمن مناهج التدريس وغيرها، وكل ذلك بفضل الوجود العربي ومساعي العرب . وأول هذه القصائد كما سلف ذكرها مقدمة من الشريف محسن بن زيد (من أحفاد الشريف زيد بن محسن – شريف مكة المكرمة – الذي سبق ذكره مع مراسلته مع السلطان عبدالله قطب شاه ، ملك "قولكندة") ؛ والقصيدة الثانية من الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحيم المدني أحد خدام الحرم النبوي الشريف المشار اليه سالفاً ؛ والقصيدة الثالثة مقدمة من أستاذ الأدبيات العربية ورئيس جمعية الأيتام في طرابلس ، لبنان ، السيد جمال الملاح ، وذكرنا منها بعض الأبيات ؛ والقصيدة الرابعة والخامسة من مقصود علي ، مدرس اللغة العربية بـ "عثمانية كالج "، أورنـك آبـاد (AURANGABAD)، والقصيدة السادسة من القاضي عبدالصمد سيو هاروي المكنى "صارم"؛ والقصيدة السابعة والثامنة من الحاج أحمد نخوي .

العرب و جنوب شرق آسيا

أما بالنسـبة لنشاط أبنـاء الجزيرة العربية في جزر "الفلبين" (THE PHILIP-PINES) والأرخبيل الإندونيسي ، فبامكاننا أن نذكر أن صلتهم بهذه الجزر وعلى رأسها جزيرة "جاوا " (JAVA) بدأت قبل القرن الثامن الميلادي ، متوازياً بإرتباطاتهم التجارية مع الهند و" سيلان"(CEYLON)—"سرنديب"تاريخياً و"سري لانكا" (SRI LANKA) حالياً – وإن كانت أخف نسبة ما، بسبب طول المسافة وزيادة المخاطر مقارنة بالرحلات البحرية إلى سواحل الهند . ولكن عندما هدأت الأحوال السياسية والإجتماعية في الهند عقب التمرد أو الثورة الهندية في سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م ضد البريطانيين ، والتي إنتصر فيها الأخيرون ، كما أبدوا في وقتها إستعدادهم التام لقمع أية حركة تمرد بعنف لا مثيل له، وقاموا بالتالي بفرض تنظيمات أوروبية على جيوش وعساكر جميع الحكام الهنود ، فلقد إضطر المرتزق العربي مع تقليص الفرص التي كانت أمامه سابقاً في مجالات الجندية، على الشروع في بحث عن حقول بديلة أخرى للإرتزاق منها ، ولحسن حظه ، فلقد صادفت هذه الفترة تعريف السفن البخارية في المحيط الهندي ، والتي كانت بدايتها المتواضعة

عام ١٨٢٩م (١٢٤٥هـ) عندما قامت شركة خط البحر الأحمر بإسـتخدام ال "هيو لندزاي" (THE HUGH LINDSAY) – وهي سفينة بخارية متواضعة الحجم ، وزنها ٤١١ طن لا تزيد ، للسعي بين موانئ شبه الجزيرة العربية وبومباي ، علماً بأن وزن بعض البواخر في عصرنا هذا قد يصل إلى ٤٠ر٠٠٠ طن!

وكما هو معلوم في الغالب ، فإن نسبة هجرة الحضارم إلى شرق آسيا إرتفعت بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) بمستوى خيالي، حتى زاد تعدادهم في مقاطنهم ومواطنهم الجديدة في جزيرتي "جاوا" (JAVA) و "مدورا" (MADURA) وبالخصوص في مدينة" بتافيا"(BATAVIA) وهي تدعى " جاكارتا " (JAKARTA) اليوم ، وفي "شيريبون " (CERIBON) و "تقل" (TEGAL) "بيكالونقن" (PEKALONGAN) و "سمارانغ"(SAMARANG) و " سورا بايا " (SORABAYA) على عددهم في مهاجرهم ومقاطنهم التاريخية الأولى في " سومترا" (SUMATRA) مثل "أشي" –أي" أتشيه " (ATCHEH)، و "فاليمبانغ " (PALAMPANG) – التي تعرف عليها العرب في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع هجري) كما سيأتي ذكره – بينما جزيرة جاوا تعد معروفة لديهم منذ القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع هجري).

ولقد إستطاع العرب بمزاياهم وخصالهم المحمودة في إدخال الإسلام إلى تلك البقاع عن طريق الإقناع وليس بحد السيف مثل ما عمله البرتغاليون و الإسبانيون في سبيل مد الديانة المسيحية الكاثوليكية في هذه الجزر وعلى رأسها "الفليبين". ولقد لعب أهل الطرق الصوفية الحضرمية المرؤسة في أغلب الأحيان بشخصيات علوية بارزة، دوراً كبيراً في نشر رسالة الدعوة المحمدية (عليه أفضل الصلاة والسلام) في هذه الديار . وقد طاب للعرب المقام فيها بحيث أنهم إستطاعوا أن يحرزوا لأنفسهم إرتباطات متينه مع الحكام والتي أثمرت في بعض الأحيان وترجمت إلى صلات المصاهرة والرحم على أعلى المستويات مع إضافة موازية في مكانتهم ونفوذهم .

ويذكر المؤرخون بأن منطقة " أتشيه" (ATCHEH) في "سومترا" هي أول بقعة دخل إليها الإسلام . وقد سطع نجمه عندما وصل إليها مبعوثا من قبل أحد أشراف مكة المكرمة ، والذي عرفه المحليون بتسمية الشيخ إسماعيل ، وكان ذلك في أواخر القرن السابع للهجرة /الثالث عشر الميلادي . ولقد عضد وساعد الشيخ إسماعيل في نشاطه هذا سلطان "معبر" ("ملابار" في الهند) المعروف بلقب محمد شاه ،

والذي كان من سلالة سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، كما ذكر في المصادر والروايات .

أما بالنسبة لأرخبيل "سولو"(SULU)، فتقول المصادر أن الإسلام إنتشر وعم فيه بسبب نشاط شريف هاشمي يسمى أبوبكر، قد وصل إلى هذه الجزر في حدود منتصف القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر الميلادي كما هو مذكور على ضريحه. وتذكر المصادر أيضاً عن وصول عربي آخر يسمى السيد علي فقيه، الذي سعى في نشر الإسلام في جزيرة "تاوى تاوى" (TAWI TAWI) والجزر المجاورة لها . وأما بالنسبة ل"ميندناو" (MINDANAO) (في الفيلبين)، فحركة نشر الإسلام فيها تنتسب إلى أبناء أحد السادة الحضارمة، وهو السيد علي زين العابدين، المقيم في "جهور" (JOHORE) والمتزوج من إبنة سلطانها ، الذي كان يسمى محمداً، والمشتهر في مقاطعتي "كوتوباتو" (KOTABATO) و" لاناو" (LANAO) بلقب "كابونغ سوان" (CAPONG SWAN)، وكان ذلك في القرن العاشر للهجرة أو السادس عشر الميلادي .

لقد كانت بدأت الدعوة الإسلامية في الغالب بالعمل بشئ من التأثير والإندفا ع في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر الميلادي في " سومترا"، وثم أمتد نشاطها إلى "ملاكا" (MALACCA) وبعدها إلى جاوا حتى وصل في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر الميلادي إلى" بروني" (BRUNEI) ، و أمتد منها بالتالي نحو "بورنيو" (BORNEO) و" السيليبيس " أو"سولاويسى" (CELEBES) وجزر "مولوكاس" (MOLUCCAS)، حتى أصبح معظم سكان هذه الجزر من المسلمين. ويهمنا أن نذكر هنا أن عدداً كبيراً من هؤلاء المصلحين والمرشدين الدينيين قد تمكنوا من تأسيس سلالات حاكمة في هذه المناطق مثل السيد أبوبكر في سلطنة "مورو"(MORO) بالفلبيين الذي تزوج على إبنة "راجا باغيندا" (RAJA BAGINDA) ، والسيد محمد إبن السيد علي زين العابدين في جزيرة "ميندناو" ، والذي تبع والده بالزواج من أميرة من " ملاكا " ، والشريف علي في "بروني"، الذي أتي من الطائف وتزوج إبنة السلطان أحمد (حاكم "بروني") ، وحيث لم تكن لهذا السلطان ذرية من الذكور، فتولى الشريف المذكور السلطنة بعد عمه ملقباً نفسه السلطان بركات.

وعلينا بالملاحظة أنه لا ينحصر عملية خلط الدم العربي بدماء شعوب وحكام المهاجر التي وصل إليها الحضارم فحسب ، بل وإنها أمتدت إلى حضرموت أيضاً

في القرن التاسع عشر الميلادي ، وعلى سبيل المثال ، فإن والدة السلطان منصور بن عمر من سلالة آل عيسى بن بدر الكثيري ، حاكم شبام في القرن الثالث عشر للهجرة /التاسع عشر الميلادي ، كانت من جزيرة " مدورا" (MADURA) ، (كما أن والدة راقم هذا الكتاب حفيدة لملك حيدرآباد السادس المرحوم مير محبوب علي خان) – وهناك أمثلة أخرى عدة لم نذكرها في سبيل إختصار الكلام .

وكما كانت قد إستطاعت أسر حضرمية بتمويل من الهند على تأسيس أمارات ومكانة خاصة لها في حضرموت ، فكان الأمر بالمثل مع عدة أسر مهاجرة إلى شرق آسيا وإن لم تحظ في تكوين الشأن والمقام التي إستطاعت على تحقيقها بعض الأسر المهاجرة إلى الهند التي سلف ذكرها في فصل سابق. ومن الأسر التي رجعت من هذه الديار بأموال وتمويل لتأسيس أمارات في حضرموت ، فهناك الثري عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري الذي كان وصل من جاوا سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م ، والذي إستنجدت به فخذ كثيرية لمناصرتها على طرد يافع من "مكتب" (أي مجموعة قبائل) الموسطة من شبام ويخلع حاكمها آنذاك السلطان عمر بن جعفر بن على الكثيري ، الذي كان أصبح آلة في أيدي يافع.

ثم يجدر بالذكر هنا أن كلتى الغزوتان على حضرموت من قبل جماعات من الموحدين (أي أنصار عقيدة الأمام محمد بن عبدالوهاب) التي سبقت الإشارة إليهن ، كانتا في عهد هذا السلطان، الأولى سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م والثانية سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م – أي في عهد الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود الذي تولى الحكم بين سنتي ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م و ١٢٢٩هـ/١٨١٤م ٠ وكان ذلك قبل سقوط الدولة السعودية الأولى في أواخر سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م أثر إحتلال غالبية الجزيرة العربية من قبل قوات محمد علي باشا تحت قيادة إبنه إبراهيم . وكانت أولى الإتفاقيات بين حكام الدرعية ونوابهم ويافع حضرموت أثناء فترة حكم الأمير السعودي المذكور أعلاه ، علماً بأن القوات المصرية كانت إستخدمت أيضاً جنود مرتزقة من الحضارمة في عملياتها نظراً للياقتهم وفهمهم لتكتكة وأساليب القتال القبلي ، حتى أن قائد عام القوات الخديوية في اليمن كان فكر في أعداد قوة خالصة منهم ، وبإشراك وحدات منها مع حاميات القلاع .

ولقد كان إستطاع عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري إحتلال شبام كاملة سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م بمساعدة من قبائل يافع "مكتب "الظبى إضافة إلى مجموعة من الفخوذ الشنفرية ، ودامت حكومة أسرته على هذه المدينة وبعض ما جاورها ، بشكل

أو آخر ، حتى كتب الله لها الإنقراض بمقتل آخر حكامها السلطان منصور بن عمر سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م واحتلالها من قبل يافع برئاسة عوض بن عمر القعيطي (الموسطى اليافعي) .

وفي شرق وادي حضرموت ، قام المقدم عمر بن عبدالله بن علي بن مقيص الأحمدي (الحمدي – وهو قميطي المرجع كما ذكر سابقاً) اليافعي بتأسيس دولته سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م في قرية بيت جبير على مقربة من مدينة تريم ، وذلك بما كان أحضرها معه من جاوا من أموال ، كسبت له ولعزيمته ، مباركة و مناصرة العلويين بنسبة تفوق التصور . ولكن بما أن السلطان الجديد لم يتقدم على الفتح والغزو الفوري تنفيذاً لرغباتهم ، فأصبحت الدولة الفتية مع حاكمها موضوعاً للسخرية ، ولم تمض عليها سنتان إلاّ وأفل نجمها .

وآخرُ وأبرز محاولة لتأسيس دولة ذات شأن ومعترف بها بتمويل من شرق آسيا وبالذات بتافيا (جاكرتا حالياً) و سنغافورة (SINGAPORE) كانت بين العشرينات والأربعينات من هذا القرن الميلادي، من قبل الثري الكبير الشيخ صالح عبيد بن عبدات الكثيري وأخيه عمر عبيد الذي كان ممثله في حضرموت ، علماً بأن كانت للمذكور عقارات في القطرين المذكورين بما فيها فندقاً أوروبياً من الدرجـــة الأولى في " بتافيا" يسـمي (HOTEL DES GALERIES) إضافة إلى أعمال تجارية أخرى. ولقد حاول المذكور خلالها أعلان إستقلاله عن السلطان الكثيري من آل عبدالله بعد القيام بإحتلال قرية الغرفة (وهي مقر للمشائخ آل باعباد) عنوة سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) والإصطدام بالسلطان الكثيري وبقبائل آل كثير والشنافر الأخرى المجاورة له . وعندما إستنصر السلطان الكثيري بحليفه القعيطي وفقاً لشروط وروح معاني معاهدة عدن المحررة في ٢٧ شعبان ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) وحلف عسكري مؤيد موقع بينهما في ١٠ شوال ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) ، قامت حرب إستنزافيه بين الطرفين لفترة ما ثم خمدت.

وفي سنة ١٩٣٧م ، قام إبن عبدات بإنشاء تعزيزات جديدة وحصوناً وحفر سلسلة من الخنادق الدفاعية وأحضر البنادق والذخائر بكميات كبيرة ، كما جلب عربة مصفحة في أوصال من سنغافورة وقام بتركيبها في الغرفة والتي نالت أعجاب الجميع ، حيث لم يشاهد أحداً في حضرموت الداخل مثلها قط ، والتي كانت تستخدم مثل "حصان طروادة "الإسطوري ، كقلعة ناقلة مجرورة بسيارة إلى مواقع القتال . ولقد أحاط المذكور نفسه بأعداد كبيرة من المماليك والقبائل – غالبيتها من الحموم ، وكان قد

ضرب النقود المعدنية في سنغافورة وأحضرها للتداول ، وشرع في مراسلة حثيثة ومكثفة ، أولاً مع الحكومة البريطانية ، وبالتالي الحكومة الهولندية ، بحثاً عن الأعتراف به ك" راجا" RAJA– (هكذا ذكر بالإنجليزي والهولندي في مذكراته المرفوعة رسمياً للحكومتين والمقصود به أميراً طبعاً) – ومستقلاً عن سلطة السلطان الكثيري وأسوة به وبالسلطان القعيطي ، ولكن مساعيه لم تثمر بشئ. وعندما توفي الأخوان المذكوران الموصوفين في يومهما بالقوة والعزم والإنصاف والدهاء والكرم ، جمع إبن صالح عبيد المسمى عبيد أموالاً غزيرة وعاد إلى حضرموت سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م لممارسة الحكم . فقام بالإخلال بالأمن بأسلوب غير معهود عبر مناصريه من المماليك والقبائل المجندة – إثباتاً لوجوده وإظهاراً لقوته وإمكانياته وإستقلاله ، والذي كان أساساً بسبب جمود الحكومة البريطانية لغاية تلك الفترة وعدم تدخلها في جانب السلطان الكثيري ، وهو عامل من العوامل البارزة التي شجعته على إظهار هذه الجرأة والإقدام وقبول إنفاق أمواله الطائلة على مشروع حلمه هذا .

ولم يدخل شهر فبراير سنة ١٩٤٥م (١٣٦٤هـ) حتى قام جيش السلطان الكثيري بدعم الجيش القعيطي من النظامي وغير النظامي (التي كانت فرقه تحت قيادة البطل الكبير المقدم محمد محسن السعدي) وقوات من جيش حكومة عدن ووحدات آلية من مملكة حيدرآباد بالتعاون مع سلاح الجو الملكي البريطاني بضرب حصار محكم على مدى نشاطه، ثم الهجوم على الحصون والإستيلاء على الغرفة عند إستسلام الشيخ عبيد صالح بن عبدات في ٧ مارس ١٩٤٥م . وعند نقله إلى عدن، دخلت هذه المحاولة صفحات التاريخ. ولقد لعب المقدم السيد أحمد عبدالقادر العيدروس التابع لجيش حيدرآباد دوراً هاماً في هذه العمليات بصفته مساعداً حربياً للمستشار المقيم البريطاني أثناء هذه الفترة .

تاريخ يستحق الاستقصاء والتدوين

وختاماً ، نقول هنا بأن دراسة تلك الجوانب من تاريخ حضرموت ، هذه الرقعة الهامة من الدول الإسلامية ، والتي تمكنت من الإشارة إليها في هذا المجهود المتواضع ، تنتظر حمية باحث صبور يقوم بجمع وإستقصاء

وترتيب وتدوين المزيد من المعلومات ، لكي نتمكن من رفع الستار بنسبة أعلى عن حقبة هامة من تاريخ العرب ونشاطاتهم وإنجازاتهم في مهاجرهم وأيضاً عن تاريخ هذه الشعوب الإسلامية التي خالطها الحضارمة ، وتشكل جزءاً عظيماً من المجتمع الإسلامي من نواحي المساحة والسكان والإمكانيات والمقدرات ، والتي أيضاً في الغالب تتجاهل وتتغافل – رغماً عن إمكانياتها ومقدراتها – عن بعض تفاصيل تاريخها المجيد أثناء هذه الفترة والمتعلقة بمدى تأثير أعداد متواضعه (نسبياً) من شعب غريب على مجتمعها وحضارتها وتاريخها ، كما تغفل عنها بصفة عامة غالبية الشعوب العربية والإسلامية . فهذا أمر يتطلب إلى التصحيح ، ونأمل أن يتم ذلك في المستقبل العاجل إن شاء الله.

ولكي نتمكن من تسليط المزيد من الضوء على ما نحن بصدده عن الحاجة لتضاعف الجهود لجمع وإستقصاء المعلومات وتدوينها ومراجعة ما قد كتب بصفة إستمرارية ، أضيف هنا ما حصل لي وأنا على هبة الإستعداد لنشر هذا الكتاب ، حيث تسلمت رسالة من البروفيسور " شود هوري " (K.N. CHAUDHURI) في معهد الجامعة الأوربية بـ فلورنسا ، أيطاليا مع كتاب جديد له يسمى " من الأطلس إلى البحر العربي " ، يدهشني بالإفادة أن فرعاً من القبيلة القعيطية اليافعية (على رأس مجموعة من العرب والأحباش والهنود) كانت أميرة على بحرية الأمبراطورية المغولية خلال القرن الثامن عشر الميلادي (وقبلها !) ، كما و " الأسطول البحري المنقاد من قبل القعطة كان مصدراً للخوف على طول مدى الساحل الغربي للهند . ومقرهم المحصن والمعمر في البحر ، (وهو قلعة " كالنجر " أو " جزيرة الغراب " بالعربية) كان يتمتع بحماية ستمائة مدفعاً ، والمنطقة تحت حكم هذه السلالة وهي تسمى أمارة " رأيبور " (RAIPUR) كانت تمتد إلى مسافة بعيدة في الداخل من الساحل " . والجدير بالذكر من أخبار هذه الأسرة أن في سنة ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧م حكمتها أميرة تسمى رضية ، وهي البنت الوحيدة للسلطات يوسف علي بن عبدالله القعيطي قبل تنازلها لصالح ابن عمها المنصور ومغادرتها لإداء فريضة الحج . وشعار هذه الأسرة كما هو موجوداً على مدخل قلعة جزيرة الغراب يرمز إلى أسد قوي يطرد فيلاً كبيراً بزائيره بينما هو يرتكن على ثلاثة أفيال صغيرة ويرفع فيلاً بكفه الأيسر وآخراً صغيراً بذيله الملفوف .

وبالتالي ، فإنه يجب علينا أن لا نتجاهل أيضاً فضل الهجرة على الحضارم وعلى بلدهم من النواحي الإقتصادية والثقافية والإجتماعية. وإنني اذ أود أن أقر وأؤكد وأثبت هنا للعلم العام وللتاريخ، بأن لهجرة الحضارم ، وبالخصوص نحو الشرق وإلى هذه

الجزر في جنوب شرق آسيا القدح المعلي في إنتعاش إقتصاد بلادهم ويقظة نهضتهم الثقافية والعلمية والأدبية عبر القرون منذ وصولهم إليها ولغاية يومنا هذا .

فديار هجرتهم ومقاطنهم كانت المواقع التي أسست فيها الأندية الثقافية ونشرت الجرائد والمجلات الأدبية والدينية والإجتماعية ، كما أسست فيها المدارس والمعاهد، إلا أن الحركات الوطنية لأبناء هذه البلاد سبقت هذه الصحوة لدى الحضارمة بتطوراتها السياسية ، وبالخصوص بعد الحرب العالمية الثانية ، كما سبقتها تطورات مماثلة في الهند بعد إستقلالها – حتى أصبح المهاجر الحضرمي حيراناً أمام أمرين وهما – التجنس أو العودة إلى أرض الوطن – وقد أختار أصحاب الأموال والأعمال التجنس والبقاء ، بينما عاد عدد من حديثي الهجرة من الذين لم يستطيعوا تكوين قاعدة لهم للإستمرار في المكوث والإرتزاق .

وهكذا إنطوت الفصول عن تاريخ الهجرة الحضرمية إلى شبه القارة الهندية وجنوب وشرق آسيا ، ومعها إفتتحت صفحة جديدة في تاريخ هجرة الحضارم وأبناء جنوب شبه الجزيرة إلى إقليم الحجاز بصفة خاصة والمملكة العربية السعودية بصفة عامة ، حيث إتجهت مجاميع كبيرة من العائدين إلى حضرموت إلى هذه الديار، وبالتالي إلى الكويت والبحرين وثم بقية دول الخليج العربي ، والذي حصل منذ أواخر الستينات من التقويم الميلادي .

تم بالخيروالحمد لله

لقد قيل أنه ذكر أبو العلاء المعري مرة :

"وإني إن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستقطعه الأوائل"

فقال له صبي :

"إن كنت صادقاً فيما تقول ، فهات حرفاً جديداً غير حروف العربية الثمانية والعشرين !" –

فلم يجر المعري جواباً ! –

<u>المحلق الأول</u>

بسم الله الرحمن الرحيم

مقتطف عن توزيع العشائر اليافعية في حضرموت ودورها ومساهمتها في الأنشطة الحيوية والإجتماعية – من الفصل " تاريخ ما تجاهله وتحاشاه التاريخ " في كتاب المرحوم الشيخ عبدالخالق بن عبدالله بن صالح البطاطي المسمى " إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت " المطبوع في جدة سنة ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م :

"نقول بإيجاز أن وصول يافع كان في عهد السلطان بدر بوطويرق الكثيري مطلوبين جنود وحامية لحضرموت من قبل السلطان وبتكليف من الواسطة الحبيب الحسين بن بويكر بن الشيخ بويكر منصب يافع والسلطة الروحية لهم . وبعد وصولهم إلى حضرموت وزعوا في المدن والقرى كحاميات على النحو التالي : في مدينة الشحر العاصمة ، السبعة المكات ، وهم – آل الشيخ علي هرهرة في الشحر وتبالة ، وبن عاطف جابر بحي الجزيرة ، وبن معوضة في حي الحوطة والخور ومحل حصونه الكودة فوق البحر جنوب مقبرة عبد الرحيم ، والبطاطي في حي الرملة ومحل حصونهم فوق البحر عند الكودة جنوب السجن الحالي ، وبن عياش ومحل حصنهم الكودة التي فوقها العلم حالياً ، والبياني ومحل حصنهم الكودة التي فوقها المدافع شرقي الجمرك القديم ، وبن قحطان بن بريك ومحل حصنهم كان غرب شمال مسجد عمر ، وقعطبة شمال غرب مسجد علي وأنقاضها ملك شعيب الآن غرب بيت باجرش ، والكسادي في المكلا وآل زياد البعسي وآل بن صادق والبكري ، والحامي والديس الشرقية آل كساد أيضاً ، وآل همام في غيل باوزير ، وفي قصيعر آل البطاطي ، وآل يزيد في الحدبة بالمشقاص ، وفي عرف النشادي ، والشنطوري في غيل بن يمين ، وفي ريدة المعارة الكلدي ، وآل خلاقة والرياكي في شحير وفوه . وحضرموت الداخل في سيؤن آل الشرفي آل مساوي وعبدان وآل داعر والمصلى والشعموطي والمرفدي وآل عفيف الضبي وآل الفضلي وآل داؤد ، آل البكري في مريمة ، وفي تريم آل غرامة البعسي وبن عبدالقادر وآل همام آل لحمان ، وفي تريس آل بن نقيب ، وفي شبام بن جحلان القعيطي وآل الدهري القعيطي ، وآل حمود مبارك القعيطي في العقاد والحمة وآل علي جابر في خشامر ، وآل الشيخ علي في حويلة ، وآل مخارش (القعيطي) في دار الراك ، وبن جابر أحمد في عقران ، والحدادي (القعيطي) في حذيه القطن ، وآل السعيدي في الخرابة ، وآل خلاقة وآل معمر في المسحرة ، وآل أحمد لحمدي (القعيطي) في العنين القطن أيضاً ، وبن مدشل (القعيطي) في ساحة المداشلة القطن، والجهوري في ساحة الجهاورة القطن ، وآل علي الحاج الحوثري في ساحتهم القطن ، وآل الحضرمي في ساحتهم القطن ، والنقيب (القعيطي) في ساحتهم القطن ، والرشيدي في

الحوطة بالقطن بعد شبام مع القعيطي ، وآل البكري في بابكر القطن ، وآل لرضى في القرط وضبعان ، وآل بريلك في حريضة ووادي عمد ، واليزيدي في الهجرين ، والبطاطي في القزة . وجميع الأراضي التي تملكوها سواء كانت للزراعة أو البناء ، ما هي إلا بالشراء من أهلها أو الهبة من بدر بوطويرق الكثيري ، وبحكم الخدمة الطويلة وطول المدة إستوطنوا هذه الأراضي . وبعد سقوط دولة بدر المذكور ، كلهم بقوا في محلاتهم كقبائل مواطنين مسلحين وفرضوا سلطتهم على محلاتهم لحماية أنفسهم وممتلكاتهم ومواطنيهم بقوة السلاح ، ومنهم من قدر على ذلك ومنهم من بقي تحت سلطة صاحبه ، ودام الوضع على هذا الحال حتى قيام دولة آل بريك بالشحر . ثم إن آل بريك ضاقت بهم المعيشة في حريضة بوادي عمد، فنزحوا إلى الساحل ونزلوا بوادي خرد في العيص وأستولوا على حصن البطاطي بخرد وبالتواطؤ مع أخوانهم آل قحطان آل بريك ، ودخلوا الشحر وأحتلوا الجانب الشرقي منها الذي هو تحت سلطة جماعتهم في المجرف وحافة باذيب وحافة الرياط وحافة بن جويان وبنوا البيوت والحصون وسكنوا بها كجزء من المكتب السابع بالشحر : .

وإستقر الوضع كذا لمدة طويلة حتى كملت قوة قبيلة آل بريك في الشحر بالمال والرجال وإنقرض بن عياش والبياني ، ونزح البطاطي إلي قرية القزة بمنطقة الهجرين ، ونزح بن الشيخ علي هرهرة إلى تبالة ، وإنسحبت معه بقية المكاتب وكونت دولتهم . وكان السلطان الأول (النقيب) علي بن ناجي الأول ، وتتابعوا السلاطين آل بريك إلى سلطنة علي ناجي الثاني لمدة نحو قرن من الزمن كما يقال ، وكان الأمن والإستقرار مستتب في المنطقة في الشحر وضواحيها بصورة خاصة حتي قال الشاعر العطيشي في مدحهم :

"ومدربين الشحر كانوا دروبها ما أدريت ولا لها سدة ويمسين الديار مفتحات."

وكانوا يافع الكل فيساير مدن وقرى حضرموت منسجمين مع قبائلهم ومواطنيهم ومواليهم الأعمال كلهم بحريتهم التامة . ففي عمل الزراعة كل ممتلكاتهم القريبة إلى بيوتهم يزرعونها هم بأنفسهم مع مواطنيهم أو مستخدميهم من المماليك ، والبقية الباقية وهي الأكثر إنتاج ، يزرعونها قبائلهم مع مواطنيهم بإيجار العشر من الحاصل من منتوج الحبوب القمح والذرة فقط ، وبقية المنتوج الزراعي للمزارعين يتصرفون فيه كيف شاءوا ويزرعون ما شاءوا من خضار وفواكه وبهارات ، ويبيعونها في الأسواق بكل حريتهم . وأما منتوج التمر من النخل والدوم والعلوب وكل الأشجار الثابته ، فالأجرة للمزارعين الثمن أو السدس فقط ، بعكس منتوج الزراعة الذي هو يشقي ويتعب فيها ولا يدفع للمالك إلا العشر من الحبوب فقط . والقبائل المحليين هم متولين الزراعة وحمايتها وهم الذين يطلق عليهم العشائر والحلفاء والأصدقاء ، وعلي سبيل المثال قبائل من نهد الساكنين منطقة القطن مثل آل الزوع وآل بلحامض وآل شبيب وآل شريشر وآل نجار وآل

كليب وآل بدر محمد في وادي منوب وغيرهم ، والنظام المطبق في القطن مطبق على وادي حضرموت كله . ففي منطقة شبام مع قبائلها المحليين والمواطنين ، وفي منطقة السليل الكثيري وفي منطقة سيئون وفي منطقة تريم يطبق نفس النظام مع السلطة والملاك والقبائل آل تميم إلى قسم و السوم شمالاً وباعلال جنوباً مع زيادة شراحة النخيل وقت الخريف لآل تميم ، هذا فيما يختص بوادي حضرموت . أما في الساحل ، فالوضع يختلف حيث أن المزارع تسقيها المعايين والغيول ، فالملاك يؤجرونها للمزارعين بالثلث ، ثلث للمزارع وثلث للمالك وثلث لمن يقوم بسماد الأرض ، سواء كان المالك أو المزارع والسماد من الزيف والمواد الأخرى حسب متطلبات الزرع وما يحتاجه مرة أو مرتين أو ثلاث ، والثلث لكل طرف من كافة المحصول ، أما سماد النخيل والأشجار الثابته ، فهو على المالك ، وأجرة المزارع للعناية بها الثمن أو الربع من الحاصل ، وفي بعض المحلات الثلث حسب الإتفاق بين الطرفين ، والعناية تدخل فيها القحطة والسقي وما تبعها . هذا للمزارع الصغيرة والمعايين الصغيرة .

أما المزارع الواسعة ذات المعايين الكبيرة مثل غيل باوزير وملحقاتها وعرف ومعيان المساجدة وتبالة والحامي والديس بالإيجار بالفردة ، سقي يوم أو ليلة ، حسب تقرير دورات المعيان المصطلح عليها والإيجار يقدر بالنقد فلوس للسنة الزراعية من نجم البلدة، إلى نجم البلدة وحاصلات المزرعة كلها للمزارع المستأجر وما للمالك إلا إيجاره الفلوس . أما النخل والأشجار الثابتة داخل المزرعة ، فحكمها كما سبق في المزارع الصغيرة والإيجار ، والفسخ لا يكون إلا في نجم البلدة كل عام مع الإنذار من قبل شهر على الأقل.

هذا فيما يختص بنظام الزراعة بين المزارعين والملاك ، أما الحراسة والشراحة ، فهي لمن لايستطيع القيام بها بنفسه وتكون في المحلات الحضرية من قبل الجنود أو الحاشية بأجرة نقدية كالخريف مثلاً على البهار زهد شئ معلوم ومتفق عليه أو من قبل القبائل حملة السلاح لسكان الريف بأجرة موسمية مقدرة بالكيل من حاصل الذرة والتمر فقط .

أما الحماية القبلية التي كانت تسمى بالسيارة أو الرياعة في ساير حضرموت أي الخفارة عربياً ، وهذا النظام كان سائد في جميع أنحاء الجزيرة العربية ويسمى الخفير والخفارة، وعندنا في حضرموت يسمى السير أو السيارة. وتطلب هذه السيارة من القبائل المسلحين للحماية في الطرقات من عبث السرق واللصوص لأمن السير والمواصلات عليها ، وليس هذا مختص بحضرموت وحدها بل منتشر في كافة أنحاء

الجزيرة العربية. ففي الحجاز إلى ما قبل دخول الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإستيلاء عليها، وفي اليمن دخول الملك ما قبل الثورتين ، وفي عمان والخليج إلى وقت قريب ، وحتى في القرن الأفريقي كله ويسمى هناك بالإبان ، ويقال لمن يتكلم من مصدر القوة أو يخرج في الطرقات في أوقات غير مألوفة "يصلح لك ربيعك كندش" . وفي حضرموت الداخل، يقال له " يصلح لك سيارتك بن كدة ، وفي الساحل ، " يقال له يصلح لك سيارتك" بن مجنح ، وفي الصومال ، يقال له يصلح لك بانك جليد . وبهذا الوضع وهذه النظم كان سكان حضرموت كلهم يتمتعون بكامل الحرية في تصريف منتوجاتهم الزراعية والحرفية والسمكية من البحر ، كما الصيادين ليس مقيدين إلا بقوانين البحر للدخول فيه والخروج منه . ونظام الصياده والإصطياد بقوانين متفق عليها فيما بينهم ، وتنفذها وتحميها السلطة من كل من يخالفها بكل حزم ، ولا هناك إستغلال ولا إستبداد ولا هناك إقطاعيون ولا يحزنون" – إنتهى.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصية الحاج عمر بن عوض بن عبدالله القعيطي الخاصة "يحبس" (وقف) الثلث من أمواله لنشر وصيانة الأمن في حضرموت ومناصرة أحكام الشريعة الغراء

نص الوصية

ألحمد لله وكفى اما بعد لما كان فاتحة شهر رجب سنة ١٢٧٩هـ تسعة وسبعين ومئتين والف فقد أوصى الموفق الحاج الجمعدار عمر بن عوض بن عبدالله القعيطي وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأن الموت حق وأن الجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور سائلا من الله تعالى أن يحفظ عليه الاسلام وأن يميته على الايمان وأوصى أولاده وأقرباءه وأهله بما أوصى به ابراهيم بنيه ويعقوب وبتقوى الله علام الغيوب وانه اذا نزل به الامر المحتوم وانقضى أجله المعلوم ان يغسل بعد الموت فرضا وسنة وأن يحفظ الحنوط الشرعي وأن يكفن بما يجب ويسن أكفان واسعة بيض ولمن يغسله ويحث القبر ويطمه الاجرة المعتادة وأوصى بثلث جميع أمواله ومخلفاته من كل مايملكه في بر العرب حضرموت وغيرها من القرى والبلدان والغيول والبنادر من مال وذبر ونخل وعقار وآبار وسفن وديار ونوق وسلاحات وذهب وفضة وعروض تجارة ودين وعين ومماليك وكل مايطلق عليه اسم المال او المتمول وثلث امواله وأملاكه ومخلفاته في جهة الهند حيدرآباد وغيرهن من بلدان الهند من عين ودين ونقد وذهب وعروض تجارة ومماليك ومكتات وأزاقير وسلاحات بجميع أنواعها وديار وعقار وكارخانات ومايتعلق بها من حيوانات وغيرها أي جميع ثلث أمواله ومستحقاته بجهة بر العرب وبجهة الهند وباي جهة كان من الاقطار أوصى بثلثه المذكور في جميع ماذكر وصية مؤبدة مريدا بها وجه الله تعالى في مقابلة أثقال البلدة المحروسة شبام والبلدة المحفوظة حوره وغيرهن مما استولوه من البلدان وأن يصرف ذلك الثلث وغلاته من ثمرات المال والنخل وأرباح النقود ومحصول الكارخانات والسفائن والأزاقير وغيرها الي أثقال البلدتين المذكورتين وغيرهن واقامة منصبهم مما يحتاج اليه الوالي من اولاده لكل صلاح من رتبه المرابطين وحراسة وعمارة وصيانة وطفي شر واخماد فتنة ورد

صائل وباغي وغير ذلك من كل مافيه جلب مصلحة لهم ولرئاستهم والرعايا الذي ولاهم الله عليهم ورد مفسدة عنهم وعن الرعايا والذب عنهم وعن ماينسب اليهم من أموالهم وديارهم خلا وبلاد وجعل الناظرين على الثلث المذكور جميعه والمتولين والحافظين والمديرين والمتصرفين فيه أولاده الموقعين عبدالله وصالح وعوض بنو الحاج الجمعدار عمر بن عوض القعيطي فهم عون بعضهم البعض من كان منهم بالهند يسد محل الجميع ومن كان منهم بحضرموت أو بأي جهة كان كذلك ثم بعد الثلاثة المذكورين يكون النظر لمن ولوه الارشد فالأرشد ممن فيه الاهلية من اخوانهم وأولادهم ابدا ماتناسلوا أيد الله الجميع وأخذ بنواصيهم لما فيه رضاه وأيضا فقد جعل الجمعدار عمر بن عوض بن عبدالله القعيطي المذكور خلفاءه والقائمين مقامه من بعده على الكارخانات وتولى شبام وحوره وغيرهن واحكامهن وعلى العزل والتولية في جميع ذلك أولاده عبدالله وصالح وعوض المذكورين والكارخانات ومحاصيلها اليهم واذن لهم ان احتاجوا الي التصرف في الثلث المذكور وغلاته لهجوم عدو وجلب مصلحة فلهم ذلك وجعل امرهم شورى بينهم فيما ذكر وأوصاهم بالامتثال والانقياد والتعاون والتعاضد والتناصر على الحق والبر والتقوى وبالصبر وبالرفق بمن ولاهم الله عليهم لينالوا دعوة الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم القائل اللهم من ولى أمر أمتي فرفق بهم فأرفق به ومن شفق عليهم فأشفق عليهم أجارهم الله وحفظهم من الشقاق ومنكرات الأخلاق ووفقهم لما يرضاه الخلاق وأوصاهم أن يحكموا حكم الله والشريعة المطهرة على أنفسهم وعلى من ولاهم الله عليهم من المسلمين وأن يسمعون الشكية ويراعون الرعية ويصحون النية وأن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينفذون أحكام الشريعةالتي هي الرقية السريعة ويرحمون الضعفاء والمساكين وينصرون المظلوم ويردعون الظلم ويكون جليسهم صالحا ومجلسهم هاديا وأوصاهم أن يرحموا ويتوددوا الي أقاربهم وأرحامهم وأصدقاء أبيهم وكلما حصل من البلدتين شبام وحوره وغيرهن من عشور وغير فيكون مصرفه كمصرف الثلث المذكور أعلاه بنظر أولاده الثلاثة المذكورين وأوصاهم أن يرفقوا بالمماليك ويكونون المماليك تبعه وسمعه لمن له الولاية وأوصى ولديه المحفوظين محمد وعلي ابني الجمعدار عمر بن عوض بالامتثال والانقياد لاخوانهم والاذعان لهم والدخول تحت نظرهم وان يتعاونون على حفظ مقامهم ومنصبهم وأن لايتحاسدون ولا يتدابرون وأن يكونوا اخوانا

متناصرين على الحق متبعين للحق ومن طلب منهما أي محمد وعلي حصته من المخلفات فليعط ذلك من بعد تمييز واخراج ماأوصى به أو نذر به أو وقف الا الكارخانات فانها الي الثلاثة المذكورين قال ذلك جميعه وأوصى به ونذر به وعهده الي أولاده وهو صحيح جسما وعقلا وتصرفات ومختارا في جميع ذلك الحاج عمر بن عوض بن عبدالله القعيطي واذن لمن سيضعون شهادتهم وكفى بالله شهيدا فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه والله سميع عليم.

وفي أعلى الوصية امضاء الموصي وفي آخرها حضر وكتب بأمر الحاج الجمعدارعمر بن عوض بن عبدالله القعيطي المذكور ناصر بن عبدالله محمد المسكتي مختار الملك شهد على ذلك جابر بن سعيد بن علي النقيب القعيطي شهد على ذلك محمد عبدالله سعيد بن علي النقيب القعيطي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصية السلطان عوض بن عمر القعيطي المشهورة التي وضعت المعالم الدستورية والادارية للحكم في حضرموت

(نقلا عن "صفحات من تاريخ حضرموت" للسيد حامد بن ابوبكر المحضار

نص وصية السلطان

"الحمد لله خالق السموات والأرضين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، من يومنا هذا الي يوم الدين.

وبعد فلما كان فاتحة شهر شعبان المعظم سنة ١٣١٦ه ألف وثلثمائة وستة عشر من الهجرة النبوية، أقول أنا عوض بن عمر القعيطي سلطان نواز جنك شمشير الملك بأن الوالد المرحوم عمر بن عوض القعيطي أوصى بثلث ماله وتركته ومخلفاته من كل مايملكه من بر العرب حضرموت وغيرها من الوديان والبلدان بالجهة الحضرمية من مال وذبر ونبر ومسنا وآبار وسنائن وديار وعقار ونقد وسلاحات وذهب وفضة وعروض تجارة ومماليك وعين ودين وكل مايطلق عليه اسم المال والمتمول. وكذا ثلث أمواله وأملاكه ومخلفاته التي في جهة الهند حيدرآباد وغيرها من بلدان الهند من عين ودين ونقد وذهب وفضة وعروض تجارة ومماليك ومكتات وسلاحات بجميع أنواعها، وديار وعقار وغير، أي جميع ثلث أمواله ومستحقاته بجهة الهند، وبجهات بر العرب، وبأي جهة كان من الأقطار والاحضار وصية مؤبدة، مريدا بها وجه الله تعالى في مقابلة أثقال البلد المحروسة شبام والبلد المحفوظ حورة وغيرها مما أستولاه أولاده من البلدان ومايستولونه واقامة منصبهم مما يحتاجون اليه لكل سلاح وحراسة وعمارة وصيانة وطفي شرور المفاسد عن الدولة والرعية والرياسة، وغير ذلك من كل ما فيه جلب مصلحة للدولة والرئاسة، والرعية، واخماد فتنة ورد صائل وباغ وغير ذلك حسبما هو مذكور في وصية الوالد المرحوم عمر بن عوض القعيطي المحررة فاتحة شهر رجب سنة ١٢٧٩ه الف ومائتين وتسع وسبعين من الهجرة النبوية، وجعلني واخواني المرحومين عبدالله وصالح المتولين والحافظين والمدبرين والناظرين والمتصرفين في الثلث المذكور أعلاه، وريعه، وفوض الوالد المرحوم عمر أمر

التولية وغيرها مما ذكر الينا والي من وليناه من بعدنا. وقد انتقل الاخوان عبدالله وصالح الي رحمة الله تعالى، وبقيت وحدي متوليا، وناظرا، وحافظا، ومدبرا، وقابضا، ومتصرفا فيما أوصى به الوالد المرحوم عمر المذكور أعلاه في وصيته، فاني كنت وكيلا مادمت حيا، متوليا، وقابضا ومتصرفا، وناظرا، في جميع الامور المتعلقة بالبلاد المحروسة شبام وحوره والهجرين، والشحر والمكلا ومتعلقاتهما من البنادر والبلدان التي هي الآن في توليتي ... ثم بعد وفاتي فوضت أمر التولية والتصرف الي وغير ذلك حسب ماذكر فيما ذكر الولد غالب بن عوض بن عمر القعيطي، في مدة حياته،وجعلته متوليا ومتصرفا حسب ماذكر فيما ذكر، وفيما يستولاه من بعدي من الاراضي والبلدان وغيرها، بان يقوم مقامي، ويفعل مايكون فيه المصلحة له، وللدولة، والرئاسة، والرعية، ويصرف الاخراج الضرورية من غير تبذير، وهو مأذون فيما بقى من الثلث، وريعه بالاخراج الضرورية من غير تبذير، وكذا محاصيل البلدان من المعشرات وغيرها مما يتعلق بالرئاسة في صلاح وعمارة البلدان والأراضي، ودفع وردع كل صائل، وطاغ، وباغ، الي غير ذلك مما فيه الصلاح ودفع المضرة، كما ذكر اعلاه ... وأوصيه بأن يمتثل أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ويجري أفعال الخير حيث تيسر، ويعظم أهل الفضل والعلم، والسادة، وينصب ويعزل الخدم ومن يكون تحت حكومته في أمر الرئاسة ويسمع الشكية ويرعى الرعية، ويحكم بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه، وعلى من ولاه الله عليهم، وينفذ أحكام الشريعة الغراء، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر ويسعى حيث أمكن في دفع الاذية عن الرعية، ويشاور أخاه عمر ومن يتوسم الخير فيه من أقاربه ومن اليه في كل مافيه صلاح الرئاسة والمقام، وفي كل مهمات الأمور، وكل وال يكون مشيره خليفة في كل الأمور، فهم عون بعضهم البعض،... ثم بعد غالب بن عوض المذكور خليفته والمتولي بعده، أي بعد وفاته، أخوه عمر بن عوض بن عمر القعيطي يكون متواليا، وقائما مقام غالب بن عوض المذكور على البلدان المذكورة شبام وحورة والهجرين وغيرهن بجهة حضرموت والبنادر الشحر والمكلا وعلائقهن من البنادر وغيرها فيما ذكر وكما ذكر أعلاه ... ثم بعد وفاة عمر المذكور يكون خليفته والمتولي بعده صالح بن غالب بن عوض بن عمر القعيطي متوليا وقائما على البلدان المذكورة أعلاه بجهة حضرموت شبام وحوره والهجرين وغيرهن، وبجهة الساحل الشحر والمكلا وعلائقهن من البنادر وغيرها فيما ذكر، وكما ذكر أعلاه. ثم بعد صالح بن غالب المذكور خليفته ولد عمر بن عوض، وان لم يكن له ولد فخليفته محمد بن غالب أو كان له ولد وهو صغير السن، فقائم مقامه محمد بن غالب، وهكذا التولية

والخلافة بين أولاد غالب بن عوض وعمر بن عوض نسلا بعد نسل وبطنا بعد بطن، عدد ماتناسلوا وكل وال اذا تولى وجعل اقامته بالشحر، يجعل خليفته بالمكلا نائبا عنه بالحكومة، وان جعل اقامته بالمكلا فيجعل خليفته نائبا بالحكومة بالشحر، وان كان غائبا خليفته، فيكون خليفته الخليفة وان كانا غائبين، الخليفة وخليفة الخليفة، فيجعل من يستحسنه الوالي الي وصوله، وان غاب الوالي بسفر فيجعل قائم مقامه خليفته في الحكومة الي رجوعه، فينيب عنه من شاء الي رجوعه، ومادام غالب بن عوض واليا متصرفا، فيكون خليفته، أي عمر بن عوض المذكور ناظرا على الأموال والأملاك وريعها، ومحاصيل البلدان وغيرها في قبضها وحفظها واستلامها في أي جهة كان، وحيث كان وممن كان، وهو تحت أمر الوالي غالب المذكور، واذا كان واليا عمر بن عوض بعد غالب المذكور، فيكون خليفته، صالح بن غالب بن عوض المذكور، ناظرا وقابضا وحافظا على الاموال وغيرها مما ذكر اعلاه، فيما كان للرئاسة والحكومة في أي جهة كان، وحيث كان، وعند من كان، وهو تحت أمر الوالي عمر بن عوض المذكور، وهكذا اذا كان أحد واليا فخليفته يكون ناظرا، وقابضا، وحافظا، ويستلم كما ذكر أعلاه وللناظر أن يوكل من شاء عنه في قبض محاصيل، وحفظ المال ومحاصلها، واستلام من كان لديه شيء للرئاسة، وينازع ويخاصم ويصالح ويدافع، ان كان بنفسه، أو وكيله لتحصل من عنده شيئا للرئاسة دينا وحقا، أو أمانة ... وان كان الخليفة بجهة الهند فيقوم مقامه خليفة الخليفة، في بر العرب بالشغل، والقبض، والاستلام والتوكل على من عنده شيء للرئاسة، وان كان الخليفة بجهة بر العرب، فيقوم مقامه بجهة الهند خليفته في نظر وقبض واستلام وتوكيل على من عنده شيئا للرئاسة، دينا أو حقا أو أمانة أو غير ذلك، وينازع ويخاصم، ويصالح، وان كانوا معا في جهة واحدة، فهم عون بعضهم بعض، في النظر والقبض، والاستلام والحاضر منهم يكفي عن الغائب، والخليفة تحت أمر الوالي، وخليفة الخليفة تحت أمر الخليفة، وعلى الوالي أن يجعل نائبا عنه ببلد شبام، وحورة والهجرين وغيرهن من بلدان حضرموت من يستحسنه ان كان واحدا أو متفرقا ويجعل في كل بلد نائبا عنه، وهم تحت أمره وحكمه ... وان يحكم النائب بالحق، ويرعى الرعية، ويسمع الشكية، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحكم بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، ويسعى في صلاح البلاد والعباد، ويشفق ويرفق بمن ولاه الله عليهم من الضعفاء والمساكين، وغيرهم، ويعطوا الوالي حساب في داخل وخارج وغير من معشرات ومحاصيل وغير فيما ينيبهم الوالي فيه، ومهما حصل من النائب خلاف أي عدم طاعة للوالي أو لم يقم بالحق، ولم يعدل ولم ينصف،

أو ظلم، أو جار أو لم يعط حسابه الي غير ذلك، فيعزله والي بندر الشحر والمكلا، وينيب غيره، أو أراده الوالي بمحل آخر، ولم يرده نائبا عنه فيعزله وينيب غيره فللوالي أن ينيب من شاء، ويعزل من شاء من البلدان وغيرها، وعلى الوالي لخليفته خرجية كاملة له ولعياله ومن ينسب اليه من أكل وملبس ومراكيب وغير ذلك، وكذا أولاد اخيه عمر بن عوض القعيطي عدد ماتناسلوا وكذا أولاد أولاد غالب وأولاد أولاده عدد ماتناسلوا، لهم وظيفة معاش من مأكل وملبس وغير القاطنين بندر الشحر أو المكلا وعلائقهن، او حضرموت وشبام وحورة، عدد ما تناسلوا، حسب مقتضى الحال، يراهم كأولاده، وذلك على كل وال يتولى بندر الشحر والمكلا وعلائقهن وحضرموت وشبام وغيرها وكذا من ينسب الي الوالد المرحوم عمر بن عوض القعيطي من أولاد أولاده القاطنين بندر الشحر والمكلا وعلائقهن وحضرموت وشبام وظيفة معاش حسب الزمان والمكان بشرط أن يكونوا تحت أمر الوالي وحكمه وطاعته والامتثال والانقياد له، ويكونوا عضده وأنصاره وان جن الوالي، أو كان مستحقا للولاية وهو صغير سن، فينوبه من له الولاية بعده الي صحته أو بلوغه.

هذا وعليه الاعتماد وكذا أقول وأقر بأني كتبت كل ماذكر أعلاه، ولي الاختيار بأن أبدل أو أغير أو أزيد أو أنقص كله أو بعضه في مدة حياتي، فان لم أبدل، أو أغير، أو أزيد، أو أنقص كله أو بعضه فيكون كل ما ذكر باقيا نافذا على حاله، وبالله التوفيق أقر بما شمله الخط أعلاه. امضاء عوض بن عمر بن عوض القعيطي (الملقب نواب سلطان نوازجنك، شمشير الدولة، شمشير الملك من بلاط نظام حيدرآباد) وكتبت اقراري بيدي".

شهد بذلك — شهد بذلك بأمر من ذكر

حسين بن حامد بن احمد المحضار — جابر بن عبدالله المصلي

شهد بذلك بأمر من ذكر

محمد بن عبود بشهر

الملحق الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الوثيقة المقدمة من السلطان عوض بن عمر القعيطي
بخصوص انشاء مجلس الشورى

تعليق المؤلف

ان الحكم في حضرموت مثل غالبية الدويلات الشبه القبلية في الجزيرة العربية كان يمارس منذ العصور التليدة على شكل شوروي بحكم عوامل الطبيعة والبيئة والتركيب الاجتماعي والتي كانت جعلت تبادل المشورة والتعاون بين مجاميع وافراد في سبيل صيانة الامن وقضاء الضروريات والحوائج وجمع المكوس وغيرها امرا ضروريا. ومن المؤكد ان جميع الحكام قبل ظهور دولة آل عبدالله الكثيرية والدولة القعيطية اليافعية كانوا يمارسون الحكم بمشورة اهل الحل والعقد من العلماء والاعيان والتجار وغيرهم حسب الضرورة ولزوم الامر والذي ايضا كان تنفيذا لاحكام الباري سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم حيث يقول: "وجعلنا امرهم شورى بينهم"، ولم يختلف الامر مع هاتين الدولتين ايضا.

الحاقا لروح ومعاني واهداف وصية والده، فلقد كان حاول السلطان عوض بن عمر القعيطي بلورة امر الشورى عبر وضع بعض الانظمة والقوانين لاجتماعات وجلسات الاعضاء وفقا لبعض الممارسات المتطورة عبر اصدار مرسوم يمنح لهذا النشاط او الكيان صبغة رسمية. علما بان كانت للدولتين مجلسان رسميان يطلق عليهما تسمية مجلس الدولة لتأدية هذا الواجب منذ عصر السلطان صالح بن غالب القعيطي والسلطان جعفر بن منصور الكثيري.

وانني جل شكور للشيخ الفاضل عبدالرحمن عبدالله بكير -(الذي ينحدر من اسرة تاريخية عريقة تنتسب الي يافع عبر جدهم الجديناني والتي نالت احترام وتقدير المجتمع بمحاسن مكارم اخلاقها وسيرها) والذي يعود له الفضل في تقديم نص هذه الوثيقة للنشر ويسعدني ان اذكر عن والده الكبير المرحوم الشيخ عبدالله عوض بكير الذي كان يتولى رئاسة القضاء والمجلس العالي، وهو اعلى منصب قضائي في الدولة، وذلك في عهدي جدي السلطان صالح وثم والدي السلطان عوض. **فبامكاني ان اضيف ايضا، انه كان يتمتع**

باحترام وتقدير الجميع بسبب علمه وورعه ونزاهته وكانت من عادته رحمه الله انه اذا زار والدي مع بعض اعضاء مجلس الدولة، فيمر على جناحي واخي عمر ايضا (وانا آنذاك في العام الثاني عشر من عمري) فمن كثرة الاحترام الذي كنت اكنه له، اذا علمت عن استأذانه للدخول علينا فكنت اطلب من الحاشية الموجودة القيام بأخفاء جميع لعبات اللهو والتسلية مثل الورق وقطع "الدومينو" و "الكيرم".

نص الوثيقة المقدمة من السلطان عوض بن عمر القعيطي

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز وجل امر نبيه الكريم في كتابه سبحانه وتعالى وشاورهم في الامر صور في راي نبيه او نقص في اجتهاده ولكنه تشريعا للامة وتعليما لهم وارشادا الي طريق النجاح وقد اتخذت الامم متانة الحكم بالشورى ديدنا لها فخارت به كل سوددد وفخار وها نحن امتثال لاوامر الله تعالى واتباعا لنبيه الكريم واقتداء لخلفائه الراشدين وتقليدا بالامم المتمدنة قد عزمنا باستعانة الله تعالى ان نجعل تدبير امور مملكتنا الي مجلس شوري حبا منا في اجراء العدل بين من استرعانا الله اياهم وشغفا بعمارة ممالكنا وترقيها الي مايوجب راحة اهاليها ورفاهيتهم وبسط رداء الامن داخلها وخارجها وقد التزمنا عقده من كبار عقلاء ممالكنا وفضلائهم بما تقتضيه احوال الممالك الحضرمية بتعين ماقلدنا الله عز وجل من امر الرعايا وكلفنا به من العدل بينهم واصلاح احوالهم في اعناق اهل المجلس اتكالا منا بمكانتهم وديانتهم وهذه صور المواد الذي صدر امرنا بتحتيم العمل بها لانعقاد المجلس واجراء الاصلاحات المطلوبة:

المادة الاولى ينتخب من سكان ممالكنا خمسة عشر عضوا لانعقاد مجلس الشور من عقلائهم ومجربيهم.

المادة الثانية يقسم كلا منهم بالله تعالى ان لا يأل جهدا في الاصلاح وان لا يبدي من الراي الا مايراه ويعتقده الاصلح للامة ولا يقلد غيره في راي ماهو يرى غيره اصلح منه.

المادة الثالثة يقرر المجلس المذكور مجالس فرعية في شبام ودوعن وغيرها لادارة شئونهم

الداخلية ويكون مرجع اراء المجالس الفرعية في الامور المهمة الي المجلس الاعلى ليصدق عليه حيث يراه صوابا ويكون المجلس الاعلى دائما في بندر المكلا تحت ملاحظتنا او ملاحظة القائم مقامنا.

المادة الرابعة يكون العمل بما اتفق عليه راي المجلس او راي الاكثر اذا وقع الاختلاف.

المادة الخامسة فوضنا الي المجلس امر اقامة المحاكم العدلية شرعية وتجارية وغير ذلك وتعيين قضاه لها وفصل المشاجرات وعلينا او على القائم مقامنا التصديق على اقرار المجلس فيما يتعلق بهذه المادة.

المادة السادسة فوضنا الي المجلس النظر في الامور مالية الممالك ايراد وخارجا وضبط جميع ذلك ضبطا كافيا ووضع الميزانية وتقريرها وتحرير القوانين المناسبة لذلك وتقرير معاشات من يقوم بالخدمة المتعلقة بالرئاسة من قضاه وكتبه وعساكر وغير.

المادة السابعة ينظر المجلس في امر تعليم الاولاد والذين سيكونون رجال المستقبل بطريقة تكسبهم الوصل الي نفع البلاد معادا ومعاشا وصناعة ويقرر لهذا الغرض الشريف قدرا من المال كل سنة.

المادة الثامنة فوضنا الي المجلس امر المخابرة مع جميع القبائل البرية وعقد الاصلاحات والمعاهدات معهم كلا او بعضا لتأمين السبل واستمرار التجارة او منابذتهم وحربهم حيث راي المجلس ان لايصلحهم الا الحرب بعد تصديقنا او تصديق القائم مقامنا عليه.

المادة التاسعة كل نائب يرفضه معظم الامة لسبب مقبول يستبدله اهل المجلس بغيره ممن ترضاه الامة والحاكم وكذلك كل من غاب طويلا او توفاه الله اليه وعلينا التصديق على ذلك.

المادة العاشرة بعد تعيين النواب المذكورين يكون التصديق عليه في سجل خاص منا.

المادة الحادية عشر تكون قرارات اهل المجلس كلها مدونة ومكتوبة في دفتر مخصوص

ويضعون امضاءاتهم على كل قرار منها وعلى الاقل موافقة الاكثر في الامضاء فقط.

المادة الثانية عشر اذا لم يحضر في المجلس اكثر من نصف العدد المعين له فلا يمكن عقده واذا انعقد فقراره غير معتبر في شيء من الامور.

المادة الثالثة عشريكون افتتاح العمل بانعقاد المجلس واجراء قراراته من ربيع الثاني ١٣٢٧هـ.

الملحق الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس

وثائق خاصة ببعض المحاولات من قبل الاسرتين الحاكمتين في حضرموت – القعيطية (اليافعية) وآل عبدالله (الكثيرية) لتحقيق الوحدة الحضرمية خلال النصف الاول من القرن العشرين

رقم الصفحة

الملحق الخامس (الوثيقة الاولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

معاهدة عدن المبرمة في ٢٧ شعبان ١٣٣٦ه التي رفض اعتبارها بعض الفروع الشنفرية مثل آل عبدات بانها سارية المفعولية عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد: قال الله تعالى في كتابه العزيز: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"، وقال الله تعالى: "الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور"، وها نحن ولله الحمد مؤمنون، ومتبعون لهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومعتقدون بأن في اجماع الكلمة مايعود نفعه للمسلمين، وصلاح العباد والبلاد، وراغبين فيما يوجب الأمن والراحة للاهالي ورفاهيتهم في داخل البلاد وخارجها، فلهذا الدول الكرام القعيطية، وآل عبدالله عقدوا بينهما معاهدة مؤبدة الي أن يشيب الغراب ويفنى التراب، وهما السلطان السير غالب بن عوض بن عمر، وعمر بن عوض بن عمر القعيطي عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة، والسلاطين منصور بن غالب، ومحسن بن غالب آل عبدالله عن انفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة، وجعلوا الشروط الاتية:

(الشرط الاول): يرتضي السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلا وسلاطين آل عبدالله أهل كثير أن يكون اقليم حضرموت اقليما واحدا، وان الاقليم المذكور هو من تعلقات الدولة البريطانية تابعا لسلطان الشحر والمكلا.

(الشرط الثاني): يقر السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلا أن سلاطين آل عبدالله هم سلاطين الشنافر، ولكن آل عبدالله يحكمون في داخل حضرموت على مدن وقرى سيون وتريم وتريس والغرف ومريمة والغيل، وصار الاعتراف ان فخذ الشنافر الاتي ذكرهم تابعون لسلاطين آل عبدالله، وهم آل عمر، وآل عامر. والفخايذ آل كثير والعوامر، وآل باجري، وآل جابر وماشملته حدودهم، وهي معروفة مشهورة.

(الشرط الثالث): يتعهد السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلا عن نفسه وورثائه وخلفائه من الجهة الاولى بأنه يقر ويعترف بالحقوق والسيطرة لسلاطين آل عبدالله وورثائهم وخلفائهم في المدن والقرى المذكورة، وعلى فخائذ الشنافر المذكورة في الشرط الثاني المذكور أعلاه، وانه لن يعترض لهما في اي أمر كان مطلقا، وانهم سلاطين مستقلون في بلادهم المعينة في الشرط الثاني.

(الشرط الرابع): يقبل سلاطين آل عبدالله عن أنفسهم وورثائهم وخلفائهم من الجهة الأخرى بأنهم لن يعترضوا بأي طريقة كانت للحكم على حضرموت ماعدا المدن والقرى المذكورة في الشرط الثاني، وكذلك الفخذ المذكورة في الشرط المذكور ويقروا ويعترفوا ويقبلوا بأن ليس لهم حق في التعرض في محلات اخرى.

(الشرط الخامس): يرتضي سلاطين آل عبدالله ان يقبلوا ان المعاهدة المنعقدة بين الدولة البريطانية ودولة القعيطي في سنة ١٨٨٨م رابطة لهم وكأنهم جعلوها، ويرتضون بأن يمتثلوا شروطها بأمانة، ويرتضون ايضا أن تكون جميع معاملاتهم ومراسلاتهم مع الدولة البريطانية بواسطة السلطان القعيطي مولى الشحر والمكلا.

(الشرط السادس): كلا الفريقين يقبلان أن يوقفا الفتن في الحال والاستقبال حالا ويقبلان ان ينسيا، ويعفيا عن كل ماسلف، وأن لايصير من أحدهما أنتقام أو مطالبة في عوض، ويرتضيان أن يحافظا في المستقبل على الأمان في السبل الكائنة في حدودهما المعروفة ، واجراء العدالة طبقا للشريعة، واحترام السادة العلوية، واسعاف المظلوم، واقامة العدالة العامة في حدودهما المعروفة.

(الشرط السابع): يقبل المذكورون أن يساعد بعضهم بعضا اذا حصل خلاف من أحد الحزبين على رعاياهم وأصحابهم ومن تعلق بهم، أو على شريف، أو عابر سبيل، أو قاصر يد، ويقبلوا أن يحافظوا على أوراح وأموال بعضهم بعضا، وأتباعهم ورعاياهم، ومن يلوذ بهم ماداموا في حدودهم المعروفة، وأن يعاملوهم بالعدل والانصاف كمعاملتهم لغيرهم من أصحابهم.

(الشرط الثامن): يرتضي المذكورون بأن تكون الحرية المطلقة للتجارة، وأن تؤخذ العشورات بالمقدار المرتب على جميع الناس سواء كانوا رعايا ايا كان من السلطانين المذكورين.

(الشرط التاسع): اذا رغب احد السلطانين المذكورين أعلاه أن يزور الآخر ينبغي أن يخبر بمراده حتى يكون الاستعداد لمقابلته بالاحترام الواجب،ويحتاج أن لايزيد في أي حالة كانت مقدار العسكر عن خمسين نفرا اتقاء لحدوث الفتنة بين العسكر.

(الشرط العاشر): سلاطين القعيطي وسلاطين آل كثير يقبلون بالسوية أن يعاون بعضهم بعضا بحسب مقدرتهم واستطاعتهم في أي تدبير فيه صلاح حال حضرموت ورقيها.

(الشرط الحادي عشر): فمقابلة لقبول الشروط المذكورة أعلاه من لدن سلطان الشحر والمكلا، وسلاطين آل عبدالله آل كثير سوف تجتهد الدولة البريطانية أن تصلح جميع المخاصمات الناشئة في المستقبل بين المذكورين بعد تاريخ هذه المعاهدة بالتحكيم بواسطة والي عدن.

حرر في ٢٧ شعبان ١٣٣٦ه

صحيح

غالب بن عوض القعيطي

شهد بذلك

حسين بن حامد المحضار

شهدعلى اقرار المذكور

سالم بن جعفر بن طالب

شهد على اقرار المذكور

ناصربن عمر بن يماني بن مرعي بن طالب

وهذه امضاءات نسخة اخرى من هذه المعاهدة

صحيح

المنصور بن غالب بن عبدالله الكثيري

شهد بذلك

حسين بن حامد المحضار

صحيح

محسن بن غالب بن محمد احمد بن عبدالله

شهد بذلك

سالم بن جعفر بن طالب

صحيح

غالب بن عوض بن عمر

شهد بذلك

ناصر بن عمر بن طالب

بسم الله الرحمن الرحيم

معاهدة عسكرية بين السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية (تحوي امضاءات زائدة على المائة لاقطاب وممثلي الفخوذ الشنفرية اضافة الي سلاطين آل عبدالله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولما كان ١٠ من شهر شوال ١٣٣٦هـ ألف وثلثمائة وست وثلاثين بناء على المعاهدة المنعقدة بين الدولة القعيطية والكثيرية عند الدولة البريطانية بواسطة والي عدن المؤرخة.

حصل الاتفاق بين الدول المذكورين؛ وهما السلاطين الكرام: غالب بن عوض وعمر بن عوض القعيطي عن أنفسهما وأولادهما أبدا ماتناسلوا؛ وعن من يكفلهم ويصالحون ويبارون عنهم وعن جميع يافع من جانب والسلاطين، الكرام وهما المنصور ومحسن أبناء غالب بن محسن الكثيري عن أنفسهما وأولادهما أبدا ماتناسلوا وعن من يكفلهم ويصالحون ويبارون عنهم، وعن من دخل مدخلهم من الشنافر كثيري وعامري وجابري وباجري، وطرح اقراره ووجهه أسفل المسطور من جانب على يد السيد الشريف الحسين بن حامد بن أحمد المحضار وتقاروا وتراضوا، وانعقد بينهم حلف بعهد الله الوثيق وميثاقه الشديد حلفا مؤبدا الي أن يشيب الغراب ويفنى التراب، حلف الصدق والوفاء والطيب والنقا على دم وفرث وشائم ولائم وجار ونسيب على عوائد الاحلاف الجارية بين العرب بالجهة الحضرمية، حلف متوارث يرثه الحي بعد الميت أبدا ماتناسلوا من يرث المال يرث الوجه، حلف من تبرأ منه مابري ومن تخلى منه ماخلي راده عائب وقابله عائب، وعلى ان كل ماكان بين الدولة القعيطية ومن خلفوهم من يافع وبين الدولة آل عبدالله ومن دخل مدخلهم من الشنافر وطرح اقراره أسفل المسطور من ضغائن من قبل هذا التاريخ وأحقاد ودماء وأموال وغيرها وكائن ماكان فهو مهدوم مردوم ولا عاد فيه ثار ولا مثار ولا دعوى ولا طلب، وعلى ان كل من حصل منه خلاف على الدول المذكورين ورعاياهم وما يشومهم ويلومهم فيد الدولتين القعيطية والكثيرية واحدة في ردع المخالف، والدولة البريطانية متردمة عليهم في كل خلاف يصير من أحدهم على بعضهم البعض وهي القائمة عليه

والرادعة له من الخلاف حسب المعاهدة المذكورة أعلاه، وان كل من طرح اقراره على هذا الحلف فهو مقر ومرتضي وملتزم بما في تلك المعاهدة من الشروط، وهذا الحلف تابع لتلك المعاهدة ومرتبط بها وليس يخل بشئ من شروطها وهي العمدة، وكل من لم يدخل مدخل الدولة آل عبدالله من الشنافر وهو حليف للدولة القعيطية أو مبار لها وحصل منه خلاف على احدى الدولتين آل عمر بن عوض القعيطي أو آل عبدالله الكثيري فيما يشومهم او يلومهم فيد الدولتين عليه واحدة في ردع الخلاف، وكل من طرح اقراره ووجهه على هذا الحلف فهو المخاطب عن نفسه ليس ينتسب بنسبة غيره، ولا يعاقب بذنب غير ذنبه، ولا عليه مطالبة من الدولتين بخلاف غيره، وليس للدولة القعيطية والكثيرية تداخل ولا اعتراض فيما بين الشنافر في بعضهم البعض في أي أمر كان، وليس لهم أن يعاونوا أحد على أحد، وكل من حصل منه خلاف ليس لهم نفاعه من كل برى فهو مقطوع من أبيه وقريبه، وعاره وناره على رأسه، وللدولتين ما يؤمنهم نهار تحصل الخلافة من قبيلته وليس للدولة القعيطية أن يحالفوا أحد من الشنافر من بعد هذا التاريخ الا من دولة آل عبدالله وبرضاهم، جرى ذلك وحرر برضاء المذكورين والله على ذلك رقيب.

صحيح حسين بن حامد المحضار نائب الدولة القعيطية.

صحيح المنصور ومحسن أبناء غالب بن محسن آل عبدالله الكثيري.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاهدة بين السلطنتين القعيطية والكثيرية على اصلاح حضرموت

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اما بعد: فبناء على ماتضمنته معاهدة عدن المبرمة بين الدولتين، الدولة القعيطية ودولة آل عبدالله الكثيري في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦ه.

وبناء على مابني على المعاهدة المذكورة من المعاهدات المعقودة بين الدولتين المذكورتين، وبناء على انه لم يقيد للدولتين تمام القيام بما شملته المعاهدات السابقة بينهما بسبب القلاقل التي حصلت في حضرموت، وبناء على اتجاه أنظار أهل حضرموت للاصلاح واقامة العدل والأمن والعمران في بلادهم اجتمع السلاطين: السلطان صالح بن غالب بن عوض القعيطي قائما عن نفسه وعن كافة آل عمر بن عوض القعيطي من جهته، والسلطان علي بن منصور قائما عن نفسه وعن والده وعن كافة آل منصور بن غالب بن محسن آل عبدالله، والسلطان عبدالله بن محسن قائما عن نفسه وعن اخوته آل محسن بن غالب بن محسن آل عبدالله من الجهة الاخرى للمفاوضة والبحث فيما يجب عليهم من الاصلاح، واقامة الأمن والعدل والانصاف وحفظ الحقوق في الاقطار الحضرمية الساحلية والداخلية، وبعد البحث والفحص وتبادل الآراء مع الوفد الحضرمي فيما ذكر تقرر ماهو آت:

أولا: تتعاون الدولتان على الاصلاح واقامة الامن والعدل وتسكيت القلاقل والفتن بالوسائل السلمية، وان لم تنفع الوسائل المذكورة وتستعمل القوة المستطاعة.

ثانيا: تلتزم كل من الدولتين أن تقاطع أي قبيلة تطغى على الدولة الأخرى وقت الخصومة والبراء.

ثالثا: تلتزم كل من الدولتين باجراء التضييق على من يخالف من الدولة الأخرى بتوقيفه وتوقيف أمواله ومصالحه في جميع المملكة الي أن يرجع الي الحق.

رابعا: تجتهد الدولتان في اتخاذ الوسائل اللأزمة لتأمين السبل وتخليص المساكين ونحوهم من تأثير المخاصمات والفتن التي تقع بين القبائل.

خامسا: تتبادل الدولتان المندوبين والنواب في الشحر والمكلا من جهة آل عبدالله، وفي تريم وسيؤن من جهة القعيطي.

سادسا: تأسيس حامية عسكرية في حضرموت يتعهد القعيطي باحضار جنودها وسلاحهم ولوازمهم الحربية بقدر الحاجة الضرورية، ووظيفة هذه الحامية المحافظة على تأمين السبل والمصالح المشتركة بين الدولتين وحقوق رعاياهما، ومن ينضم اليهم ممن يدخل مدخلهم وتكون هذه الماده قابلة للتعديل بحسب مقتضيات الأحوال بعد استشارة الجمعية الوطنية التي تتعهد بنفقات الحامية العسكرية المذكورة ومشاهرات جنودها.

سابعا: تأكيدا للشروط الآنفة تعتبر الاتفاقية المعقودة بين الدولتين في المكلا في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ه نافذة المفعول ماعدى حالة الباصات (تذاكر السفر) من حضرموت فانه يؤجل العمل لها الي أن يرجع السلاطين آل عبدالله الممضون على هذه المعاهدة من البنادر الي حضرموت للمفاوضة مع السلطان منصور بن غالب بن محسن ومن يلزم هنالك من ذوي العلاقة بالمسألة المذكورة، فاذا اتفق رأيهم على العمل بها يرفعون النتيجة للقعيطي للعمل بها، وللدولتين حق التعديل في المسألة المذكورة، وفي مسألة تبادل المندوبين اذا رأتا مايستوجب ذلك في المستقبل.

ثامنا: تأييدا لتجديد العهود وتوثيق عرى الصداقة والتعاون العملي بين الدولتين على الاصلاح واقامة العدل والأمن وردع المخالف في الأقطار الحضرمية، اتفق المتعاهدون على اصدار البلاغ الرسمي المربوط بهذه المعاهدة من الدولتين وطبع كمية وافرة منه توزع على آل حضرموت ليستنير الرأي الحضرمي العام بالوقوف على خلاصة المعاهدة.

تاسعا: يجب أن تتألف جمعية وطنية عامة تتساعد مع الدولتين في جميع الاصلاحات اللازمة لحضرموت داخلها وساحلها ويشترك فيها جميع الوطنيين القاطنين في داخل حضرموت والبنادر والنازحين في المهاجر ويكتفي في الظروف الراهنة بأن تكون هيئة الوفد الحضرمي هي الجمعية الوطنية التي تتعاون مع الدولتين فيما يستطاع اجراؤه من الاصلاحات المطلوبة ريثما تتكون الجمعية الوطنية العامة بموجب القانون الذي يوضع فيما بعد بواسطة الوفد الحضرمي.

عاشرا: لاتكون سياسة الجمعية المذكورة مخالفة للسياسة التي تقتضيها علاقة الدولتين والبلاد الحضرمية بالحكومة البريطانية.

الحادي عشر: تلتزم الدولتان بحماية الجمعية المذكورة وتأييدها وتنفيذ قراراتها المتعلقة بالاصلاحات الوطنية اللأزمة بشرط أن لاتخل بمركز الدولتين.

الثاني عشر: تجتهد الدولتان وهيئة الوفد في ارسال وفدين أحدهما يتجول بين سكان حضرموت والاخر يتجول في بلاد جاوه لتفهيم الوطنيين الحضرميين مقاصد الدولتين والوفد الخيرية وطلب المشاركة العملية في المساعي الوطنية والمعاونة المالية في المشاريع الاصلاحية.

الثالث عشر: حررت هذه المعاهدة وجرى ابرامها والتوقيع عليها في بندر الشحر في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ه من السلاطين المذكورة أسماؤهم أعلاه عن الدولة القعيطية ودولة آل عبدالله الكثيرية وأشهدوا على أنفسهم من تذكر أسماءهم أدناه، والله خير الشاهدين وبه الثقة وعليه الاعتماد.

صالح بن غالب القعيطي، عبدالله بن محسن بن غالب، علي بن منصور بن غالب

شهد بذلك الطيب الساسي

شهد بذلك عبدالله بن محمد الكاف

شهد بذلك حامد بن محمد الجنيد

شهد على ذلك سلمان بن عبدالشيخ بن محمد شامي

شهد بذلك عبدالرحمن بن علي بن سهل

شهد على ذلك عبدالرحمن محمد بلفقيه

شهد بذلك حسن بن عبود بن سالم

شهد بذلك احمد بن ناصر البطاطي

شهد بذلك حسن بن عمر حسن الكثيري

صحيح لحقير علي بن عبدالرحمن بن عبدالله بن سهل

شهد على ذلك بوبكر بن شيخ الكاف

شهد بذلك عبدالله بن حسين السقاف

صحيح الشاهد بما ذكر اعلاه المنصب احمد بن حسين بن هارون العطاس

شهد على ذلك المقدم علي بن احمد اليماني

شهد على ذلك عبدالرحمن بن عبدالله بن شهاب

شهد على ذلك بوبكر بن حسين المحضار

شهد على ماذكر اعلاه هود بن احمد السقاف

شهد بذلك احمد بن جعفر بن المنصور.

الملحق الخامس(الوثيقة الرابعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عن تمهيد لمؤتمر سنقافوره على لسان المرحوم الاستاذ صلاح البكري

المأخوذ من كتابه "تاريخ حضرموت السياسي" – الجزء الثاني

في سنة ١٣٤٦هـ كان سمو الأمير المحبوب صالح بن غالب القعيطي اليافعي ولي عهد الحكومة القعيطية نائبا عن عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي اليافعي في ادارة شئون الحكومة في المكلا، وسمو الأمير من أعظم رجالات الحضارم ثقافة وأدبا، وأحبهم لاصلاح الوطن، وأكثرهم غيرة على الحضرميين، وهو في الوقت نفسه خبير بمواقع الداء في أمته، عليم بطرق علاجها وهدايتها الي الصراط الأقوم. راى سموه الفوضى ناشبة أظفارها في طول البلاد وعرضها، والغباوة تنخر الأمة نخرا وتدفعها دفعا الي مستقبل هو أشد سوادا من ظلام الليل، فأراد سموه ازالة الفوضى بايجاد نظم عصرية نافعة في البلاد، وأراد تبديد الجهالة بنشر العلوم، وأراد اصلاح العباد وترقية البلاد، فاستدعى سلاطين آل عبدالله، وبعضا من أعيان الحضارم للتشاور والتآزر والتعاون في الأمر، فلبى نداءه السلطان علي بن منصور الكثيري، وجماعة من الأعيان، وتكونت في الشحر لجنة تحت رئاسة كل من السلطانين صالح بن غالب، وعلي بن منصور، واذاعت الدولتان القعيطية والكثيرية بلاغا رسميا الي كافة أهالي حضرموت، وهذا نصه:

بلاغ رسمي عام

من الدولة القعيطية ودولة آل عبدالله الكثيرية الي كافة أهالي حضرموت

بسم الله وبحمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده.

أما بعد: فهذا بلاغ رسمي عام من الدولتين الدولة القعيطية، ودولة آل عبدالله الكثيرية، ليعلم الخاص والعام من أهالي حضرموت كافة انه تم بعون الله وحسن توفيقه تجديد الاتحاد، وتوثيق عرى الصداقة والارتباط بين الدولتين أن يتعاونا جهدهما على الاصلاح، واقامة الامن والعدل والانصاف كما تقتضيه الشريعة الاسلامية الغراء، وأن يدهما واحدة على كل مخالف، وعدوهما واحد، وصديقهما واحد، ومما تم الاتفاق عليه بين

الدولتين ان من تثبت مخالفته للاصلاح وتسببه في القلاقل والاضطرابات، ولا يستسلم، ولا يحتكم للحق على يد الدولتين يجري التضييق عليه، وتقطع مصالحه ومواصلته في أراضي الدولتين، ويلقي القبض في البنادر عليه وعلى أمواله ومن يصلها من أصحابه وجماعته وأموالهم، ولاجل تحقيق ما ذكر تم الاتفاق بين الدولتين ينبغي أن يكون للدولة القعيطية نائب عنها في سيؤن، ونائب عنها في تريم، وأن يكون لدولة آل عبدالله نائب عنها في الشحر، ونائب عنها في المكلا.

والله يتولى الجميع بتوفيقه ورعايته، ويأخذ بيد المملكة الحضرمية المتحدة الي أوج التقدم والفلاح.

حرر في بندر الشحر في ٢٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٦هـ.

وتقرر في اجتماعهم المنعقد في الشحر في شهر جمادي الاولى سنة ١٣٤٦هـ ايفاد الشيخ الطيب الساسي الي جاوه مندوبا عن الحكومتين اليافعية والكثيرية لدعوة الحضارم المهاجرين في ذلك الصقع النائي للاشتراك في اصلاح الوطن وترقية أبنائه، واذاعت كل من الحكومتين بلاغين رسميين الي كافة الحضارم في جاوة، وهذا نصهما:

خطاب السلطان صالح بن غالب القعيطي

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

اما بعد: فهذا خطاب عام الي كافة أفراد الشعب الحضرمي النبيل القاطن في جاوه:

أيها الوطنيون النجباء: لقد دعاني الواجب الوطني أن أبذل قصارى جهدي في اصلاح وطني الحضرمي المبارك، واجتهد بقدر طاقتي ونفوذي في ازالة ما فيه من أسباب القلاقل والفتن، ووضع أساس متين للعدل والأمان، وحسم الفوضى والاستبداد، وقد هدتني هذه الفكرة الي السعي في وضع خطة أساسية أتمكن بها من ايجاد اتحاد تام بين أفراد الأمة، وايجاد وئام وثقة بين الأمة والقوة الحاكمة، وازالة سوء التفاهم من بينهم ليتيسر لنا الوصول الي ما نحن بصدده، فوجهت الدعوة الي من شممت فيهم رائحة الصلاح من أعيان حضرموت،

وطلبت منهم أن يرسلوا الي وفدا من ساداتها وأعيانها ورؤسائها، ورجوت منهم تلبية دعوتي الي الاصلاح، فلبوا دعوتي بارتياح، وقالوا حي على الصلاح وحي على الفلاح، وبعد مفاوضتي مع هيئة الوفد الحضرمي المؤلف من سادات حضرموت وأعيانها وعلمائها، استقر راينا على ابرام اتفاق بيننا يكون هو أساس الوحدة القومية لنتمكن به من ايجاد وئام تام بين أفراد الأمة وبينها وبين الهيئة الحاكمة، وقد تم الاتفاق بيننا، وتقرر بيننا أن نرسل وفدين: وفدا الي حضرموت يطوف على جميع القبائل وسكانها لتفهيمهم مقاصدنا، ودعوتهم الي الاصلاح بالطرق السلمية، ووفدا يتوجه الي جاوه لاستنهاض همم أهل الوجاهة واليسار من الوطنيين الأحرار للاخذ بيد الهيئة الاجتماعية، والاشتراك في اقامة جمعية من الوطنيين تتساعد مع الهيئة الحاكمة في الاقطار الحضرمية، وهيئة الوفد الحضرمي في اجراء الاصلاحات الوطنية اللأزمة، كنشر المعارف واقامة شركات وطنية لانماء الزراعة واحياء الصناعة. وانني أرى من أوجب الواجبات على الأمة الحضرمية سيما أهل اليسار منهم، والذين تنورت أفكارهم باحتكاكهم بالاجانب أن يبذلوا مافي وسعهم لابادة الجهل السائد على ابناء وطنهم فانه علة العلل، وموروث الخمول والكسل، وما دام الجهل سائدا على أفراد الأمة فلا تترقى ولا تتبع الخطة العادلة التي يجب أن تسير عليها لانها لا يمكن أن تعرف مصالحها من مضارها الا بالتعليم الصحيح، ولو فرضنا اننا وفقنا الي اجراء بعض اصلاحات بسعي أفراد من الأمة أو الحكومة، فان تلك الاصلاحات تزول بزوال شخصية رجال الاصلاح. أما النهضة الاصلاحية التي تنتج من مجموع افكار الامة وقوة مركزها العلمي، فهي التي تبقى مستمرة ويكون لها شأن عظيم، ولذلك أرى من أوجب الواجبات على رجال حضرموت وهيئتها الحاكمة أن يوجهوا عنايتهم لنشرالعلوم والفنون والصنائع في وطنهم العزيز، وأريد بالعلوم عامة المعارف التي تؤهل الامة لخدمة وطنها، وتثقيف عقول أبنائها، وتفيدهم في اصلاح أنفسهم واصلاح بلادهم وذات بينهم، فلا يجب أن يكون التعليم قاصرا على العلوم الدينية واللسانية، بل لابد أن يشمل نظام التعليم جميع العلوم التي تحتاج اليها الأمة لخدمة وطنها، كالعلوم الرياضية والطبيعية والاقتصاد السياسي والطب، فان درس هذه العلوم لخدمة الأمة فرض كفاية كما صرح به الغزالي، ولابد من تعلمها لحفظ نظام الهيئة الاجتماعية، ونمو حياتها، اذ لابد أن تكون في الامة طائفة من المهندسين، وطائفة من الاطباء، وطائفة من أهل الاقلام، وهلم جراء، حتى يحصل للوطن الرقي الصحيح بتعاون أبنائه على القيام بأعباء الاعمال المختلفة اللازمة لحفظ كيانه.

فهلموا يامعشر الحضارمة الي التعاون على الاصلاح، فبالاتحاد في العمل يسهل كل صعب، وان حكومتنا ستمد يد المساعدة، وستبذل مافي وسعها لتنشيطكم فهلموا الي العمل فانه مفتاح الفرج.

لقد اشتهرت حضرموت على الالسنة بالجدب والقحولة، وعدم وجود المياه فيها، ولكن تبين لي بعد درسي جغرافية البلاد الطبيعية درسا بسيطا ان موارد المياه توجد بكثرة في حضرموت وسواحلها، وان الاطيان الصالحة للزراعة توجد فيها بوفرة، ولولا جهل سكانها بالوسائل الفنية اللازمة لتخزين المياه ونظام الري لاصبحت حضرموت من اخصب الاراضي الموجودة في اليمن، فيجب علي (وحالة بلادكم كما قد شرحت لكم) أن استلفت أنظار أهل حضرموت، لاسيما أهل اليسار منهم الي احياء بلادهم باقامة شركات زراعية، وتأليف جمعيات وطنية للنظر في المشاريع العمرانية. وقد يعترض بعضهم بأن هذه الاعمال تتوقف على اقامة الامن في حضرموت، وحسم الفوضى المخيمة على ربوعها وغير ذلك، ولكني اقول ان من درس أحوال حضرموت عرف ان أكثر أبنائها ميالون الي الاصلاح، وان أهل البغي والفساد منهم يعدون على الاصابع، فاصلاحهم لا يتعسر على القوة الحاكمة متى ما رأت اقبال أهل الثروة على احياء بلادهم بتنشيط الزراعة، واحياء الصناعة، وتقوية التجارة وغير ذلك.

فالهمة الهمة في ابراز نتائج أعمالكم الي عالم الوجود بعزم ونشاط يثبتان للامم الحية ما أنتم عليه من محبة الوطن والانسانية، فقد اشتهر أباؤكم بكل مزية، وكانوا قادة للتمدن، والولد يكون سرا لابيه، فكونوا مثلهم في النشاط والعزيمة، واذا عزمتم على أمر تذكروا قول الصفدي واعملوا عليه:

لقد سعينا فلم تضعف عزائمنا *** عما نروم ولاخابت مساعينا

لايظهر العجز منا دون نيل منى *** ولو رأينا المنايا في امانينا

وقد سررت كثيرا حينما بلغني خبر اقبالكم على الاخذ بساعد الهيئة الوطنية، ومساعدتها على مساعيها المبذولة لانتشال الوطن من الحضيض الي أوج الكمال، فأرجو أن تقرنوا اقوالكم بالعمل، وأن تقدروا الوقت حق قدره، فان الوقت ثمين، وليكن منكم اقدام على الاعمال الخيرية بسرعة فائقة، وهمة عصامية.

وقد أوفدت اليكم أحد رجالنا الاخصاء، وهو الاستاذ الفاضل الشيخ الطيب الساسي مندوبا مفوضا من قبلي للمفاوضة معكم في كل ما به اصلاح الوطن الحضرمي وأبنائه، وأرجو أن تتوفقوا معه لما يحقق آمال اخوانكم بالوطن فيكم، والله يوفقنا واياكم الي ما فيه خير البلاد والعباد، وان يكلل أعمالنا جميعا بالنجاح والسلام.

حررته بخطي بتاريخ ١٥ جمادي الاول سنة ١٣٤٦هـ.

صالح بن غالب القعيطي

خطاب السلطانين علي بن منصور وعبدالله بن محسن آل عبدالله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المهتدين بهديه.

أما بعد: فهذا خطاب عام الي كافة الوطنيين الحضرميين المهاجرين في بلاد جاوه عليهم السلام، وفقنا الله واياهم للاعتصام بحبل الاسلام، والاهتداء بهدي سيد الانام، عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

أيها الوطنيون الاعزاء: لقد أفادنا تكرر التجارب ان الاستمرار في التقاتل والشجار نتيجته للامة الهلاك والبوار، وللوطن الخراب والدمار، ثم اننا بحثنا عن الدواء الذي استعمله غيرنا من الامم الغابرة والحاضرة التي ابتليت بمثل ماأبتلينا به من الامراض، فوجدناه الاتحاد الذي هو رأس كل خير وسداد، ومبيد كل شر وفساد، فرأينا لانفسنا الصلاح أن نسلك الطريق الذي سلكه غيرنا للصلاح.

وعلى ذلك حين دعانا الاخ الصالح المصلح المكرم السلطان صالح بن غالب بن عوض القعيطي المعظم نحن ونخبة من سادات حضرموت وأعيانها أن نصل اليه للمفاوضة في وضع قاعدة للاتحاد والتعاون على الاصلاح والرشاد، وقطع جذور الفوضى والفساد، لبينا دعوته مسرعين، فوصلنا البنادر فرحين مستبشرين، ولخير الوطن وأبنائه عاملين مجدين، وتشاورنا وتفاوضنا في وضع الاساس الذي تتعاون به الدولتان الدولة القعيطية، ودولتنا

دولة آل عبدالله الكثيرية مع الامة الحضرمية على اصلاح الوطن الحضرمي وأبنائه، فكانت النتيجة على مايرام، وأسفرت المفاوضات عن ابرام معاهدة جديدة عرفت بمعاهدة الشحر، ونحن لا ندعي ان ماوضعناه من الاسس بلغ حد الكمال الا اننا نقول: ذلك مبلغ الاجتهاد، ولا يلام المرء بعد الاجتهاد.

وقد فتحت المعاهدة الجديدة باب الاعمال الاصلاحية، في كافة الاقطار الحضرمية الداخلية والساحلية على مصراعيه، وبذلك لم تترك مجالا لنقد الناقدين.

وعلى ذلك نرجو من كل من لديه فكرة اصلاحية من الوطنيين أن لايكتفي بأن ينتقد، بل عليه أن يبادر للعمل ويجتهد، ونحن له خادمون مؤيدون، ولاعماله الصالحة شاكرون حامدون، فان المقصود الأعظم النهوض بالوطن وأبنائه، لا جمود كل عند أفكاره وأرائه، والوطن يتطلب اليوم رجال أعمال واجتهاد، لا رجال أقوال وانتقاد.

ولاجل تحقيق الوحدة الوطنية، والتعاون بين الدولتين، وسائر أفراد الأمة الحضرمية، كما تضمنته معاهدة الشحر الجديدة، اخترنا أحد اركان الوفد الحضرمي وهو الاستاذ الفاضل الشيخ الطيب الساسي أن يكون مندوبا مفوضا عنا لديكم في بيان الحقائق لكم، والمفاوضة معكم في كل ما به اصلاح الوطن الحضرمي وأبنائه، فأعتمدوه وكونوا عند ظن اخوانكم في الوطن بكم، فان الآمال فيكم قوية، ولايخفاكم أن المال رأس جميع الاعمال، ولذلك قدمه الله تعالى في قوله: "وجاهدوا بأموالكم وانفسكم" فعليكم بالاتحاد على الخطة العادلة التي تنتظم بها الاعمال، والاكتتاب لجمع رؤوس الاموال التي تصلح بها الاحوال، وأعلموا ان من يصرف ليوم واحدا لصالح وطنه وأمته سيربح غدا أضعافه مع توفير كرامته، وفقنا الله واياكم لمرضاته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرر في بندر الشحر ١٩ جمادي الاولى سنة ١٣٤٦هـ

عبدالله بن محسن بن غالب　　　علي بن منصور بن غالب

أسباب فشل مؤتمر سنقافوره
وبلاغ السلطان عمر بن عوض القعيطي بشأنه والذي يلي:

وبناء على متطلبات المهمة المفوضة اليه، فلقد كان توجه الشيخ الطيب الساسي، طيب الله ثراه، في طريقه الي جاوه، ووصل الي سنقافوره، حيث نزل ضيفا عزيزا على الساده الكرام آل الكاف، الذين أحدقوه بحفاوتهم وضيافتهم الي درجة جعلته ينسى مواصلة رحلته الي مسقط راسه – جاوه – كما عن موقف الحياد المطلوب منه والتمسك به ظاهرا ايضا وليس باطنا بحاله في وجه التحزب والانقسام الشديد الموجود آنذاك في صفوف الحضارم، وبالخصوص في الشرق الاقصى، في شكل حركتي "الرابطة العلوية" و"الاصلاح والارشاد" (وهي بخلاف ندها، كانت تتمتع بدعم العناصر غير العلوية وتستمد قوتها بوجه رئيسي من القبائل)، وآل الكاف الاثرياء بالطبع من كبار اقطاب الرابطة العلوية.

وبما ان الشيخ الطيب الساسي كان يعد دخيلا حديثا على المجتمع الحضرمي ومشاكله وصراعاته السياسية والطبقية والاجتماعية وجذورها، سواء في حضرموت أو المهاجر، وبالخصوص في جزر الهند الشرقية وعلى رأسها جاوه (مقر هاتان الحركتان)، حيث يقطن أغلب المهاجرين من الحضارمة، فعدم اهتمامه بهذه الجوانب (وان كان عن طيب خاطر وقلة دراية) والتمسك بالحياد والمساواه بين هذين الطرفين في اتخاذ الأنصار والأعضاء، ثم قراره في عقد المؤتمر في سنقافوره (التي كانت تعد في نظر الارشاديين مقرا من معاقل الحركة العلوية بسبب نفوذ الساده آل الكاف وغيرهم فيها) بدلا من جاوه حسب المتوقع والمقرر، جعلت الارشاديين يعتقدون بأنه قد أنحاز تماما الي الحركة العلوية بحيث أصبح آلة صماء في أيدي أقطابها.

فكانت النتيجة انه انعقد المؤتمر بين ٢٥/١٠/١٣٤٦هـ (١٧/٤/١٩٢٨م) و ١٠/١١/١٣٤٦هـ برئاسة السيد ابراهيم السقاف وبمقاطعة الارشاديين والحركات الموالية لهم مثل الجمعية اليافعية الخ – وهي تمثل جمعا غالبية الحضارم – وصدر قراراته، بينما ذهبت المعارضة بعد الاطلاع عليها بتحذير الجميع، أينما كانوا (بما فيها حضرموت والهند)، من التعاون مع أقطابه وقراراته بحيث ان هدفها الذي كان أصبح مبينا من نصوصها – وذلك حسب تفسير هؤلاء – بانه من وراء الستار، الهيمنة والسيطرة على الشئون

الحكومية واستغلالها لاغراضها الخاصة كما كان حصل خلال تلك الفترة في تريم من قبل جمعية تسمى الحق بريادة وتمويل الساده العلوية في تلك المدينة حينما تم الاستيلاء من قبلها على جميع صلاحيات حاكمها عبر منحه مرتبا منتظما.

وعلى سبيل المثال، فلقد كان قرر المؤتمر من الحكومتين أن تقدم سنويا ميزانيتيها للجمعية الوطنية ولابداء الرأي فيها، وتعديل ماتراه مفتقرا فيها، وان تكون القرارات بشأنها "مقبولة ومرعية"، وبأن "لايحق لوفد المؤتمر (الي حضرموت) أن يقبل أي تعديل كان في (هذا) القرار"!! كما بتأسيس شركة تجارية وطنية على يد "شخصية مالية معتبرة"– وهو السيد "عبدالرحمن بن شيخ الكاف مباشرة ..." وأن تقوم الحكومتان بمعاملتها على أسس تفضيلية، على أن "تخصص خمسة في المائة من صافي ربح الشركة للشئون الخيرية في الوطن كالمعارف والملاجئ والمستشفيات، ويتولى صرف ذلك مجلس ادارة الشركة"، و "أن تشتري الحكومتان خمسة في المائة من مجموع أسهم الشركة كل حكومة بنسبة حالتها المالية" و "بتخويل وفد المؤتمر (الي حضرموت) حق المناقشة والمفاوضة" و "الاشتراك مع الوفد الحضرمي في وضع قواعد عامة لتأسيس جمعية وطنية، وان يبقى الباب مفتوحا أمام الحضارم في المهاجرللاشتراك فيها ومساعدتها.

وبالاختصار، فلو أن العديد من قرارات هذا المؤتمر –(وهي ثلاثة وعشرون) – المقتدية بتوجيهات الخطابين من السلطانين والخطوط العريضة المرسومة فيهما كانت مفيدة في غاياتها، الا ان احتجاج الاطراف الاخرى على اسلوب انعقاده وتركيب مساهميه (دون تمثيل الطرف الاخر– أي الارشاد)، وثم على طريقته في صياغة القرارات وتفويض الصلاحيات لوفده الي حضرموت للمفاهمة مع "الوفد الحضرمي" (المزعم) في البلاد (والمقصود به في الغالب أعيان حضرموت!) ودون أية اشارة وأضحة للحكومتان وكأن ليس لهن اية اهمية أو وجود! وثم بتخويل هذا الوفد عند المناقشة ولزوم الامر بقبول تعديل في بعض القرارات ورفضه في غيرها، جعله يظهر أمام الخاصة والعامة، وكأنه يعتبر نفسه الشارع والقاطع في شئون البلاد! – وكانت نتيجتها العديد من الشكاوي ضدها، وحاصلها النهائي البلاغ الاتي من السلطان عمر بن عوض القعيطي، الذي استقبل بترحيب حار لدى جميع

معارضي المؤتمر، وان قام أنصاره بمهاجمة السلطان عمر القعيطي في جرايدهم، مثل "حضرموت" (الصادرة من سرابايا) وفي بعض الصحف المصرية.

ولقد قام أيضا جلالة الملك المغفور له عبدالعزيز آل سعود بمحاولة الصلح بين الطرفين المتصارعين ولكن دون نتيجة.

من سلطان الشحر والمكلا الي جميع الحضارم

ظهرت لنا بوادر حركة اصلاح مباركة في القطر الحضرمي أملنا منها الاصلاح ونشر العلوم، وتقوية الروابط بين أهالي القطر الحضرمي تجنبا للضغائن التي أخرت البلاد عن الاصلاح أولا، ثم السير بها تدريجيا في معارج الفلاح حسبما تقتضيه الحالة حتى لاتصطدم الحركة بفشل من المحافظين.

فكر السلطان صالح بن غالب القعيطي النائب عنا وقت غيابنا في الهند، وهو مملوء الفؤاد بحب النهوض للأمة الحضرمية، ورأى مع ذلك يقظة أفكار رجالها في حضرموت واتجاه أنظارهم للاصلاح فعقد مؤتمرا بالمكلا جمع فيه ذوي اليسار وبعض من أعيان الجهة الحضرميين، وقرروا أن يوفدوا الي سنقافوره رجلا يدعو رؤساء الجمعيات، وذوي الشخصيات البارزة من الحضارم في جاوه ليعقدوا مؤتمرا في سنقافوره لاجل الشروع في معدات الاصلاح، وتقديم الاهم على المهم حتى يتسنى للامة الحضرمية النهوض من كبوتها في جو صاف من الضوضاء. ولكن عين لهذا العمل المهم رجل غريب يدعى الطيب الساسي الذي ليس له أدنى معرفة بحضرموت وعوائدها وقبائلها غير ماسمعه مدة اقامته القصيرة في بلد تريم.

ولما وصل الساسي الي سنقافوره أرسل دعوة لحضرات رؤساء الجمعيات، وذوي الحيثيات، وكثير غيرهم من الادباء الحضارمة القاطنين بجاوه، وذلك بواسطة بعض رجال في سنقافوره، فأنكر ذوو العقول الراجحة دعوة رجل غريب لا ناقة ولاجمل له بحضرموت، فلم يلب دعوته الا أناس قليلون لايتجاوزون عدد الاصابع، ومع ذلك عقدوا مؤتمرا كما يزعمون

باسم الاصلاح الحضرمي، وقرروا قرارات كما يدعون تنطوي على أغراض شخصية تعود على القطر الحضرمي بأضرار جسيمة،وان كانت في ظاهرها لمن ليس له معرفة بحالات الجهة الحضرمية يظن انها تنطوي على شئ من الاصلاح، ومن هذا تجنبوا دعوة ذوي المكانة وذوي العقل لحضور جلسات مؤتمر سنقافوره لما يعرف هؤلاء من حقيقة الحالة وماتضمره تلك القرارات من التفرقة بين أهل حضرموت، وحيث اننا بكل قوانا وغاية جهدنا مصممون على تقدم بلادنا وتحضيرها وترقيتها عارفون منابت الاصلاح ورجاله، فانا من الان شارعون في رقيها على يد الرجال الذين نعتمد عليهم في الاصلاح الحقيقي المرغوب، فبعد اطلاعنا على ماقرره مؤتمر سنقافوره المزعوم بدعوة الساسي، فنحن قد رفضناه لمعرفتنا بضرره على امتنا.

عمر بن عوض القعيطي

الملحق الخامس(الوثيقة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب السلطان صالح بن غالب القعيطي عند توليته عرش السلطنة

والتي القاه في صفر ١٣٥٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم. نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

أيها السادات الكرام – رؤساء القبائل – أصحاب المناصب الجليلة والرعية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسرني أن أقدم اليكم أحسن تشكري وأخلص تحياتي على ما أظهرتم من الحماسة والشوق في ترحيبي عند وصولي الي الوطن، وما أثبتم من الاخلاص والولاء، لاني أود ان أظهر لكم بعض ما يختلج في صدري، ويخطر بقلبي من الخواطر لرقيكم وترقية أحوالكم، وبث الامن، واصلاح الوطن.

ولايخفى عليكم ان فلاح الامة لايتأتى الا اذا كانت عرى الوفاق بين السلطان والرعايا وثيقة، وكان الامن والسلام ضاربين في جميع نواحي المملكة واطرافها. لان السلطان والرعية كالأب الشفيق وأولاده، فلكليهما حقوق على بعضهم لبعض، فعلى السلطان أن يبذل جهده في ترقية الملك وترقية أحوال الرعية، ولاينجح في هذا المرام ان لم تكن الرعية مستعدة كل الاستعداد لمعاضدته في مهامه، وتوثيق عرى الوفاق معه. وعليه أن يدفع الظلم والعدوان عن رعيته، ويحفظهما تحت عنايته وعدله، ويعمل لتحسين كافة شئونها الاجتماعية.

وانه ليحزنني أن أراكم في الحالة المنحطة التي وقعتم فيها، فاني وان كنت بعيدا عنكم ونازحا عن دياركم، فقد كنت دائما مطلعا ومتطلعا على أحوالكم وواقفا على جلية أموركم. ولا اثم ان كاشفتكم انكم قد تأخرتم في كل شعب الحياة، وملتم الي الجمود والخمول. واني لاتذكر ان كثيرا من العائلات العاليات اللاتي كن في أحسن الاحوال أيام جدي المغفور عوض

بن عمر القعيطي قد اعوزت وصارت الي الهلاك والاضمحلال. وكان عمي المرحوم السلطان عمر يسعى لاصلاح امور القوم ولكن التقدم يقتضي طول الزمن ودوام العمل. وارجو من الله تعالى أن تكون الرعية في أيامي في غاية الرخاء والسعادة وان ترتقي الي أعلى مدارج الترقي والفلاح.

أيها السادات: انكم لتذكرون كيف خلص الملك لجدي المرحوم بمساعدة عشيرته خصوصا وبمساعدة الكل عموما. وكذلك أرجو من جميع رؤساء القبائل وسلاطين حضرموت اصحاب الكلمة والمناصب أن يقوموا بمساعدتي وشد أزري لكي ننهض كرجل واحد لاتحاد كلمتنا واعلاء شأن ملكنا لكي نكون في مستوى واحد مع الامم الراقية ونجاريهم في مضمار الحياة، فلنعمل لرقينا من الان! لان الوقت سيف قاطع، والفرص تمر مر السحاب، والوقت ثمين يجب علينا أن نغتنمه ولا نضيعه سدى.

وأريد أن اطلعكم على خطتي السياسية التي سأسلكها، فأقول:

ان روابطنا مع الدولة الانجليزية ستبقى ودية كما كانت على الدوام، ونكون مستعدين لمعاونتها بكل وسيلة ممكنة وفي كل حين، ونستمد منها المعاضدة لرقي بلادنا، ولقد لقيت من سعادة والي عدن وكيل الحكومة البريطانية الكولونيل السر (ريلي) كما يليق بي من الترحيب والتكريم عند نزولي عدن ومبارحتي اياها. ولم يأل جهدا في أخذ خاطري، ووعدنا بأنه لايحرمنا من ثمين مشورته ومساعدته فيما يخصنا من الامور المتعلقة بشئوننا. وانا أغتنم هذه الفرصة لتقديم جزيل تشكري اليه مؤكدا له محافظتي على الولاء للتاج البريطاني، وعلى علائق المعاهدة فيما بيني وبين جلالة ملك بريطانيا.

وانتم عارفون ان رحى الحرب بين ايطاليا والحبشة دائرة، فيجب علينا أن لا نساعد المتحاربين في حال من الاحوال. ولا يوجد في بلادنا تجارة الرقيق – فهي أيضا محظورة عندنا، وسنعاقب من يرتكب هذه الجريمة. وليعلم الجميع ان القبائل كلها سواسية ولا أريد أن أفضل احداهما على أخرى لاني لا أحب التنازع والتنافس.

وأريد أن الفت أنظاركم الي أمر مهم: الا وهو مسألة التعليم، فلا تنسوا أن رقي بلادنا

يتوقف على نشر المعارف في جميع نواحي الحياة، لان التقدم المادي والخلقي مستحيلان مادام أولادكم محرومين من العلم والتهذيب، فسامحوني أن أجاهركم والاسف ملء فؤادي انه لايكاد يوجد بين ظهرانيكم أحد فيه مقدرة وأهلية لادارة الامور بأحسن وجه، وسأتصدى لسد هذه الثلمة بعون الله تعالى.

ولابد أن توجهوا همتكم الي اصلاح الزراعة فلا تتركوا قطعة من الارض الا ان تكون مخصبة ومغطاة بالزرع فيكون الملك مثمرا موسرا وتكونون أنتم متمتعين بالهناء والسراء، وكل هذا ميسر لمن له عزم صادق!

وأريد أن أنشئ معهدا زراعيا لتدريبكم أصول الفلاحة من استعمال الآت الحرث على الطرز الجديد لكي تقدروا على استغلال أراضيكم الخصبة، وانا أضمن لكم المساعدة الثمينة لاقتناء هذه الوسائل الحديثة، وكذلك التجارة تحتاج الي توسيع دائرتها ولهذا أريد أن أساعد أهل التجارة من بلادنا حسب الاستطاعة، وأهيئ لهم الاسباب وأنظم الواردات والصادرات بحيث يعود نفعها عليكم وعلى البلاد، وكلما قدمتم الي طلبا أو اقتراحا في شأن البلاد، فاني أنظر فيه واقضي بما يصلح الرعية، وينبغي لهذا أن تكون الطرق الي حضرموت ونواحيها مضمونة الامن لكي يتردد التجار والمسافرون من مكان الي آخر بدون تعرض ومعاكسة، وأنا أرجو من سلاطين حضرموت وسائر القبائل أن يعاونوني في هذه الجهة حتى يستتب الأمر ويسود الامن والسلام في البلاد.

وأريد أن أنشئ محاكم ومجالس عدل لتصفية القضايا على وفق القوانين الشرعية والمدنية فلا يتعدى أحد على آخر.

وليحذر العمال (الحكام) من أن يتطاولوا على الرعية، فاذا فعل أحدهم ذلك فللرعية ان يرفعوا القضية الي راسا لاخذ الحق من الظالم.

وأريد أن أشكل مجلسا مشتملا على خيرة رجالكم من ذوي الخبرة لاشاورهم ويشاركوني في الامور الادارية لنقوم باجراء الواجب نحو الرعية، والبلاد على أحسن الوجوه.

وفي الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا فيما أردنا ويهدينا الي الرشاد ويلهمنا بما فيه الخير للوطن. وله الحمد في الأول والآخر، والظاهر والباطن.

الملحق الخامس(الوثيقة السادسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقابلة السلطان صالح بن غالب القعيطي مع مدير مجلة "العرب" عبدالمنعم العدوي الصادرة من بومباي بعد فترة وجيزة من توليته الحكم والشروع في الاصلاحات

استقبلني عظمته في قصره الفخم في حيدرآباد فحياني ورحب بي وأجلسني بجواره وقال لنا مدة لم نجتمع وعند وصولنا الي بومباي سألنا عنك فأخبروني بأنك في دهلي فهنئت عظمته بسلامة الوصول وشكرت له حسن شعوره وعطفه الكبير نحوي.

وأخذنا نتحدث عن حضرموت وعن رحلة عظمته فقال – اننا اهتممنا بشؤن التعليم عندنا الي حد كبير وقد الفنا مجلسا للمعارف من نخبة من خيرة رجال العلم والفضل وحسبك ان تعلم مدى مابذلناه من جهد في هذا السبيل من الميزانية التي خصصناها للمعارف بمقارنتها بميزانية عدن فقد صرفنا عليها ٢٠٠ الف روبية وحكومة عدن تصرف ٩٦ الف روبية وهذا ولاشك خطوة جبارة من جانبنا لاستئصال شأفة الامية في البلاد وقد أسسنا ٢٠ مدرسة والتعليم جميعه مجانا ومن هذه المدارس ٣ في المكلا والباقي في الشحر والقرى – ثم نهضنا باصلاح المرافق الحيوية الأخرى في البلاد فأسسنا دور للبريد في جهات عديدة وأصدرنا مجموعة من الطوابع بمختلف الفئات تحمل صورتنا وأسسنا محطة جوية للطيران المدني وتختلف اليها الطائرات الآن من عدن وكراتشي ومن ثم أسمرا والقاهرة والمسافة من المكلا الي كراتشي ثمان ساعات والطائرة الواحدة تحمل ٢٠ راكبا وهي مريحة جدا. ولم تعد الأن هناك شكوى من قلة الاغذية ولازلنا نذكر ان بريطانيا ساعدت حضرموت ايام مجاعتها ومحنتها بأربعة ملايين روبية من الحنطة والحبوب والأن قد توفر للبلاد كل شئ وخطوط المواصلات البحرية منتظمة بيننا وبين العالم الخارجي.

واستطرد عظمته يتحدث عن بقية المرافق التي تم اصلاحها فقال وقد أسسنا مستشفى تم بناؤه أخيرا على أحدث الطرق وبه صيدلية كاملة وسيتولى معالجة المرضى وصرف الادوية لهم مجانا وقد عبدنا كثيرا من المرافق المختلفة ونشطت التجارة في عهدنا نشاطا كبيرا

يدلك على هذا ان واردات البلاد كانت فيما سبق تقدر بثمانمائة الف روبية واليوم تزيد عن مليوني روبية وذلك دون ان نعمل على زيادة الضرائب بل اننا قد نقصنا الضريبة على الوارد من الاطعمة.

وسألت عظمته عن رحلته في أسمرا وكانت قد اشارت اليها (العرب) من قبل وهل زار غيرها من الاقطار الخارجية خلال مدة الحرب فقال عظمته لم أزر سوى أسمرا بعد الحرب وقد ذهبت اليها بالطائرة من المكلا فأقلتني في أربع ساعات وقد أدهشني أن جل الحضارم فيها هم من الاغنياء وان معظم مصانع الايطاليين مرهونة عندهم ولدى بعض الوجهاء منهم مصنعا ايطاليا للزجاج مرهونا وهو ينتج يوميا نحو ثمانية ألف قارورة، وقد أثرى العرب فيها كثيرا في هذه الحرب، وزرت حيدرآباد أيضا بالطائرة قبل عام ونصف وقضينا فيها ثمانية أشهر ثم عدنا الي المكلا ونعتزم الآن الاقامة هنا لاربعة أو خمسة أشهر ومن ثم نعود الي المكلا.

فشكرت عظمته على هذا الحديث القيم ثم استأذنته فشيعني بكل حفاوة بعد أن أهدى صورته الكريمة للعرب وبهذه المناسبة نذكر ان عظمة السلطان يتمتع بجانب كبير من رعاية حكومة حضرة صاحب السمو العالي النظام وقد منحته لقب (سيف نواز جنك بهادر) وهو لقب جليل القدر هناك.

أما سبب اقامة عظمته في حيدرآباد فلانها الوطن الثاني للعرب الحضارمة في الهند اذ يوجد عدد كبير منهم فيها، بعضهم يعمل في وظائف الحكومة المختلفة كموظفين والبعض الاخر كجنود في الجيش الآصفي وقد عرف العرب حيدرآباد قديما منذ عهد جد سمو النظام العالي الحالي ولهم فيها الان اقطاعات وأراضي وعقارات وانهم وان كان عربا فهم يعدون من صميم أبناء البلاد ومن أخلص الجاليات للعرش الآصفي ويحتل بعضهم وظائف عالية يشار اليها بالبنان وفيهم عدد ليس بالقليل يحمل شهادات عالية لها قيمتها. وللشخصيات الكبيرة منهم احترام خاص في نفوس رجال البلاد.

الملحق السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة من قصائد الأمير حسين بن عبدالله القعيطي رداً على قصيدة من " فرزدق العصر" وهو شاعر مجهول أو مجموعة من الشعراء الحضارمة القاطنين في حيدرآباد ومقتنين هذا اللقب آنذاك مثل السيد أبوبكر بن شهاب ، صلاح أحمد الأحمدي وقيل حسين بن عبدالله القعيطي أيضاً!– ويشاركهم من حضرموت ، السيد حسين بن حامد المحضار .

" يا الله ياغفار زلاتي إذا العمر إنصــــــــرم
وأمسيت في دار البقاء ثاوي على دفن إرتكم

نائي عن الأوطان والخلان وأهلي والخــــــدم
عســــى عمل صالح ينجينا من أهوال النقم

راجى عظيم العفو يمحى ما في اللوح أرتقــم
إذا ضويته طيف يشـــــــملنا بعفوه والكرم

قال الفتى بو سيف لي هاجس على القافي عزم
مثل الهميم المفرع الشـــــيال والبحر الخضم

أنا الصليب المقصم المســـــنون حده مثلم
حتف الضلوع مبرعم القلـــــه وهاتر كل صم

والله لولا العارض المصعق على غفلة دهــــم
لو هو على " قمران " با يصبح وجوده كالعدم

إن كان ماعولت ما با أقول ذا ســــــعره بكم
ولو علمت الروح يردع لـــــم يقضى به عزم

لاكن فوت الكل مشكل خير يا روحي ســـلم
ليوم تحضــــــر تلحق مثل ما فات أو ألمــم

ما أظن أنا بأروح لحمة فأس ما بين القســم

لاعذر بعد العصر ما يبدى من المولى نجـم

نقصى على رؤوس القبيلة و الجهة في الناس عم

يفرح به إلاّ الخصم أنا الأمرق من حيد النشم

يافع بني مالك رماة " الشـــامية" حل الصدم

ياخير والله رهط يلحق والقدم فوق القـــدم

لتعكت الســـمحاء شوفى رأس منفوح الخطم

ما يهمرون الخصم ســاعة حل قطاب الرمـم

يا يافع الثقلين من موشـــــوركم بالعهد زم

على مقام المجــد والعزة و توفات الكلـــم

من لا صدق معكـــم عليها فقطعو منه الوذم

لا فيكم المشـــــرك ولا حد منكم يعبد صنم

هذا كلام الصدق والنحوه لشـــخار الجرم

شاغلكم ألقى صوب غامض ما يداويه " الملم" (ماء اللحم)

والعين تدمع دمعاً هطال فسحاب انســـجم

ضيوم بي متواترت لقســــام من هم و غم

عســـى غياثه تدرك المنضاق ياربي أرحم

لا تهتك الأســـتار ياجبار يامولى النعم

تجعل ليافع سعد من جدواك ياأحسن من حكم

وأنا على بابك طرحت الرجل جد يا أبا الكرم

مالى سوى جودك قطعت اليوس من جميع الأمم

الخيبة المخلـــوق من يقصـــد خلافك قد ظلم

نفســـــه على الأبواب يدرج للربابي والكزم

وبعد ذا جاء خط حل الروح بالليل إصطـــدم

من الفرزدق شـــاعر أهل العصر بأبياته نظم

بيتت علـــى المصباح أطالعها وما فيهـا إفتهـم

وفرحت منه يومـه أوعـــد بايترك كـــل ذم

والذم مســـتقبح من العقال وأرباب الشـــيم

والوعد على الأحرار دين أرجوه يوفى ما زعم

والظاهـــر أنه جيد والأجواد يوفون الذمـــم

وإن خالفوا لكذبوا في مجال أهل اللمم

وعند رب العـــرش لي نصــــه في أيات الختم

والعفو شرحي طال جنبنا الملامة والتهم

وأصفح عن الغلطة و براحى على شـوك الســلم

لو أنا معي بك معرفة باجيك ساعى في الظلم

عا (على) الرأس يا أمشى يا أطلب استعفاك ماهو بالقلم

من فضلك أرفق بي ولا تبدل على الصحة سقم

تمت وصلّى الله على أحمد عدد ما قهـرى نغـــم ."

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه قصيدة الشيخ صلاح أحمد الأحمدي (لحمدي) القعيطي التي سبقت الإشارة إليها ، والتي كان بعث بها من مهجره حيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م عندما قاما سلطاني حضرموت – القعيطي والكثيري بتوقيع معـــــاهدة إســـــــتشارة ADVISORY (TREATY) مع الحكومة البريطانية على نمط إتفاقيات مماثلة مع غالبية حكام الهند والملايو . وتلى هذه القصيدة الرد من شاعر مجهول – لعله كان بإيعاز من المستشار المقيم البريطاني للسلطانين ، " المستر هارولد انجرامس" – والذي يحوى مشاعر معارضة لآراء الشيخ صلاح أحمد كما يعبر عن إتجاه فكري آخر ، وتلى هذه القصيدة إجابة الشيخ صلاح على الرد . ولقد شملنا هذه القصائد لما لها من أهمية سياسية وإجتماعية معاصرة لأحداث تلك الفترة ، إضافة إلى روعتها الشعرية ونسبة قيمتها التنبؤية وبهدف الإحتفاظ بها ، ولأنها تبين لنا متانة الصلات المتواصلة بين المهاجرين من الحضارمة أينما ثقفوا و التطورات والأحداث في وطنهم . وقد يلاحظ القارئ في قصيدتي الشيخ صلاح ضروب من بعض الأفكار المتبنية من قبل حركة الإرشاد الإصلاحية والتي كانت منذ العقدين السابقين لهذه القصائد في صراع عنيف مع الرابطة العلوية في مهاجر الحضارم في الشرق الأقصى ، وذلك حول أمر إزالة العديد من الخرافات غير المحمودة ، التي تمس بمنزلة وإمتيازات العلويين في المجتمع الحضرمي ، والتي أعتبرها الإرشاديون معارضة لتعاليم الإسلام وقيمها وسلوكياتها وحجر أثره في طريق النمو والترقي ، والجدير بالتنوين هنا أن السلطان الكثيري (الذي كان يعتمد كثيراً على دعم العلويين الأدبي وقوتهم المادية في ممارسة حكمه) و إلى نسبة أدنى السلطان القعيطي (نظراً لقلة إعتماده عليهم نسبياً وبالخصوص من حيث المادة) كانا في الغالب في تأييد العلويين تقديراً لحال تركيب المجتمع في حضرموت آنذاك ونفوذهم الروحي علي العامة ، وهذا في الوقت الذي كان تستمد فيه حركة الإرشاد دعمها من صفوف أبناء القبائل من المهاجرين الذين إستطاعوا على مشاهدة العالم خارج حضرموت وكسبوا شيئاً من الثقافة والمعرفة .

" إبديت بك وأدعوك ياجيد وغيرك ما يجـــــــود

ياحي ياقيـــوم يامطلق من الســـــاق القيود

أســــــــالك غفرانك إذا بيتُّ وحدى في اللحود

قال القعيطي طــــول ليلى ما تهنيت الرقـــــود

لاهم من دنيا ولا بي ولف (عشق) منســـوع الجعود

شـــيبة في التســـعين متوجه إلى دار الخلود

عسى يقع مسكنى في الجنة وعا (على) (أ) لحوض الورود

ولا عليى قاصر من "السركار" (الحكومة) يعطينا نقود

عامد في "الدكن " بلد عثمان ســـلطان الهنود

سلطان بن سلطان بن سلطان عالعزة (على الأعزاء) يجود

ولكنني تاثرت من خفض الشـــــرف بعد الصعود

أخبار بلغت ما تســـــــر القلب من أرض النجـــود

راحت جهة "لحقاف"(الأحقاف) لحمة فأس سرحت بالبرود

راحت مع " الصاحب" (البريطاني) بلا قيمة ولاسلم نقود

رباتقع فيها الكنائــــــــس و" البراكس " (ثكنات) للجنود

آه علي الأوطـــــــــان يا غبنـــي على مثوى الجدود

كم صحت كم ناديت وقد بينت به قبل الوجــــــــــود

ولاكنني معذور واحد عـــود ما منـــى وقـــود

أين " الدول" (أفراد الأسر الحاكمة) أين آل عبدالله وهمدان * (آل كثير) الأسود

وين (وأين) بن صالح محمد و أين بن سالم عبود

أين القعيطي أين يافع * اللّى تطـــــــــرح في الريود

ذي (اللذين) يرعضون السيل غضباً يطلعونه في السنود

اللّى لهم عادات بالجودات من عاد وثمـــــــــود

وين التميمي * و المناهيل * وين بن آل عبدالــــــودود

أين الشـــــــناقر* أين نهد * اللّى يزرون الشدود

أين الجعيدي * أين كنده * اللّى تعزوى بن كنــــــود

والعويثاني * هو وياسيبان * شــــــرحان الحدود

وأين باصرة وربعه (جماعته) من الخامعة * وأين شيخه بوعمود (الشيخ العمودي)

أين الذين قالوا حميناها بأسرار الجدود (العلويين الذين يدعون بالروحية)

هم حضروا البيعة (الصفقة) وهم كانوا على البيعة شهود

ويا يعادون (يجعلون) المدارس والمساجد والسـجود

والخمر في الأسـواق باتبســـط به أولاد اليهود

ويا تبرزن الحسرات في الأسـواق حلوات الخدود

لا ياهوينـي من حياة الـذل ياحـرق الكبـود

قده أحسن المسراح (الذهاب) والمسكن يقع بأرض الزيود (اليمن)

وإلاّ إلى مكة ونترعوى لفيصـل بن ســـعود

إين الأمام العادل المنصف على رغم الحســود

ونجاور الكعبة ونزور المصطفى فخـر الوجـود

عليه صلّى الله دائم عد(عدد) جنـــات الرعود. "

* = قبيلة أو مجموعة قبائل حضرمية وصاحبات شكيمة وبأس .

الملحق الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الرد على الشيخ صلاح أحمد من شاعر معارض

(ملحوظة : إنه كان يعتقد من قبل جلة المعاصرين لحدث إصدار هذه القصيدة ومن أسلوب صياغتها بأنها منظومة من قبل المؤرخ والأديب والشاعر العلوي المعروف السيد محمد إبن هاشم، مؤلف الكتاب القيم " تاريخ الدولة الكثيرية " الجزء الأول ، علماً بأن وافته المنية قبل إكمال الجزء الثاني).

" أبديت بـــــــك يا اللّه ياجزل العطايا ياودود

يافاتح الأبواب يا وهاب تشـــملنا بجـــــود

أغفر خطانا وأســـــتر الذلة وبلغنا القصود

وألفين صلّـى الله على هادي الـــورى نور الوجــود

ثم قال من بيت يدير الفكر ما جاءه الرقـــــود

جاء ته قصيدة زعلـــت بــه مثـــل منظوم العقود

بن لحمدى (الأحمدى) شيخ القبيلة ذي (الذي) عامد (جالس) بأرض الهنود

يهرج (يتكلم) على يافع وعا (على) همدان وعلى الشيبة عبود

مشتق (متأثر) من السيل الذي عم التهائم والنجود

رحمت بهـــا وادي العجل يرقص وينعـــــش بالبرود

كثرت بها الأفراح ارتاحن حســـينات الخدود

ولّى (ذهب) العناء زال البلاء والحق قائـم عا (على)(أ) لعود

دانت وزانت الأرض من نجـــران لما قبرهود

أمان ضافي يمســـى (يمشـــى) الراكب لوحده بالنقود

من بعد ما كانت مخافة على الجور البدود

الظلم عم والشر جم (كثير) ولاعاد حد (ولا أحد) يوفي الوعود

قسدت قبائلها وخانوا واستهانوا بالعهود

كم مربى يســـعى على عيالـــه وفي الدنيـــا برود

يتموا عياله وأرملوا حرمته (زوجته) وأمسى في اللحود

أحوال شـــنعة منكرة غبراء تقشـــعر بالجلـــود

حتى حيالك قد شفوا الإبليس جنات الكبود

هو من نفـــع وإلا رقـع بل زادوا الفتنـــة وقـــود

والمقبل المسنى بايقع لسيام من الأهمال سود

وســـن بايقع لو عـــود في وادي بن راشـــد صك عـــود

من بايرد السيل شئ دولة قوية باتذود

وإن شـــئ غضب ما بايخص بل باتقـــع صيحـــة ثمود

ماأظن بك ياشيخ يافع ذي (هذه) البلادة والجمود

تكره لنا التأمين والإنصـــاف ذي غاض الحســود

يحيى "إنجرامس"(المستشار البريطاني) ذي(الذي) جبال الأرض من خوفه تنود

بالهيبـــة أصلحهـــا بلا صولة ولاعســـكر يقود

قيد ذيابتها ويايحكم بتقييد الفهود

أحيى الشـــريعة وإنتصر للحق والشـــر لـه يذود

والكاف بوسقاف (العلوي الثري) ذي(الذي) جاب الجميلة له يسود

كاتب وخاطب وأمســـت الفتنة بســـعيه في خمود

لاتجحدون الفضل وأهله خس لوصاف (الأوصاف) لجحود(الجحود)

والســـيل جارف في أوروبا شـــفه رابط بالحيود

وإن ما وقع ذا (هذا) بايقع ذا (هذاك) لا تزاحمون الوفود

وذي(الذي) عرفته (بريطانيا) خير من مولى الحبش (أيطاليا) له ما يعود

وما ذكرته يا رفيقي في حكومة بن سعود

دعوى إذا هي صدق باترغم بهـــا أنف الحســـود

وأسال ثقاة أم القرى عنها و ذي (الذي) جلوز زود

والعدل ما يكـــره (أ) حد يا بوعمـــر إلا اليهـــود

وأطنبت في عثمان وأثنيته وزليت الحدود

هل شـــئ معه قوة ترد الماء إذا عمد ســـنود

وذكرت في يافع ومذحج هم وهمدان الأسود

قولك سوى (سليم) لكن مضى ذى(الذي) قلت في زام (عصر) الجدود

ولّت رزوم العش ماخلفت سوى دغشة كنود

قامات زينة كأنها إلا قـــمل في جلـــد القعـــود

ماحد (أحد) ركض في منتره فترة ربيوا على بيع القرود

خمســين عام اليوم مرت عا(على) (أ) لوثيقة والشـــهود

قد تكن الشيبة عوض (السلطان عوض القعيطي) ذى (الذى) هو على العزة يزود

هذا جوابك في القوافي ياصـــلاح أحمـــد شـــرود

وإن زدت زدنا وإن رجعته باتناقش بانعود

والختم للهادي ســـلامي في قيامي والقعـــود

عسى بجاهه يسعد المولى بجنات الخلود."

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة الشيخ صلاح أحمد رداً على معارضه

"سبحان بارينا تســـبحه الخلايق والرعود
الله جل الله قهار الشـــــياطين المرود
ذا فصل ياحياً ويا سهلا عدد ما في الوجود
بأبيات من شاعر محجب صقر في رؤوس الحيود
بلغت إلينا ما عرفنا من محب أو من حســـود
يقول على يافع وهمدان القواســـم والعمود
قم يا رسول الخط من حيدرآباد أرض السعود
أرض الرخاء والعدل والرحمة وتحصيل النقود
من خيرها كلاً ملئ كيســـه ورحلوا للنجود
وتسلطنوا وألقوا (أسسوا) حكومة (القعيطي والكثيري) حلم طارى في الرقود
أرضوا خطمها حوّلوها أهل الطمـــاعة والوعود
هذا سن" الدكن" وهذا جودها يا خير جود
هذا كلام الصدق با يشهد به الخصم اللدود
هيهات من باينتقد عثمان وإلاّ بن سـعود
إلّى عمد مكة وأقام العدل فيها والحـــدود
ياناظم الأبيات ذى سيفك موقر في الغمود
روّد (تمهل) شوية عالهجن (على الهجن) لا تغلب وتبرك في المقود
أنكرت تنبيهى على همدان والشيبة عبود
رع المجورة لا تختنق خاف للإشارة ردود
صبت الغرض في البعض وأما البعض جاوزت الحدود
كله كلامك في القبائل صدق مامنه جحود

ذلت شجاعتهم وتذقوا بالميازر (بنادق) والفرود (طبنجات)
وغيرهم وقعوا كما هم في الجهالة والجمود
بلوى مع دعوى بلا حجة ولا فيها شـــــهود
ولا عاد حاجة خلّ بقعا ســـترة يا بن حمود
والعدل ما يشناه (يكرهه) عاقل كذب له ما يعود
وذى(الذي) ذكرته في عيالي صوّب ما جابه كمود
ما أنكرك في بعض ولا صادقك في بعض المـــدود
هبت على الأحقاف نفلة باتييـــــس كل عود
والبخص عا (على)(أ) لنجاد والشـــيبان ذي فيها قعود
مانا (أمّا أنا) في التسعين عا(على)(أ) لعكاز وعيوني صهود
والضيف ذي (الذي)جاكم مقايس (يحسب) شئ في العرقة صبود
ماشى متن وأوراك ذلاّ (هذه إلاّ) عظام غبراء في جلود
كلّه وطنكم شـــبر ســـبخة هاملة بين الحيود
قوت أهلها صفرا وخوريه وقد تمس هبود
ولا حب في المدفن ولا في الكيس خمسـية نقود
أما الشريعة يا رفيقى بتوارى في اللحود
والشـــــــباب با يفلت ويايفلتن حلوات الخدود
ويايقع تقبيل في الغرة وتجميش النهود
وهذا الحدث لأكبر وعند"البادرى" (PADRE) فسخ العقود
ومن حفر حفرة لغيره في وسطها بايعود
وتقول في شعرك وفي نظمك صلاح أحمد شـــــرود
غلطت في نظمك جبل سيبان ماهو بالرفود
والله عالم من طوى فرشـــــه ويكـــر بالبرود
ما لو معى في الرأى قبضة كان (كنت) سديت العدود
لكن من الأهمال ســاد الشــعل وأبعدن الأســود
من ترك نشوته همل للنحيب أمسى بقيود

والســـــيد اللّى ما لــــه موازع با يطير بالريود

هيهات قله (قل له) كان بالحارث يشبه بالأسود

ومن العجيب أن قلت بن طالب يشـــــابه باريود

لو عاد بو غالب (السلطان عوض القعيطي) بقى ما بايزلين الأسود

يومه إذا قد قال نودي بالشــــــــوامخ باتنود

ولكان بوسقاف (السيد الكاف) بحره ما يتبلده البلود

وإن حد (أحد) بغى (يريد) له رز داره ما تفارقها الوفود

من قام في حجة يصيب الأمر غصباً بالجهود

والله أعلم بالسراير (الأســرار) والضماير والقصود

ما ظنها إلاّ جاء ت حذفت شقف من لندن نقود

"هتلر" و "موســوليني" ألجوهم لتحصين الحدود

والأمر نافذ قده ذلاّ (هذا إلاّ) زاد رزحه عا (على)(أ) لريود

عاد (لازال)الأمل في اللّه ياشاعر و صالح (السلطان القعيطي) في الوجود

أيضاً لاتنسى على (الأمير على بن صلاح القعيطي) ويفضله العالم شهود

ليت المناورة يصــلح الهفوات في اليوم العنود

له دهن ثاقب يخرج المحرج من وقت الورود

هو ويا على منصور(السلطان الكثيري) في المجرى وفي المعنى ندود

خو(أخو) جعفر (بن منصور سلطان كثيري) المعروف بالحكم يفككها عقود

وأنشد على المحضار حامد (الوزير القعيطي) قل له المجلــس يعود

بيني وبينه عهد والأجواد توفي بالعهود

وإن بايعاشينا وله شئ مصلحة ما أنا حســـــــود

عسى بها تغفر ذنوبه اللّى إنكتبت في الرصود

والختم صلّى الله على الشـــــافع لنا يوم الورود

صلاة على المختار دايم في ركوعي والسجود ."

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة التهني بحلول جلوس الولادة المباركة لسمو السلطان المعظم آصفجاه نظام الملك النواب مير عثمان عليخان بهادر (سنة ١٩٢٤م) خلدالله ملكه وسلطنته

(مقدمها الشريف زيد بن مساعد آل زيد)

"حل الســرور على الاقطار يبتسـم ... وطالع الســـــعد للاحلال مُبتسمي

واسـفرت دكّـن البيضـاء رافلـة ... في حلـة المجـد والاقبال والحشـمي

حيـدر آبـاد حماكِ اللّـهُ فانتهضي ... وفاخري واكتســـي الاثواب والنعمي

لـذي الجلوس الذي كل النفوس له ... شـــوقاً تحـن وفي عـلانـه خـدمي

لســـان حـالهـم منطوقـة فـاهنـاء ... ودم بفضل من الوهاب ذو القســـمي

هـــذا المـليـك تشـــدو مـآثـرهُ ... وكللت جوهر في عســـجد الكرمي

لازال يســـعى الـى اعـلاء مملكـة ... قد اصبحت بهجة للشـــرق بالقدمي

عـــزُ البـلاد وحـاميهـا ومنقذهـا ... بكـل حـال مـن الاحـوال لـم يمني

قـد شـــاع فعلـهُ الميـرور والعـزُ ... واصبح الشـــهم مأوى العرب والعجم

حتى الى القدس قـد فاضت سـوانحه ... بالجود يســـمو وللخيرات يـقتحمي

لازلت تســمو الى العلياء من ملك ... حــاز المفاخـر والاخلاق والشـــيمي

مــؤيداً مــن آلــه العـرش ينصـُرك ... وعـش عـزيزاً قـريـر العين محترمي

قد اشرق النور من محسوب بالشممي ... وارضـى ولادتـه منصــور في القدمي

نظـام الملك آصـفجـاه لك يـدعى ... ودم ويـعـز واقـبـال بـه الـعظمـي

فـاق البريـة مشـــهوراً بذي همم ... عـثمـان دكّـن واحكـم رافع العلمي

تبــارك اللّـهُ فاهـناء بالعطـاء وقم ... مقدم الشـــكر للخلاق ذي النعمي

مولاي واحـرس بلطف ذات شـوكته ... وكن معيناً لـــه واحفظه مـن عدمي

ودولتــه أيدت بالـعــدل قـائـمـة ... وعدت توجت من نســل ذي العظمي

بجاه خير عباد الله كلهم | وآله العز اهل الحل والحرم
وصحبه معهم الانصار تتبعهم | ومن تبعهم باحسان وبالحكمي
يارب صلي وسلم كلما طَلعت | شمسٌ تضيء على الافاق والاممي
على الحبيب الذي لولاه ماخلقت | هذي البسيطة والافلاك فافتهمي
زيدُ يهنيء بسال رافعاً درراً | منقوشة رُصعت في اللوح بالقلمي
حفيد امراء مكة المعظمة آل زيد | الشريف زيد ابن الشريف مساعد."

الملحق الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة

(مقدمها الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحيم المدني ، خادم الحرم النبوي الشريف)

"لم الق بدراً في الفخار يزهرُ | إلا أمير المؤمنين النير
الملك عثمان السمى ومن غدا | بعطائه وجه البسيطة يغمر
من سال للحرمين مسبل جوده | وغدت له الانام طرا تشكر
(**)(******)(*****)(*)(*****) | (****)(*****)(*)(**)(**)(****)
بابن الذين تسمو أوج العلا | والمجد في روض السيادة أخضر
وسليل بيت المُلك والملك الذي | حاز المعالي والفخار الاكبر
لك في نفوس العالمين مودة | في طاعة غرست ببرك تثمر
ياخير من أولى الجميل ومن سماء | فوق السماك بعزة لاتتكبر
وأعز من بلوى العامة في تقى | لله يسجد في الدجى ويكبر
حييت من مولى تواضع في علا | لله لا يعتو ولا يتكبر
عف كريم طاهر لم يصبه | إلاّ التقى وفعال بر تذكر
لا زال بابك كعبة يأتي لها | جار الهدى وبكل فضل يصدر
واللهّ يوليك انتصاراً باهراً | بالعز ما طلع الصباح الأشقر."

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جلالة ملك الملوك وسلطان كل السلاطين كهف الاسلام والمسلمين
سلطان العلوم والمعارف النواب مير عثمان علي خان بهادر آصف جاه سابع
ملك حيدر آباد وبرار ، خلد اللهّ ملكه وسلطنته إلى يوم الدين
(مقدمها السيد جمال الملاح ، استاذ الادبيات العربية ورئيس جمعية
الايتمام في طرابلس ، الشام ، لبنان) .

"رفعت الى حيدر اباد سلاماً   احيي به تاج الملوك نظاما
واهديه من غر القوافي جواهراً   حساناً تسر الناظرين كراما
يقصر عن امثالها باع غيره   ولو انه استجدى القريحة عاما
يعود ولم تظفر يداه بطائل   وقد بعُدت عنهُ السماءُ مراما
كسين من الشمس المنيرة حسنها   ومن انجم الجوزاء خرن نظاما
ومن آدب الاخلاق ثوبا مفصلاً   به اقبلت في حسنها تتساما
وقدمتها اسنى هدية شاعر   يؤدى لسلطان العلوم سلاما
أُهنئه فيها بفضّىّ عيده   مُديراً من الفصحى عليه مداما
يطوف بها الساقي عليه بكأسه   ويسقي احباءً له وندامى
ولمااستطاب الكأس سلُطان عصره   حباني على ماقلت فيه وساما
واقبل يسقيني الندى من مقره   وينبوعه جاما شربت فجاما
ولما تمشت خمرة الجود في دمي   واصبحت سكراً لا اطيق كلاما
هتفت (عظيم الهند) لازلت سالما   تفيض علينا من يديك سلاما
بدولتك العظمى وانت مؤيد   وجيشك منصور اللواء دواما
وظلت ملوك الهند من حيث تلتقي   لديك وقوفاً للسلام قياما
ولازلت للدين الحنيفي ناصرا   ظهيراً لكل المسلمين اماما
تناصره في كل شرق ومغرب   وترعى لاهل العلم فيه مقاما

نؤسس من جدوى يديك مدارسا   تهذب اطفالاً بها ويتامى
فقد شتت الجهل المفرُ وشملنا   وفل من الدين الحنيف حُساما
اباح حصون المسلمين وعزهُم   وخيم من فوق الرؤس ظلاما
ولم يبق للاسلام غيرك مسعفاً   كفيلاً بنصر المسلمين هماما
لقد عز ضيف مر بالهند سائحا   فزارك في حيدر آباد لماما
وجئت الى حيدر آباد مؤملا   من اللهّ فيكم ان انال مراما
فادعو لسلطان العلوم وأُسرتي   دعاءً على مر العصور لزاما
وايد رب العرش في الهند عرشكم   وصان نظاماً حيث حل وقاما
وكافا بالحسنى للتي تفعلونها   ايادي منكم لاتعد جساما
بها نصب التاريخ في ساحة العلى   لجودك تمثال الندى واقاما
وخلد في اسمى صحائفه اسمكم   يصون لكم عهداً به وذماما
فاصبح سلطان العلوم بفضله   على الناس اسمى العالمين مقاما
بنور رسول الله عوذت عرشكم   وعوذت باللهّ الحفيظ نظاما
بجاه علي والشهيدين عنده   وسائر من صلى وحج وصاما
جعلت عنايات الرسول وسيلة   لحسن عنايات المليك ختاما ."

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة

في ملك الكلام وسلطانه دليل العلم وبرهانه أمير المؤمنين وظل كرم رب العالمين سلطان العلوم ورافعها إلى النجوم ... سلطان حيدر آباد الدكن ومصدر العلم والحلم والعدل والكرم لازال علم اقباله راقياً ورأس عدوه بين يديه هاوياً

(مقدمها الاستاذ/ مقصود علي ، مدرس اللغة العربية بـ"عثمانية كالج" ، أورنك آباد)

ادعو له ولابنه وحفيـــــده — حيوا الى يوم القيام شـــبابا

وهلال اوج تحت لامع نيـــر — وســـراج رابعة تنير تـــرابـا

لسليل اعظم جاه والى عهـــده — قر العيون اعزة وجنابـــا

ملك اللســـان وكل من يتلســـن — ككليمه ملك الزمان رقابـــا

ومحـــول عـــن المجـــاز حقيقة — القى عليهـــا الدهـــر منه حجابـــا

حـــذق وماهـــر يطب جروحهـــا — من صارم شافي الغليل شـــرابا

ان الملـــوك اذا ارادو قـــريـــة — جعلوا قحوف رؤوســـها اعقابـا

وأيضاً

"نزل السما في موكب الغمائم   بالقصب والعمران في المعالم
وقضارة الرياض والحدائق   وتقلب البيداء في الخضارم
تحكي بها ويدر هادر وزمن   تلك الندى في بحره كعائم
وتقتدي بفعاله فتختدى   سهطلاً من راحة المواسم
قامت بما على الوصيف لازم   من واجب البواب والملازم
فبكرت بوطابها لملئها   باب الامير غدوة الغنائم
فتظلل الافاق وفق صنعه   وتعم كل قاعة الاقالم
واوطلت وظيفة لنفسها   بحملها سجية الكرائم
للهّ ياسجية ورحمة   احسنتما في قسمة المقاسم
دام السماء ودامت المواكب   في ظله الظليل ظل دائم
لاتقتبل في مدحه بعارض   شقان بين عارض ودائم
اخذت بنا ندامة بذكره   فبحري الرحاض من حيا ونادم
انا عارض عن عارض بعارض   الى فيوض تنتمي بقائم
فغمامة سليلة من المياه   تقهقرت غطمطم القلاذم
فبحره ومده وذخره   متلاطم الامواج بالنعائم
بل باحر متبحر وفوقه   بحر العلوم جهضم الاساطم
وضيعة بقدومه تهللت   من زهرة الانوار بالمباسم
ومنهل من ابحر المعارف   ممدد من منبع المعالم
وحضارة تحاسدت بداوة   قامت له حفاوة كناظم
اهلاً وسهلاً يانزيل منزل   جر القيام قدمت خير قادم
ظل الاله منزل كذاته   وسماته عن ازمن غواشم
هو آية من آية لكونه   اشهد به صناعة لعالم

رسم الفنون بخبرة وسلطة   حازت رسوم العلم والمراسم
الا تراه على البسيط حاويا   بادارة العلوم والتراجم
ووسامة فيطت به باسم   سلطان العلوم سيمة اقماقم
هو مير عثمان على لحجه   وصحيحة لهائم وحائم
ومينارة لبصيرة ويصرها   فتريك منها شرعة العزائم
تتادب الآداب في بيوته   فتعلم الاخلاق من مكارم
يارب كن لحياته محافظا   كما حفظت به حياة نائم
ايا حياة عالم تنسمى   ابدا فانت زهرة الاناسم
وظفرت بالمقصود في العظائم   مادامت الملوان في الهماهم."

بسم الله الرحمن الرحيم

هنيئاً لمليكنا السلطان الاعظم والخاقان الاكرم ناشر لواء العدل على البلاد
والينا نظام الملك سلطان العلوم امير المؤمنين عثمان عليخان خلد الله ملكه وسلطنته
(مقدمها الاستاذ القاضي عبدالصمد صارم سيوهاروي)

"ذا اليوم افضل ايام الزمان لنا   بسر الدهر من البسراء والامم
فالجو من دكّن قد صار مزدهراً   ومزنه باللالى اليوم منجم
وكيف لا ولملك واهب سهم   اقيم مختفل باساهدت امم
الارض مخضرة من غيب قامله   والبحر من سيل ما اعطاه ملتطم
وهو للذي من بين الملوك يداً   وهو للذي سابق من بينهم علم
يخشى الورى بأسه يرجو مكارمه   محبة في قلوب الناس مختتم
يارب فاجعل له الايام زاهرة   ودام سلطانه مالا لا الاكم
والنشر له حكمه في كل ناحيه   دان البلاد له والعرب والعجم ."

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة

مقدمها الاستاذ الحاج أحمد نخوى (سنة ١٣٥٥هـ)

"روض المقالة انما تزدان   بزهور حمد من هو المنان
كم نعمة جامنهُ مع عصياننا   العد يقصُر عنهُ والميزان
النعمة العظمى رسول رحمةً   للعالمين وارثه القرآن
صلىً عليه بقدر عظمة ذاته   من علم القرآن ذا الفُرقانُ
والنعمةُ العليا على هذا الزمن   ابداعُ من اسماهُ اسم "خان"
او جنتان وفيهما عينان جا   ريتان يمنىَ منهما عثمان
يسرى على بل كل عين منهما   رمز الى العينين يايقظان
هذي بدايات لاسما اربعه   وهمو عتيق عمر علي عثمان
وهلم جراً فهى اربع اعيُن   للذبدت من نوره الاكوان
ذا السر يبدي ان هذا مجمع   لخصال كل ذا له عنوان
قد فاز بالعينين في عرب عجم   فثناؤهم ودعاؤهم غنيان
لما اتى العينان في العالمين من   ذاك اسمه قد زانه الاعيان
بخطاب سلطان العلوم يشيعها   فقديمها بجديدها يزدان
الحكم والتنسيخ ليس لغيره   في دكّن لاغيره سلطان
راعي الرعايا اين يلفى مثله   بمراحم وعواطف ملان
تدبيره في ملكه من حسنه   تتعجب الاركانُ والاقران
ارجاع "ريزد نسى" كذا استرداده   لبراره ولمثله البرهان
يستأرز ذا السلطان كلا ريما   للجحر تأرز حية ثعبان
اعلى مطامح قصده عيش الورى   بمسرة وفلاحهم وامان
من ثم صار يسيل يم عطائه   كي يستفيد بجُوده البلدان

ويهذب السـبل التي ترقى بـها نحو العُلى الابدانُ والاذهـان

ان قيل اي اعدلُ أو اشـفق حكماً وجوداً قلت لا امكـان

الا الجواب على اليقين بانـه سـلطان عثمان علي خـان

وان اشتغلت بدر نزرمن يحـا مده تعبت وكل في لسـان

فلنرفعن اكفنا لمجيـب داع خاضع اذ قالـهُ الرحمـان

فادم عوافيه وزده معاليـا تخضع لها الاملاك ياحنـان

واذل اعداه وخلد ملكـه واصلح له من هم لـه ولـدان

وكذاك اصلح من هـم الوزراء له غلب جنوداً هـم له اعـوان

هذا دعا نخوى الحقير تقبلـن فضلاً ومنـا منك يامنـان."

وأيضاً

وهجة تذكارية (١٣٥٥هـ)

"من كان مانع شـكر الناس ادناه فـليس يفعـل اعـلاه لمـولاه

من مثل عثمان في الاقطار تهـواه سـلطان دكّن والاغيـار تهواه

سلطان عقل وعلم في جلالتـه مفخم في الملا تكرار ذكـراه

الكـون ممتلىء بالجود منهُ لـذا ك البحر معترف بطلان دعـواه

ما للسـماء سوى الامطار موسمه سـلطاننا ماطرٌ دوماً لجـدواه

ما والد لبنيـه زي سـلطاننـا في شفقة ووداد في دعايـاه

لوكان لقمان موجوداً اقـر بلا ريب بقصرانه قدام عليـاه

من عدله خجلا نوشـيروان ونـى وبزرجمهر مـن تدبيره تـاه

شجاعة ملئت ارجاء مقمصـه رسـتم و زال زوالاً قد اقـراه

اسكندرٌ لدراً قد غاب عن مـلاء من نور فطنتـه من يختبن جـاه

قـد انعم الله اكراماً بدولتـه على الانام فندعو الله ابقـاه

نخوى له ابدا داع بكل عـلا وولده شـفقاً احيـان محيـاه."

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج تقييم أدبي للسلطان صالح بن غالب القعيطي
مأخوذ من تقريظ له
في المجلد الأول (صفحة رقم ٣٢) لديوان الحبيب محمد بن أحمد بن عمر الشاطري
والمؤرخ ٣ شعبان ١٣٦٦هـ والموافق ٢٢ يونيو ١٩٤٧م

" أيها الفاضل الجليل ،

قد تصفحت ديوانك فوجدت قصائده مملؤة بالمعاني الجيدة والتعبيرات الرقيقة تتفجر من عباراتها ، وتنبثق البلاغة من حسن تركيبها وترتيبها ، فقد ألبست أفكارك حلة زاهية من التعبير ، وأفرغت كلامك في قوالب ذهبية تستعطف الأذهان ، وتدخل الآذان دون إستئذان ، فتكاد أبياتك تسيل رقة وعذوبة ، لخلوها من التكلف والتصنع والإبهام والألتباس وجلاء معانيها ومطابقتها للحقيقة ، فقد جعلت ألفاظها مناسبة للمعاني –

وقد أحسنت في إستعمال الألفاظ في معانيها الموضوعة لها ، وأجتنبت الغلو في قريضك بما يخرجه عن المألوف الطبع ، ورتبت المعاني على النظام الذي يقتضيه الذوق السليم فلم تنتقل من موضوع إلى موضوع آخر إقتضابا بدون تلطف ، فسلكت طريقاً حسنا وأسلوباً واضحاً –

فأتمنى لك النجاح في عملك ، وأرجو أن يكون ديوانك موضع إعجاب الأدباء والمثقفين والسلام .

صالح بن غالب "

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب عرب حيدرآباد لجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود
عند زيارته لها بقلم سيف بن حسين القعيطي

" بسم الله وحمده والصلاة على نبيه

صاحب الجلالة خليفة الله على الحرمين الشريفين وعلى قبلة العالم الإسلامي حامل لواء الشريعة المحمدية جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز الملك المعظم لازال الله يحرسكم ويحميكم.

أنا أيها العرب بحيدراباد نحتفل بقدوم جلالتكم بغاية الإحترام والإعظام ونفتخر بترحاب جلالة الملك وأرباب السمو من الأمراء العظام آل السعود المجللين ومن حواه مقامهم السامي ونفتخر خاصةً بهذه الزيارة الملكية لحيدراباد لكوننا نعتقد أنها ليست إلا للألوف من العرب القاطنين بها منذ عدة قرون دون سائر البلدان الهندية الأخرى . وذلك ما أهاج توقد الشوق للتسابق والتنافس في قلوب الكبار والصغار منا قاطبة بأن نأهل ونرحب بكم عن صميم قلوبنا ومن أعماق خواطرنا .

وقد بقي من العرب وأبناءهم ببلدة حيدراباد وأنحائها نحو ثلاثين الف نفس – منهم من كبار السادة وقادة القبائل وشيوخها ومن سائر العرب من أهالي حضرموت خاصةً ومن البلدان العربية الأخرى عامةً . وإمتازت حيدراباد في هذا الخصوص بأن سلاطين المكلا والشحر وحضرموت سلاطين الدولة القعيطية العربية قد إتخذوها وطنا ثانٍ لهم وبها الآن أبناءهم منهم المفتخر بتقديم هذا الخطاب لجلالتكم .

والعرب بحيدراباد قد حازوا الرتب الجليلة والمناصب الرفعية وفازوا على كثير من أمثالهم بقصب السبق في ميادين العلم والعمل ومن أبناءهم مئات من فارغي التحصيل في العلوم النهائية من الإنكليزية والعربية والهندسة والقانون وغيرها ممن تخرجوا في الكليات والجامعات ونالوا الشهادات العليا مع أن أكثرهم في غاية الإحتياج والخصاصة .

ولا شك أن علائق الأخاء والترابط مؤكدة ما بين العرب والهند منذ قديم الزمان لكون العرب هم حقيقة جيران الهنود والهنود جيران العرب ولكل واحد منهم حق على الآخر ولذا فبالبلدان العربية من الهنود أضعاف الأضعاف نسبةً إلى عدد العرب في جميع أقطار الهند وأنحائها وهذه الصداقة القديمة المستمرة ما بين العرب والهند قد إزدادت تقويةً ورسوخاً بقدومكم ياصاحب الجلالة إلى الهند .

أيدك الله أيها الملك ونصر مساعيك وكبت إعاديك وأدام اللواء السعودي مرفرفا على مر الجديدين وكر الدائبين يفتخر به ويلجأ إليه كل عربي ويقتدي به كل شرقي وغربي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من عرب حيدر اباد الدكن (الهند)

لقائله ومقدمه

سيف بن حسين القعيطي –ايم – اى – ايل – ايل – بي –

إبن المرحوم السلطان حسين إبن السلطان عبدالله القعيطي

(من سلاطين الشحر والمكلا وحضرموت)

صدر مجلس الإستقبال لجلالتكم

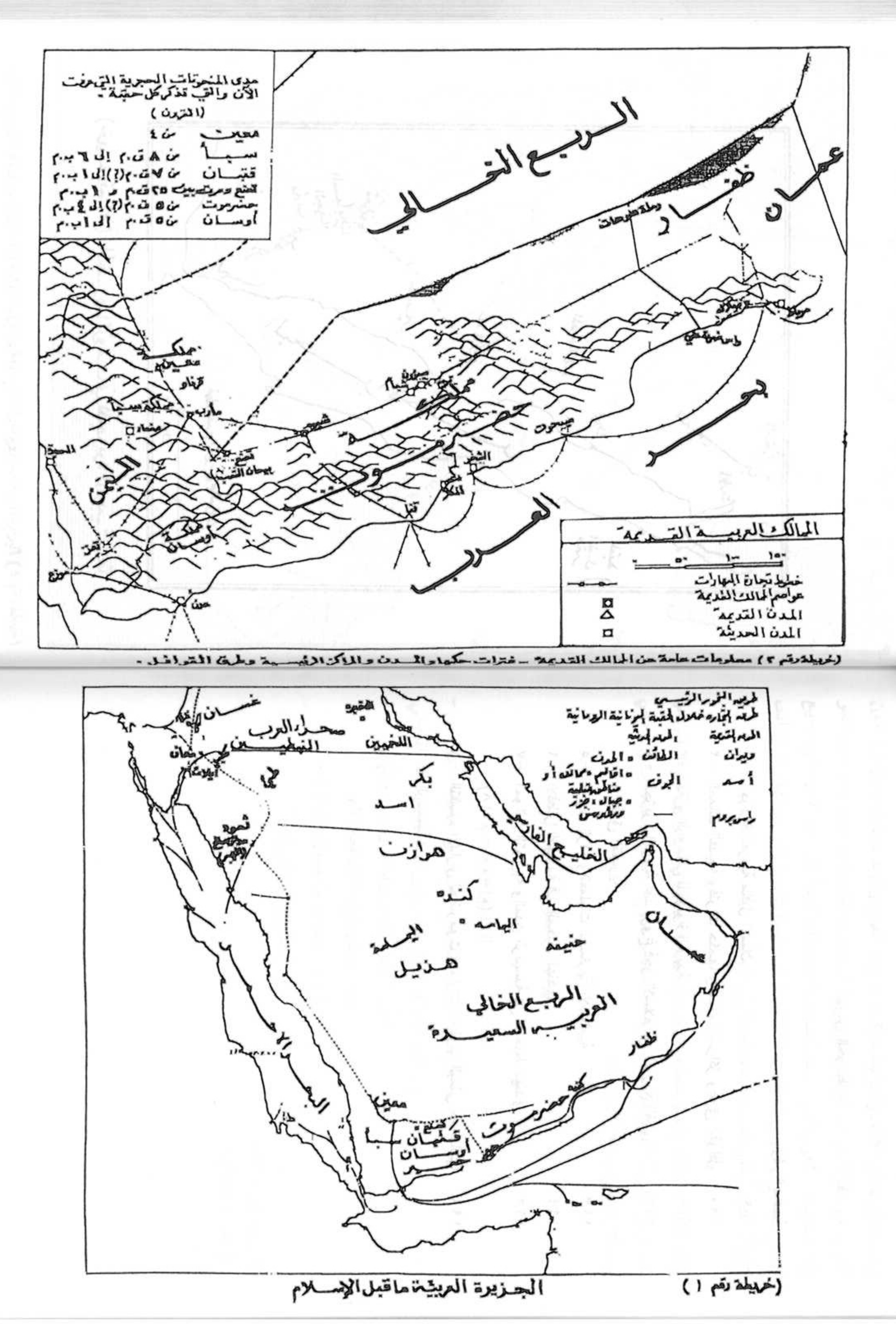
(ومن) محمد محسن بن حسن باغزال (محامي)

(سكرتير المجلس) . "

١٩ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ

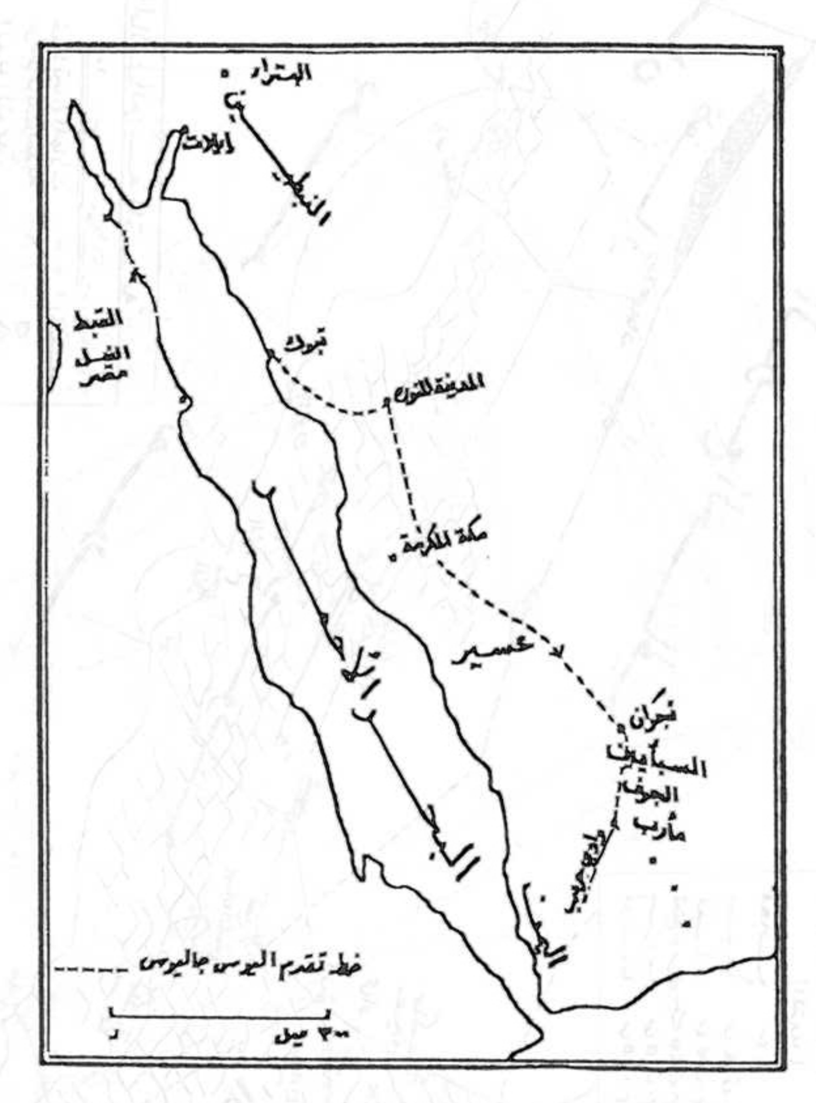
(ديسمبر ١٩٥٥م) .

فهرس الخرائط



(خريطة رقم ٢) معلومات عامة عن الممالك القديمة - فترات حكم المدن والمراكز الرئيسية وطرق القوافل.

(خريطة رقم ١) الجزيرة العربية ماقبل الإسلام



(خريطة رقم (٣) الغـزو الرومـاني للجزيرة العربيـة

(خريطة رقم ٤) الجزيرة العربية عند بزوغ فجر الاسلام . وتظهر الطرق التجارية والمناطق الصحراوية والتوزيع القبلي .

(خريطة رقم ٥) حروب الردة والعمليات العسكرية الإسلامية

(خريطة رقم ٦) الأقطار التجارية في المحيط الهندي

١٥٠٠ كم

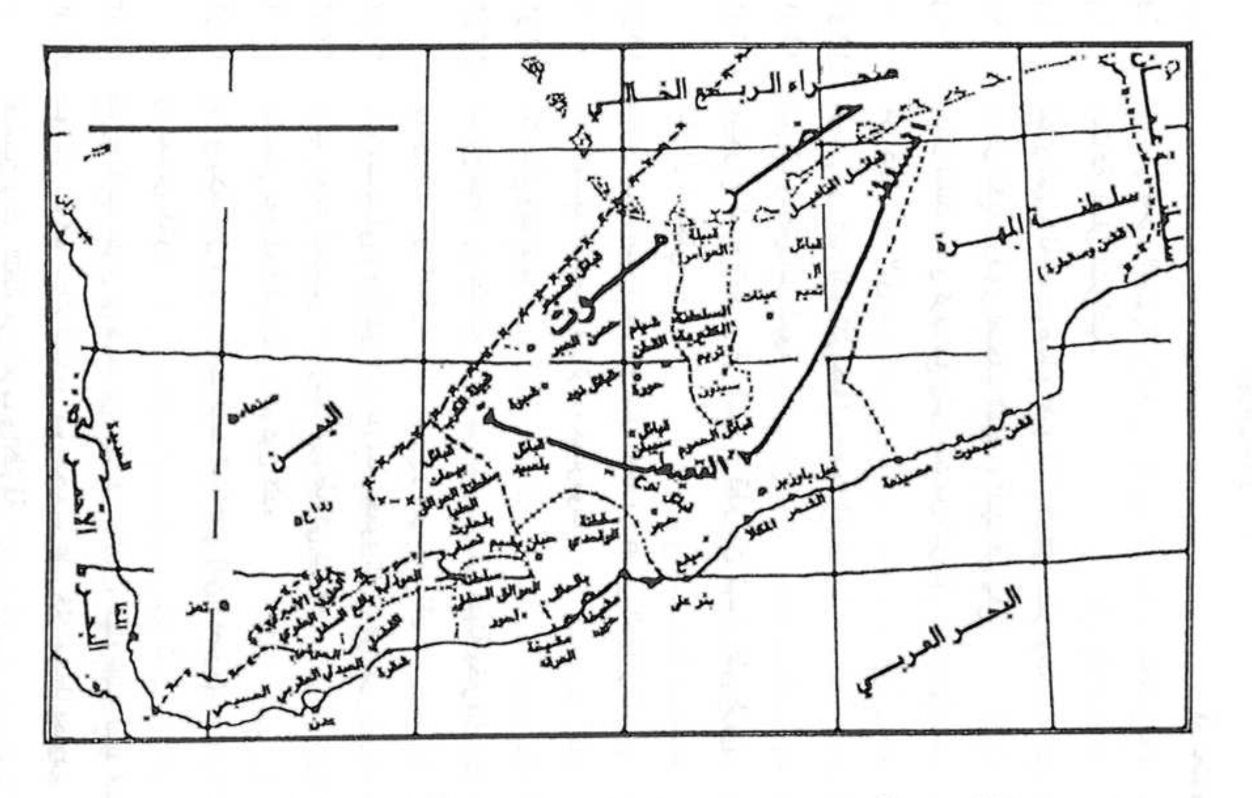
١٠٠٠ ميل

أماكن إشتهرت قبل بعد العام ١٠٠٠ بعد الميلاد

أماكن إندثرت بعد سنة ١٠٠٠ من الميلاد

أماكن أصبحت مشهورة بعد سنة ١٠٠٠ من الميلاد

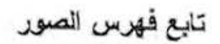
(خريطة رقم ٧) المواني التجارية والمدن في المحيط الهندي ٦١٨ - ١٥٠٠م.



(خريطة رقم ٨) التقسيم الإداري لحضرموت وإمارات الجنوب اليمني مع قبائلها الرئيسية.

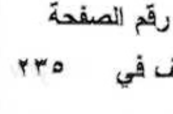
فهرس الصور

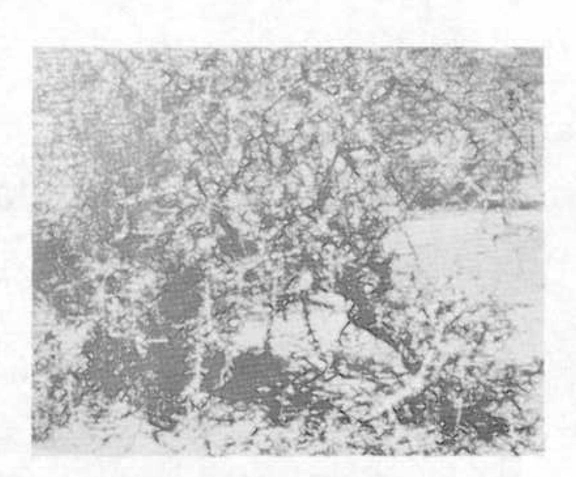
تابع فهرس الصور



تابع فهرس الصور

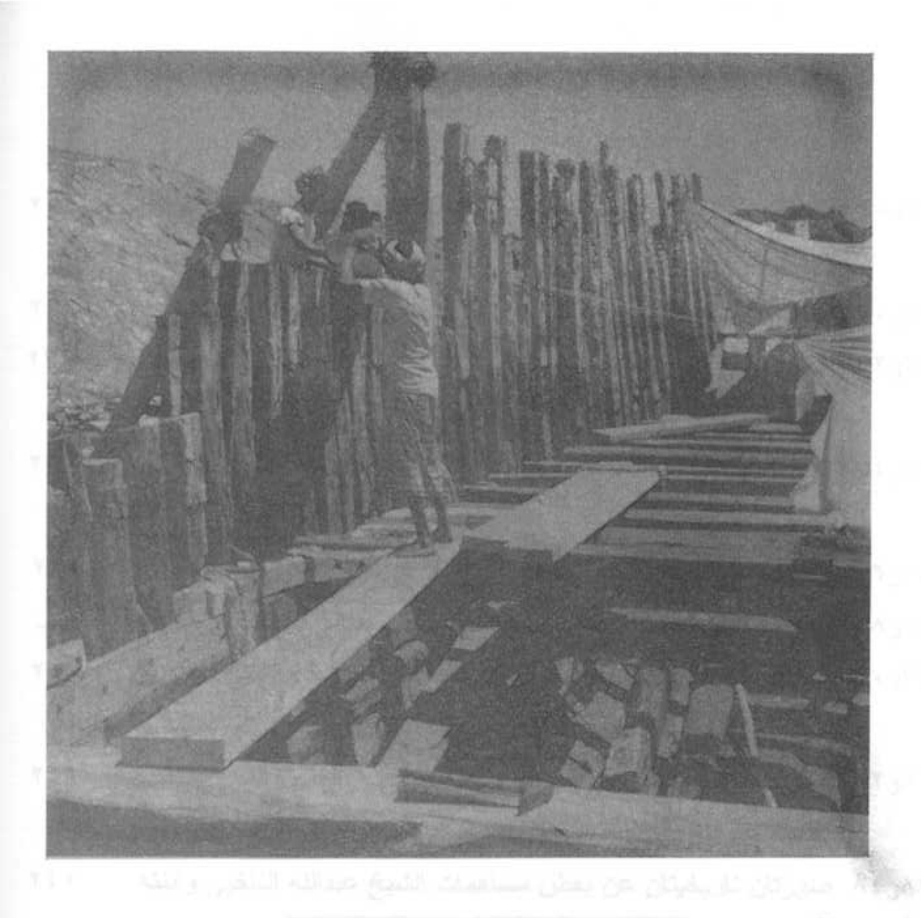
رقم الصفحة





صوورتان لشجرتي المر واللبان، من اهم مصادر غنى العربية السعيدة في التاريخ.





صورة لبداية العمل في بناء السفينة الشراعية التي اعتمدت عليها تجارة ورخاء المنطقة منذ فجر التاريخ والى عصرنا هذا، مع أخرى لها في ميناء المكلا.



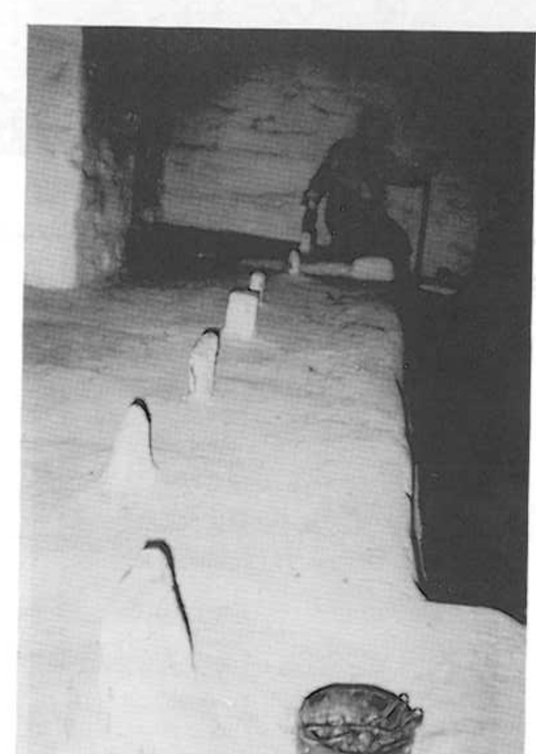


صورتان لقبري نبيي الله هود وصالح عليهما السلام في حضرموت.





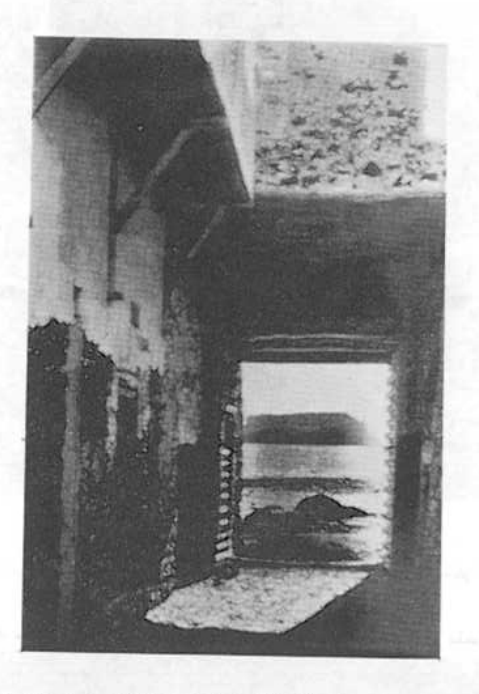
صورتان لمدخل الكهف وقبور اصحاب الكهف السبعة وكلبهم – القصة التي اشير اليها في القرآن الكريم – في بلاد يافع.



تمثال للملك معدي كرب (القرن السادس قبل الميلاد) وهو يتواجد حاليا في متحف بصنعاء.

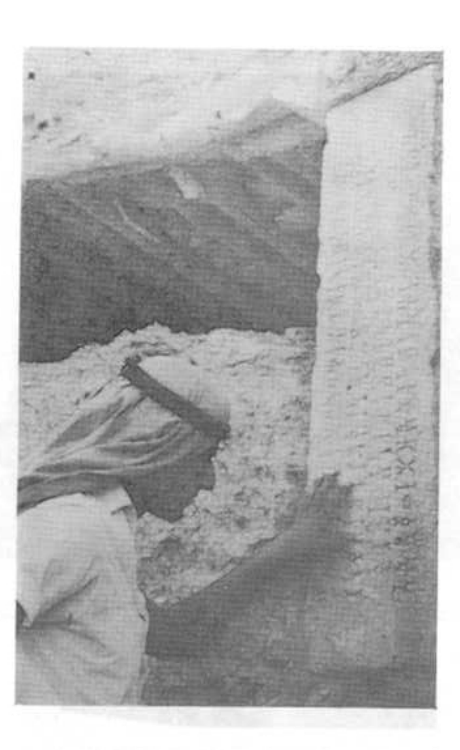


راس لاسد من البرونز من حوالي ٧٠٠ ق.م ، والذي عثر عليه على مقربة من مدينة شبام بعد سيل، ويتواجد حاليا في متحف فيتزوليام بكامبريدج، بريطانيا. علما بأن كان على كل ركن من اركان قصر غمدان الاسطوري تمثال اسد، اذا هبت الرياح الي اي منهم وخرجت "فيسمع له زئير كزئير السباع".



صورة حصن الغراب ، مرسى بير علي ("قنا" التاريخية)، نقطة انطلاق طريق قوافل البخور والتي تقدم عن طريقها الملوك أو الحكماء الثلاثة لمشاهدة المسيح عليه السلام عند مولده، وفقا لبعض الافتراضات. ويظهر في الخلف صخرة حصن الغراب التاريخية المليئة بالنقوش من العصر الحميري، مع صورة منفردة لها.





الكاتب في سن يافع خلال احدى زياراته لمدينة شبوة، وهو كما يبدو يتمعن ويتعجب على جمال وهندسة نحت الكتابة الحميرية على حجر استخدم كعمود في مسجد بشبوه.



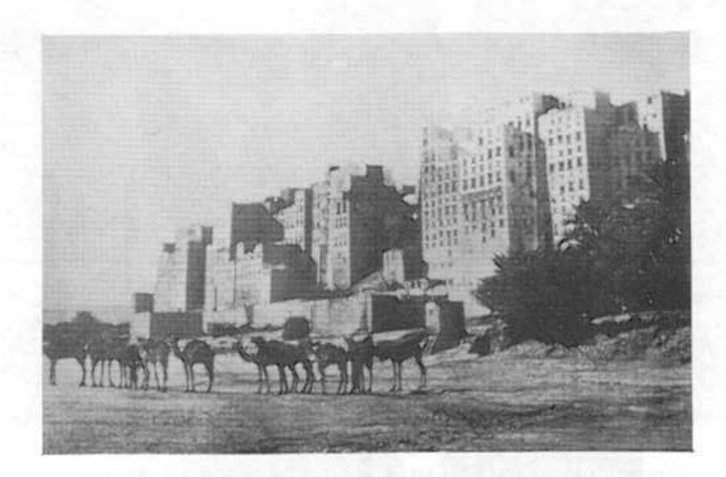
طل من بقايا الحضارة السبئية / الحميرية في مدينة شبوه التاريخية التي كانت تفتخر بوجود مالايقل عن ستين معبدا ويستغرب الشاهد من حجم ووزن الحجارة التي استخدمت في بنائها. كما يتعجب عن امر نقلها من الجبال اليها عبر الرمال.



استخراج الملح الحجري في شبوة بالطريقة التقليدية المتوارثة منذ اكثر من الفين سنة. ويبدو الكاتب، الذي كان زار هذه المنطقة للمرة الاخيرة سنة ١٩٦٥م، الثالث من اليمين على راس الصورة بعد حارسه محسن عمر المفلحي والشيخ ربيع بن عيشان، ويلي المؤلف الشيخ ناجي بن عمرو الكربي، وكل منهما حامل "وسام الاستحقاق" من الحكومة القعيطية.



صورة لقطار من الجمال المحملة والمتطرقة غربا من ميناء المكلا عبر طريق القوافل الساحلي.



صورة لمدينة شبام "مدينة حضرموت" التاريخية المشهورة معماريا بسبب الناطحات السحاب المبنية من الطين والقش.

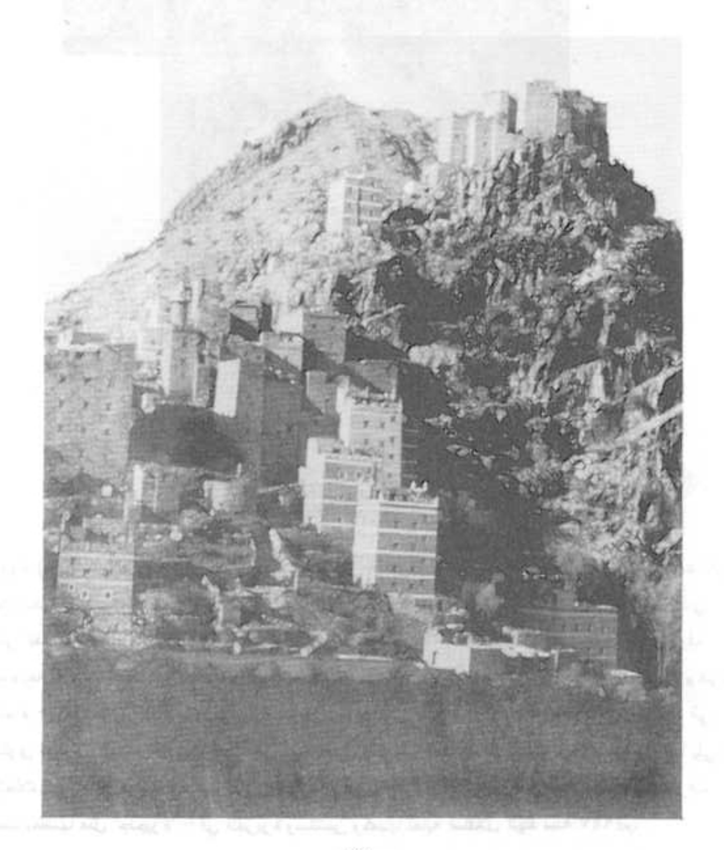


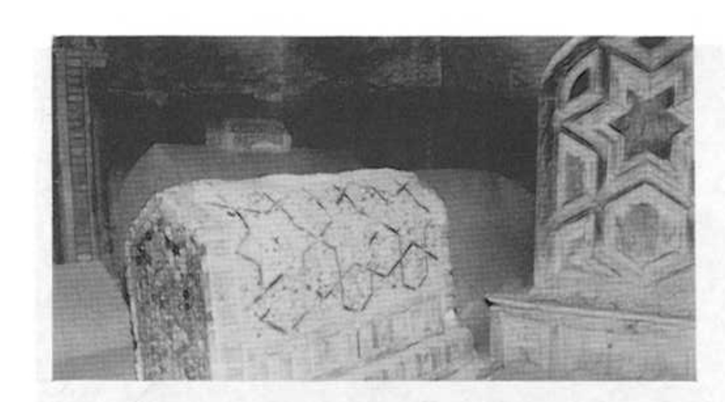
صورة لضريح السيد احمد بن عيسى العلوي رحمه الله والمهاجر الي حضرموت سنة ٣١٩ه (٩٣١م) والمتوفي فيها سنة ٣٤٥ه (٩٥٦م).

صورة لمنارة مسجد المحضار في مدينة تريم المحروسة، الناطقة بروائع الفن المعماري الحضرمي على اعلى مستوياته الزخرفية.



صورتان لطبيعة بلاد يافع، أولاهما لوادي حمومه الاخضر والثانية تعطينا فكرة عن طبيعة وطبقية هذه المنطقة، والتي كانت جبالها مأوى منيعا لكل من اراد اللجوء اليها عبر ازمنة التاريخ.



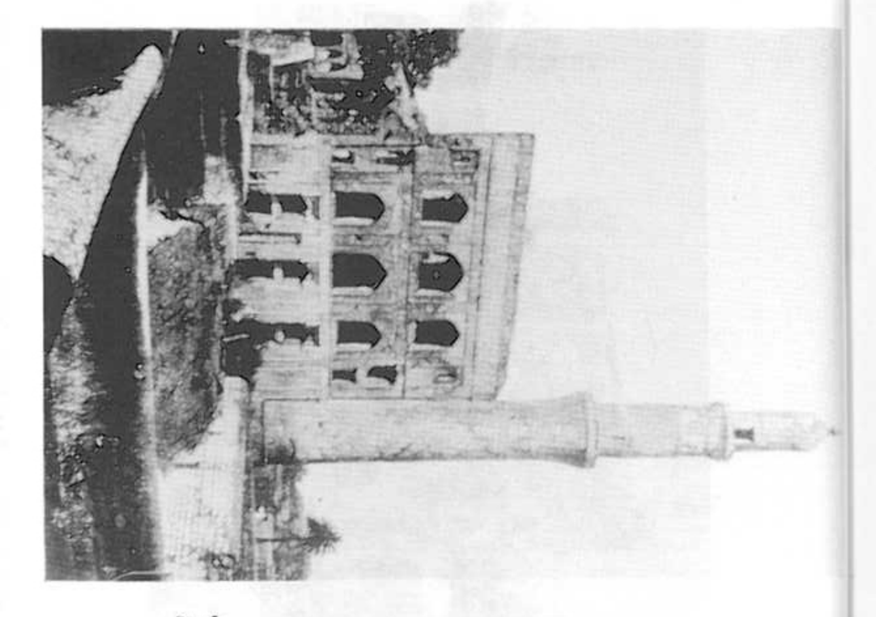


صورة لضريح محمد بن عبدالله الحضرمي المدفون في مدرسته التي اسسها بمدينة بخاره في القرن العاشر للهجرة.

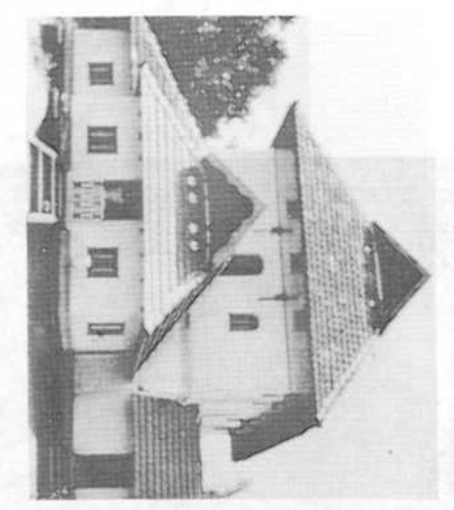


صورة (من اوائل القرن السابع عشر الميلادي) للامير المملوك "ملك" عنبر، الوصي على عرش احمد نكر.

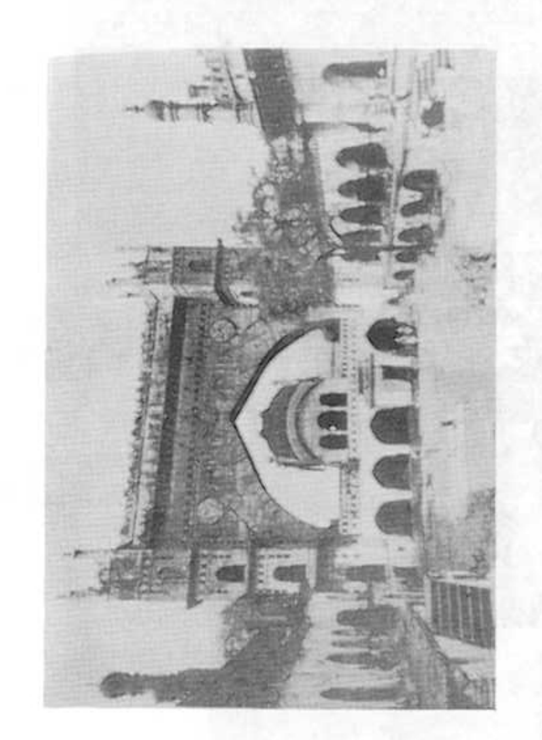
ولقد سجل السيد محمد بن أبوبكر بن أحمد الشلي صاحب "عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر" نقلا عن والده وعمه وغيرهم عن تواجد العديد من الادباء في بلاطه، مما يدل على مستوى ذوقه وتشجيعه للعلوم ، علما بأن السيد محمد وعمه السيد محمد بن احمد ووالده السيد أبوبكر بن أحمد – وهم غر العلماء – كانوا من نزلاء العديد من الديار. ويقول مؤلفنا عن نفسه في كتابه "المشرع الروي" مشيرا الى مستوى تحصيل العلوم اللغوية والدينية في الهند خلال تلك الفترة بسبب اغرائها واجتذابها للعلماء كما يلي: "ثم أرتحلت الي الديار الهندية واخذت عن جماعة علم العربية .."! ولقد اسس بعض هؤلاء المماليك امارات دامت بعضها مثل "جنجيرة" – اي الجزيرة وساتشين وكمبايا لغاية استقلال الهند سنة ١٩٤٧م.



صورة من القرن التاسع عشر الميلادي، لاثار مدرسة غياث الدين محمود ابن محمد الجيلاني الملقب "كاوان" التي اسست في القرن الخامس عشر الميلادي بمدينة بدر والتي كانت تحتوي على مالايقل عن ٢٥,٠٠٠ مخطوطة.



اقدم مسجد في ولاية كيرالا، (جنوب غرب الهند)، والذي يعود تاريخه الي القرن السابع الميلادي. وكانت لهذه المنطقة صلات تجارية متينة بالجزيرة العربية. علما بأن اول من وصل اليها من التابعين من المدينة المنورة مالك ابن دينار وذلك في سنة ٦٤٣م.

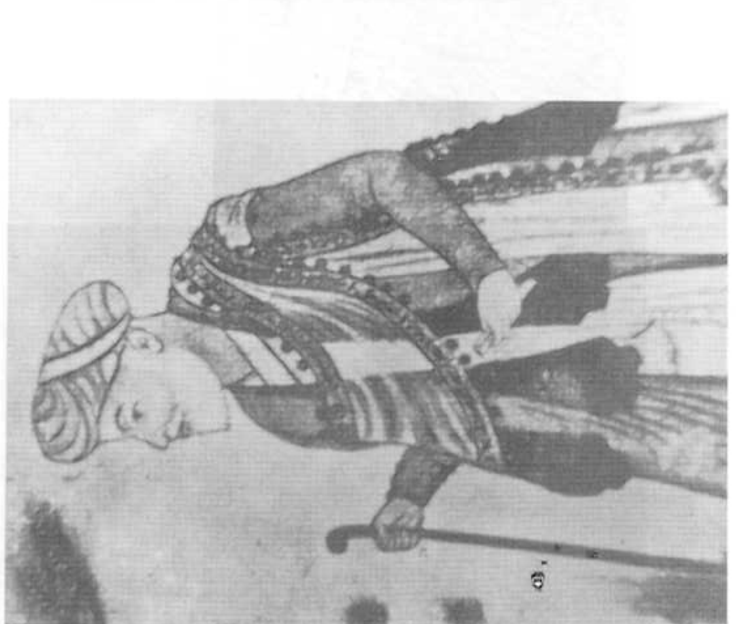


مدرسة ورباط ومرقد السيد محمد الحسيني رحمه الله في مدينة كلبرقه التي اسست في اوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي.

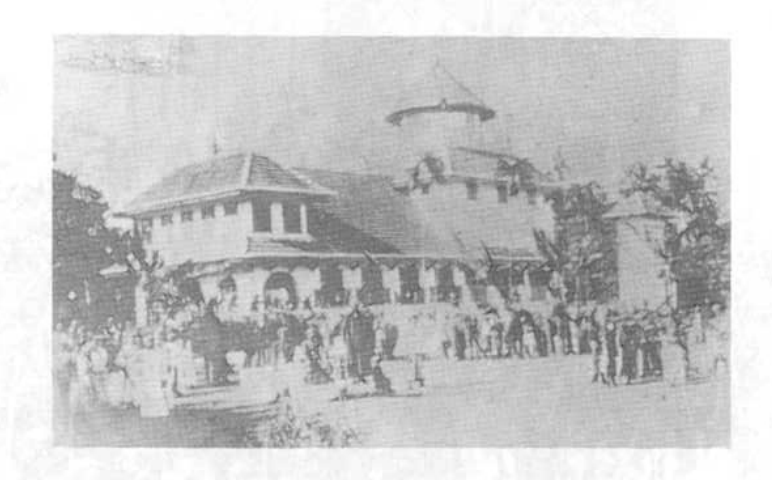
صورة للسيد محمد الحسيني رحمه الله المتوفى سنة ١٤٢٢م.



صورة للسلطان عبدالله قطب شاه الحاكم السادس لمملكة كول كونده (الذي حكم من ١٦٢٦م الى ١٦٧٢م).

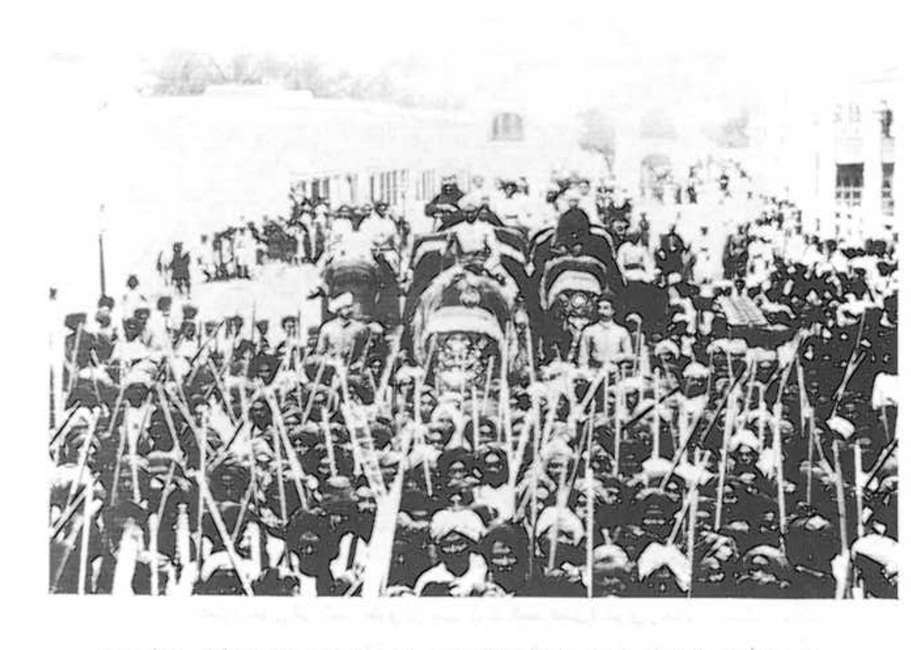


نبلاء عرب في بلاط كول كونده، حيدر اباد خلال النصف الاخير من القرن السابع عشر الميلادي :
أ- السيد احمد عبدالله الصاعدي الشيرازي المشتهر في التاريخ بتسمية احمد بن معصوم والملقب بالامير نظام الدين من قبل بلاط كول كونده الذي بعثه شريف مكة المكرمة زيد بن محسن تجاوبا لالحاح من السلطان عبدالله قطب شاه. ب- الشيخ محمد ابن خاتون الذي عاش في النصف الاخير للقرن السابع عشر الميلادي.



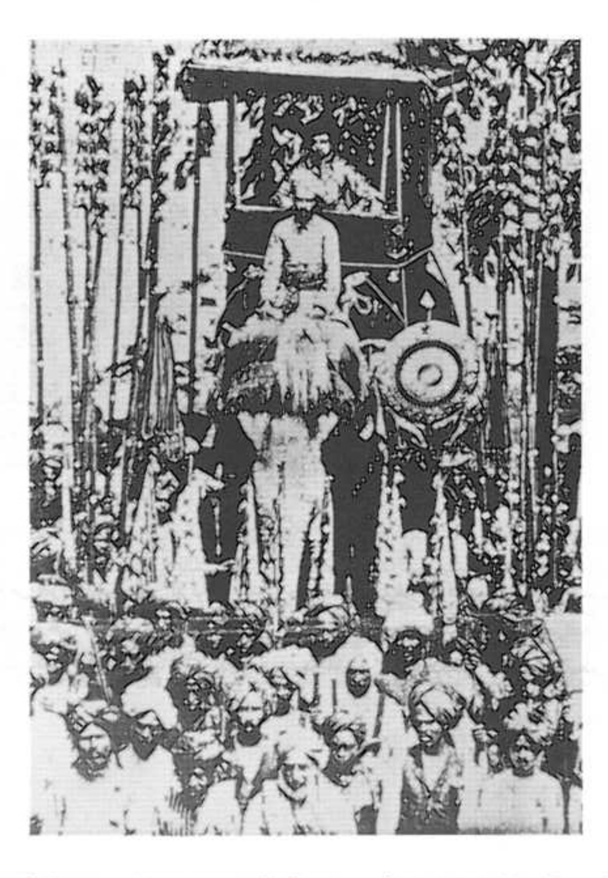
مشهد بجوار عمارة تحوي قبر السيد علوي بن سهل (والد السيد فضل) بتيري رنقادي – مالابار. وادناه صورة للسيد فضل بالزي الرسمي للبلاط العثماني. علما بانه كان تحصل لقب الباشويه وكان يعد من مستشاري السلطان عبدالحميد الثاني.





صورتان من أواخر القرن التاسع عشر، لموكب النظام مير محبوب علي خان، وهو محاطا في الاولى بعرب غير النظاميين، وفي الثانية بجنود منهم ومن وحدتي "جمعية النظام محبوب" و "حرس الخيالة الافريقية".





صورة لمسيرة الجمعدار محسن بن صالح بن عمر القعيطي مع جنوده من العرب غير النظاميين في يوم العيد. والاخرى لخيالة من وحدتي العرب (بالعمايم) والافارقة (بالطرابيش)





صورة تاريخية من القرن التاسع عشر لفرقة من جنود "جمعية النظام محبوب" المؤسسة من قبل النظام السادس مير محبوب علي خان، والتي كانت مجندة من صفوف العرب وتقوم بتأدية واجبات حراسة شخصه وقصوره مع بعض الفرق الاخرى كما كانت تقارن في مستواها مع "الفيلق الاجنبي الفرنسي" الاسطوري.



صورة لمجموعة من حرس الخيالة الافريقية لجلالة ملك حيدراباد.

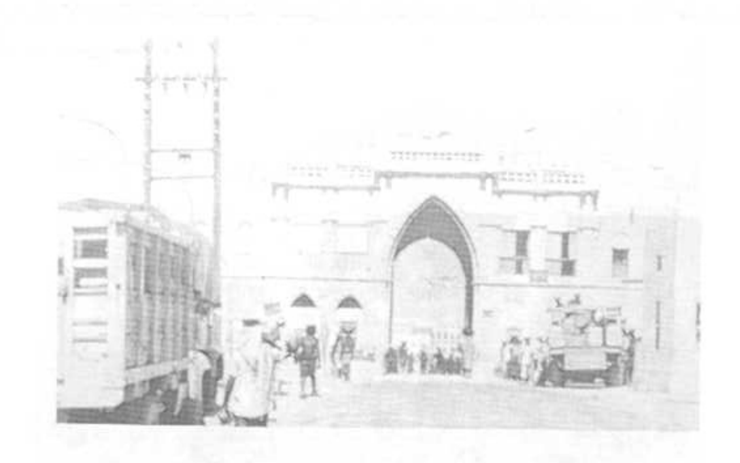


صورة لوفد حيدراباد الذي زار اوروبا سنة ١٨٧٦م برئاسة رئيس الوزراء مير تراب علي خان الملقب مختار الملك وسالارجنك. ويظهر فيها ثلاثة شخصيات من جنوب الجزيرة العربية والذين قد يعدون اوائل ابنائها الذين زاروا البلاد الاوروبية خلال تلك الفترة. فيبدو ضمن الجالسين محسن بن عبدالله العولقي الملقب مقدم جنك (الثاني من اليسار). والاول من اليمين غالب جنك – عم مسلم بلعلا وهو مملوك الاصل، وضمن الواقفين والخامس من اليسار مسلم بلعلا المشتهر بلقب مسلم جنك، الذي كان قام ببناء جسر كبير يحمل اسمه عبر نهر موسى بحيدرآباد.

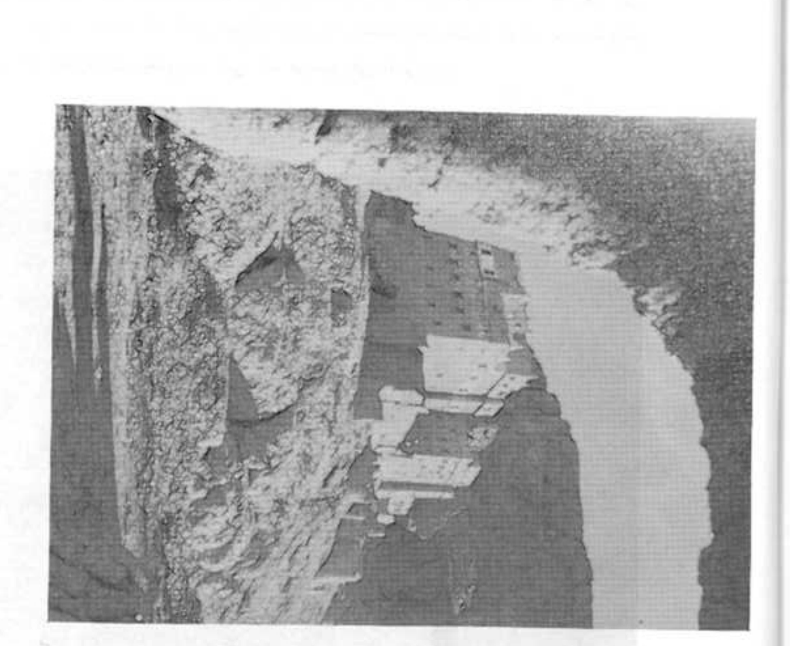


صورة من القرن التاسع عشر، تمثل القبائل العربية "تشترح" (ترقص) في احدى المناسبات في حيدراباد.

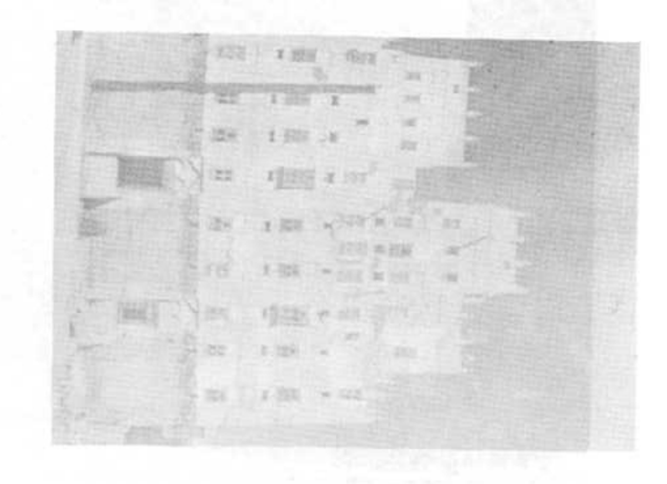
صورة لاحدى بوابات ميناء الشحر المشتهرة بلقب "سدة العيدروس" التي بناها السلاطين القعطه في القرن التاسع عشر مع سور المدينة والذي كان كلفهم في وقته مائة الف ريال ماريا تيريزا.



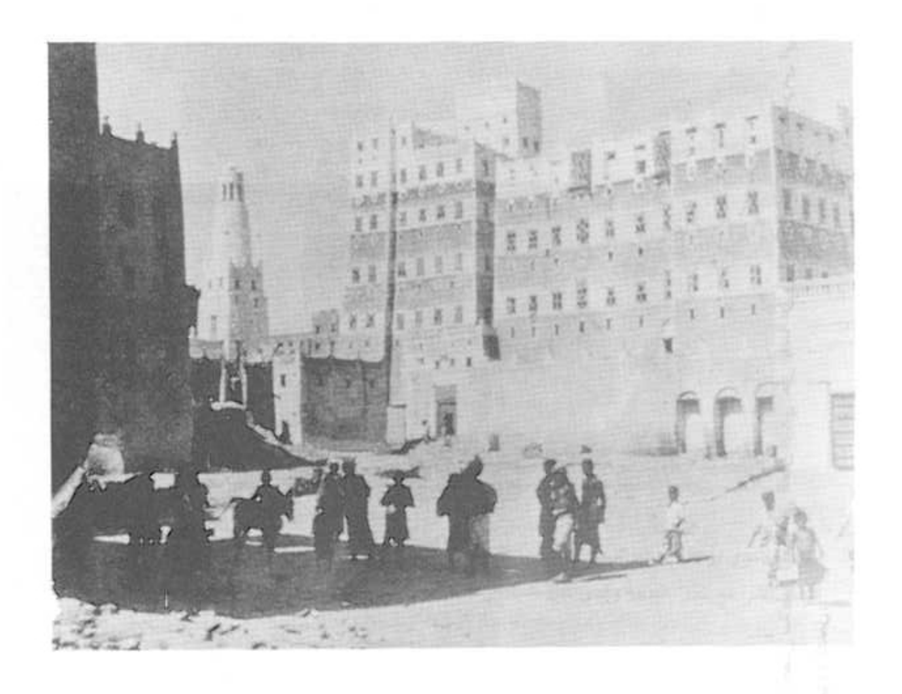
سدة المكلا التي قام بانشائها المعلم المعماري السيد داوود الجيلاني بامر السلطان غالب بن عوض القعيطي وتم اختبار متانتها رميا بالمدفع، وتم دمرها نظام الحكم الماركسي فور توليته على السلطة في أواخر ١٩٦٧م.



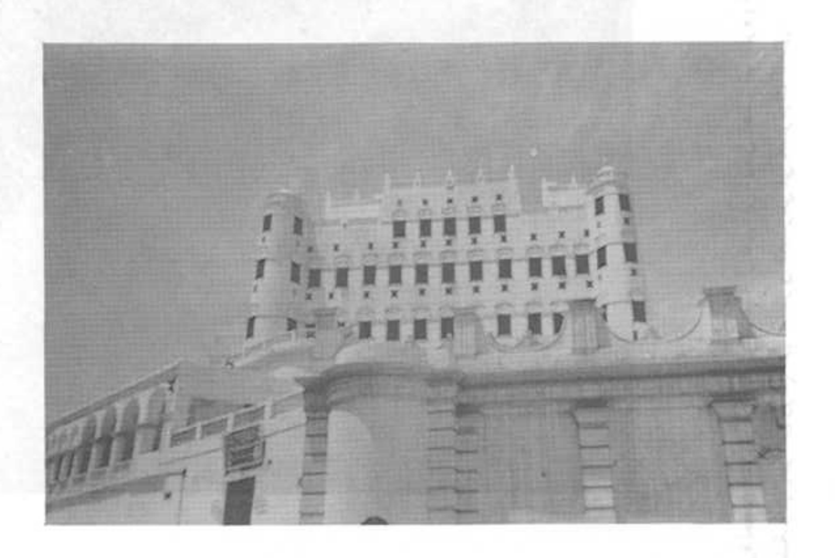
صورة لحصن قسم مقر بن يماني مقدم قبيلة آل تميم من اخلص القبائل المناصرة والموالية للسلطنة القعيطية، وهو يعبر عن روائع الفن المعماري الحضرمي في حضرموت الداخل.

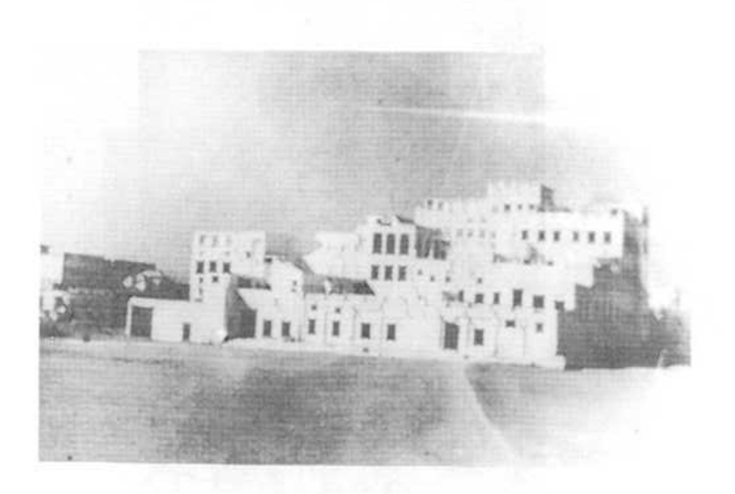


صورة لحصن سلاطين القعطه في القطن، وهي تعبر ايضا عن روائع الفن المعماري الحضرمي في حضرموت الداخل.

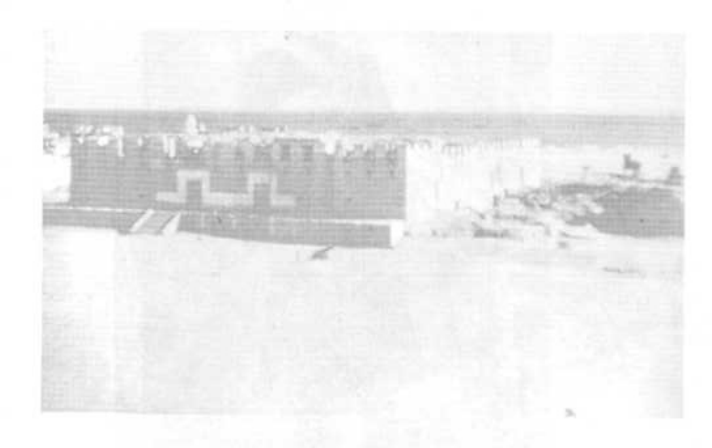


صورة تاريخية لقصر السلاطين القعطه في مدينة شبام والذي يعتبر مثلا بارعا للفن المعماري الحضرمي التقليدي بخلاف قصر السلاطين آل عبدالله الباهر في سيون الذي ينحرف في شكل تصميمه الخارجي عن بقية حصون حضرموت التقليدية وكأنه ظاهرة خيالية اسطورية، ولكنها حقيقة منفردة النوعية ترجمت وتعبر كما تشهد لبانييها عن علو خيالهم وتصورهم الفني. كما هو مبين في الصورتين.





صورة لمقر السلاطين القعطه في الشحر .وهي تعبر عن روائع الفن العماري الحضرمي في حضرموت الساحل.

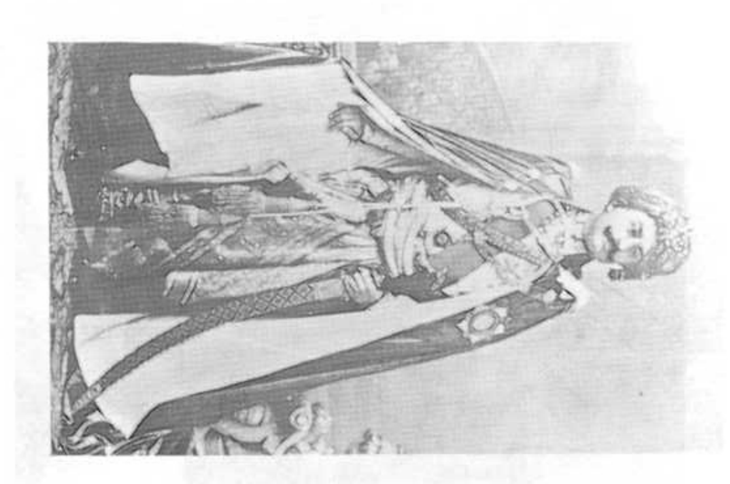


صورة لقصر المصبح المنيع والمشتهر بتسمية حصن بن عياش، الذي بناه السلاطين القعطه بتكاليف باهظة وتم تجربة متانة جدرانه رميا بالمدافع. وكان مسكنا للسلطان غالب بن عوض القعيطي الاول خلال فترة نيابته واقامته في الشحر.

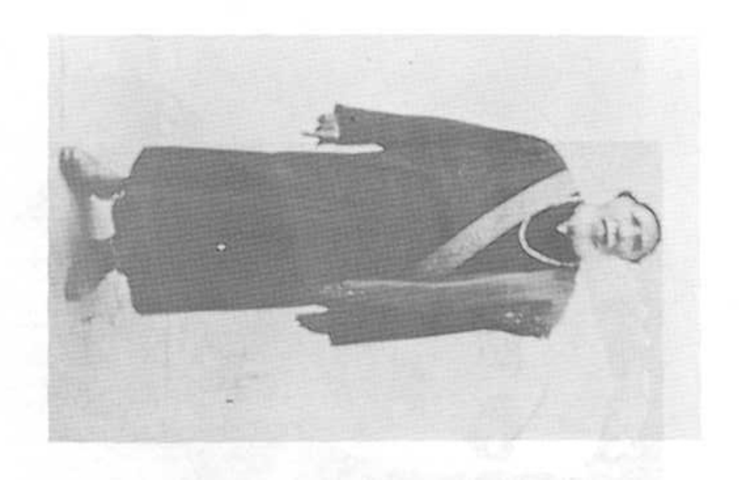
صورة للسلطان عمر بن عوض القعيطي وهو يرتدي الزي الرسمي لنبلاء بلاط حيدر اباد ويتمنطق ب "جنبية" (خنجر حضرمي) وعلى راسه "محرم" أو عمامة.



صورة للسلطان عبدالكريم فضل العبدلي، احد حكام ولاية لحج البارزين، وينطق زيه الرسمي عن مدى تأثير ازياء امراء الهند على حكام جنوب شبه الجزيرة العربية. علما بان الاسرة العبدلية كانت على مدى الزمن من اقرب واعز اصدقاء وحلفاء الاسرة القعيطية.



رأو خينكرجي الحاكم الهندوكي لولاية كتشا، احدى الولايات الواقعة على السواحل الغربية للهند، وهو كما يبدو في هذه الصورة لابسا مئزر الذي يشبه السباعية او "الفوطة الجنوبية" على سرواله كما يتمنطق ب "جنبية" وحواليها "عصرة" أو "معجر". علما بأنه كان تولى الحكم سنة ١٨٧٧م.



صورة للمرحوم الحبيب جعفر العيدروس احد الشخصيات الدينية البارزة في حيدراباد.




الأديب والشاعر سيف بن حسين بن عبدالله القعيطي، الذي قام بتأليف العديد من الكتب عن اللغة الحضرمية وخصائصها كما بترجمة أشعار للعلامة الفارسي عمر الخيام وكذا العلامة الدكتور محمد اقبال.



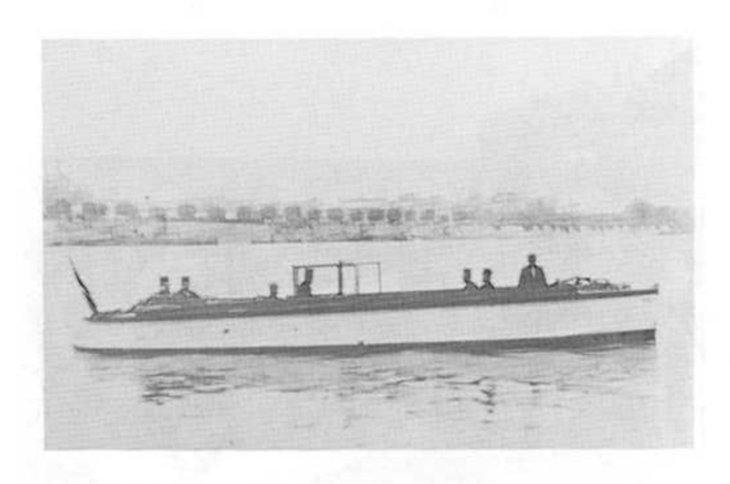
السيد جمال الدين الجيلاني نزيل حيدر آباد وبومباي.



حفيدي السلطان غالب بن محسن، مؤسس دولة آل عبدالله الأخيرة - السلطانان علي وجعفر ابني المنصور بن غالب خارج سيون.



صورة للسلطان عمر بن عوض القعيطي في زيارته لحضرموت الداخل في سنة ١٩٣٤م ويبدو على يساره باوره صالح علي الخلاقي.

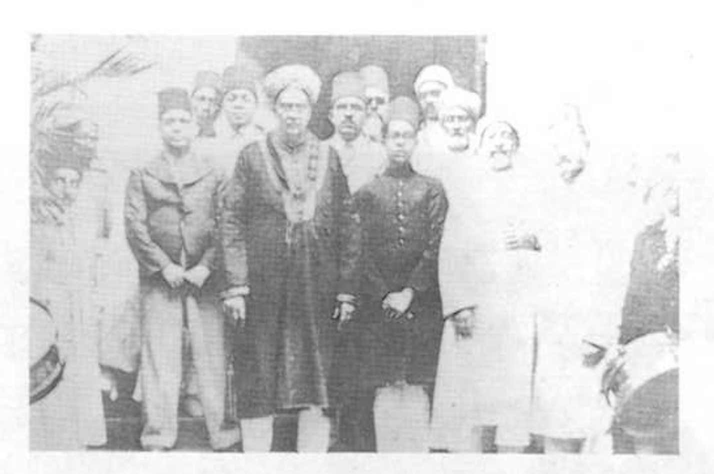


صورتان لاحد اعظم واقفه شخصيات عصره، السلطان العلامة صالح بن غالب القعيطي قائد وراعي النهضة الحضرمية الحديثة، خلال بعض زياراته الي مصر ويرافقه فيها من اعيانها.

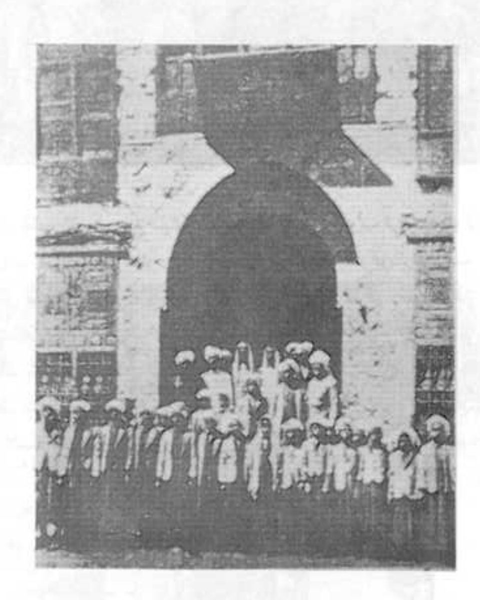




السلطان صالح بن غالب القعيطي مع الجالية الحضرمية واعيان العرب في أسمراء، اريتريا بعد انتهاء الحرب العاملية الثانية. ويبدو من اليسار (الجلوس): سالم سعيد باحكيم، محمد ابوبكر باخشب باشا، وخلفه عمر سالم باعقيل، ثم السلطان صالح القعيطي ويقف وراءه ضابط بريطاني مرافق، ثم سكرتير السلطان مسلم عوض بلعلا، سعيد سالم باعقيل وخلفه في الركن عبدالله سالم باعشن. وعن هذه الزيارة وماشاهد خلالها عن وضع الحضارم فيها، فلقد كان قال السلطان صالح لمجلة العرب مايلي: "وقد ادهشني ان جل الحضارم فيها هم من الاغنياء وان معظم مصانع الايطاليين مرهونة عندهم، ولدى بعض الوجهاء منهم مصنعا ايطاليا للزجاج وهو ينتج نحو ثمانية الاف قارورة. وقد اثرى العرب فيها كثيرا في هذه الحرب ....".



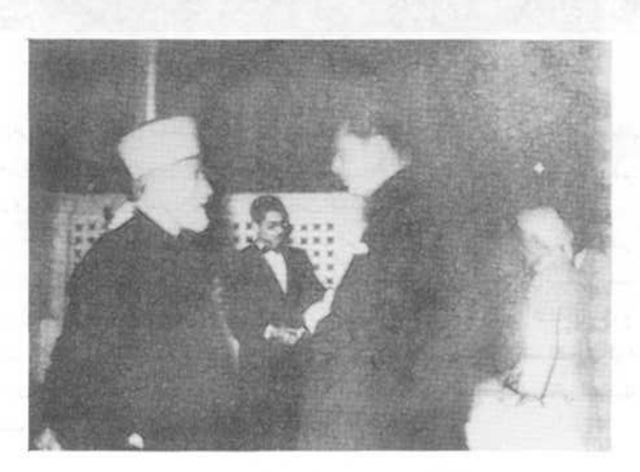
صورة للسلطان صالح بن غالب القعيطي في زيارة تكريمية لصديقه وامير تجارة اللؤلؤ في بومباي ومؤسس مدارس الفلاح الحاج محمد علي زينل الذي يبدو الثاني من اليسار وبينهما الامير حسين بن عمر القعيطي.



صورة لـ "دار الصناعة" للاحرام والنسيج الذي كان ساهم في تأسيسه السلطان صالح بن غالب القعيطي بالمدينة المنورة في سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.



صورة تاريخية لاحدى زيارات المفتي الاعظم الحاج امين الحسيني الى شبه القارة الهندية، ويبدو فيها مع مضيفه النواب حسن يار جنك، احد امراء حيدراباد واقرباء النظام، وكذلك اصحاب المعالي سفراء مصر والعراق والسعودية وغيرهم من اعيان العرب في باكستان فور تكوينها. والجدير بالذكر انه كان قارن القضاء على الحكم الاسلامي في حيدراباد بمثابة كارثة غرناطة، وفي الصورة الثانية يبدو الحاج امين في حديث ودي مع مضيفه.

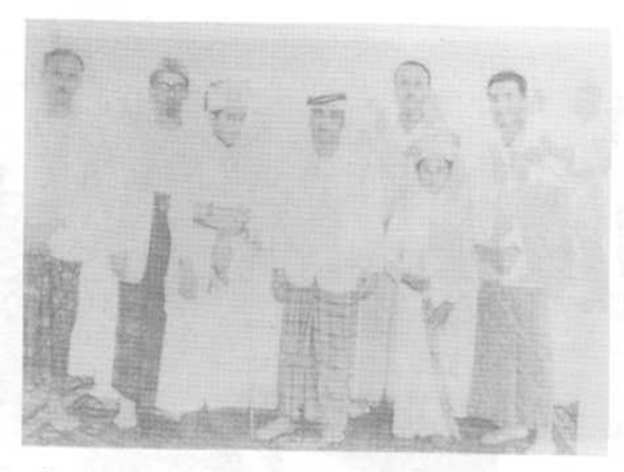




في "باغ عامة"، حيدرآباد، ديسمبر ١٩٥٥م أثناء زيارة رسمية للملك سعود

الجلوس (من اليمين): الامير محمد بن تركي، الامير نايف بن عبدالعزيز، الامير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن، الامير مساعد بن عبدالرحمن، مير عثمان علي خان (نظام حيدرآباد)، الملك سعود بن عبدالعزيز، الامير محمد بن سعود الكبير، الشيخ جمال الحسيني، الحاج محمد علي زينل.

الواقفون : محمد النملة (ضابط في الحرس الملكي)، عبدالعزيز الماجد (مترجم)، محمد الذيب (كبير الحرس)، ناصر مفتاح (أردلي من موظفي النظام)، الامير عبدالله بن سعود (أمير مكة المكرمة)، السيد محمد العيدروس (ضابط استخبارات شرطة قصور النظام)، الامير محمد بن سعود (وزير الدفاع)، الشيخ عبدالرحمن الحميدي؟، محمد عبدالعزيز الدغيثر (رئيس مكتب البرقيات)، سليمان حمد الحمدان (وكيل وزارة المالية)، دين يارجنك (مدير شؤون ممتلكات النظام)، كويرجي تارابوروالا (مستشار مالي للنظام)، اس.ان. ريدي (مسئول عام عن أمن قصور النظام).



صورة لزيارة المؤلف في عام ١٩٦١م، وهو آنذاك وليا للعهد، الي سيؤن. ويبدو فيها من اليمين الامير عبدالمجيد الكثيري والقائم باصالح والامير عمر القعيطي والوالد عظمة السلطان حسين الكثيري وثم المؤلف وعبدالرحمن خان والامير احمد بن جعفر بن منصور الكثيري. ان العلاقات مابين حكام السلطنتين الحضرميتين منذ عهد السلطان غالب القعيطي الاول والسلطانين علي بن منصور وجعفر بن منصور كانت تتسم ببالغ الود الاخوي والتفاهم والتعاون.



المؤلف وهو يلقي كلمة في زيارة للمنصب الحبيب احمد بن علي بن الشيخ ابوبكر بن سالم في عينات اثناء زيارة رسميه تفقدية لمختلف الوية الدولة بصفته وليا للعهد سنة ١٩٦١م.



زيارة تفقدية مفاجئة للمؤلف لقلعة ومركز قعوطه العسكري سنة ١٩٦١م. ويبدو في هذه الصورة خلف مدفع الهاون (عيار ٣ بوصة) المؤلف وهو يستمع لشرح الطاقم عن مقدرته وكيفية استخدامه كما يظهر في مقدمة الصورة من يمينها اخيه عمر.



زيارة المؤلف (آنذاك وليا للعهد) الى شبوة، احدى مقاطعات الدولة القعيطية الحضرمية سنة ١٩٦٥م. ويبدو من ثاني يمين الصورة الشيخ ربيع بن عيشان النهدي ثم بدر احمد الكسادي (نائب نواب السلطنة)، والسادس الامير عمر القعيطي والسابع المقدم احمد بن بقصه بن قطيان الكربي، والثامن المؤلف والتاسع اللواء صالح يسلم بن سميدع وخلفه الصيدلي يسلم ربيع والشيخ حمد بن ناصر الجبري. والدير بالملاحظة انه تم قتل اثنين وثلاثة وتسعة من هؤلاء الاعيان على يدي الماركسيين دون مبرر او محاكمة عقب استلامهم للحكم.



صورتان لاستقبالات شعبية لموكب السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني والتي ترد على كل من كان يزعم بان السلاطين كانت تنقصهم الشعبية.





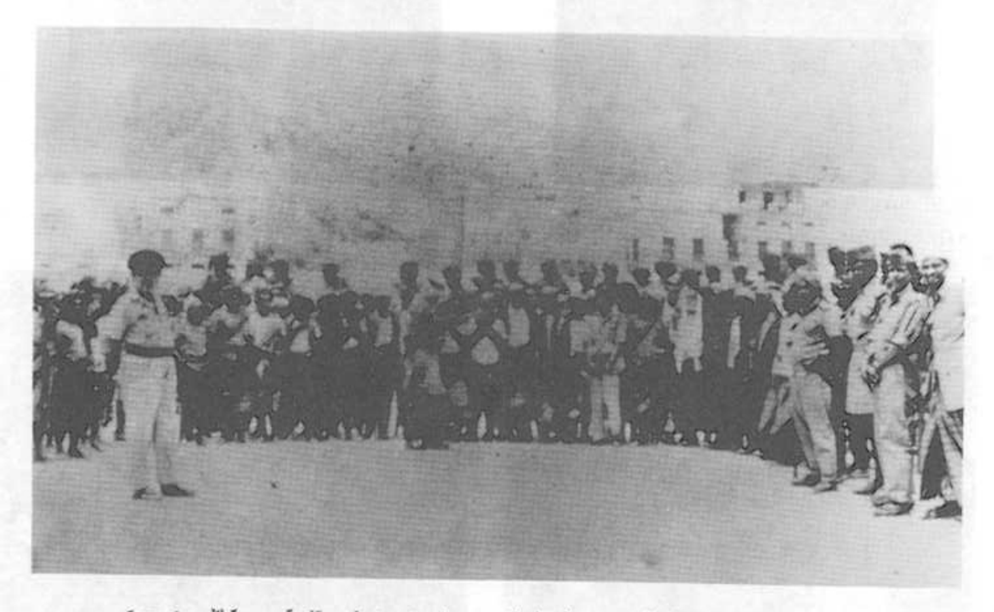
صورة لافتتاح المشروع الذي بتدشينه تم توصيل المياه الي جميع المنازل في مدينة المكلا على يدي السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني ، كما يبدو في الصورة وزير السلطنة وبعض الموظفين.



السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني ممسكا بيده آلة الحفر والي يمينه الصحفي الدانمركي كارل اسكلند واحد العمال . وهو كثير ماكان ينزل من قصره بالمكلا ويساعد بنفسه العمال في الاصلاح والتعمير. معبرا بذلك لشعبه عن يقينه بتفوق ديمقراطية النظام الاجتماعي والاقتصادي الاسلامي الذي اساسه الاخوة والتعاون والتضحية المبنية على اسس التطوع والقدوة الحسنة دون الارغام او استخدام الجبر، على جميع الانظمة بما فيها "الاشتراكيات العلمية" وغيرها. ولقد كان العديد من سلاطين المنطقة خير مثل لهذا، وعلى راس هؤلاء السلطان عبدالله بن راشد الحميري الذي سلف ذكره في متن الكتاب، والسلطان سالم بن ادريس الحبوظي الذي كان اشترى اموالا طائلة واوقفها في سبيل مصلحة الفقراء ، وكذلك السلطان عبدالله بن عمر بن بدر الكثيري والسلطان غالب بن محسن الكثيري، والجمعدار عمر بن عوض القعيطي الذي كان اوقف الثلث من كل مايملكه في سبيل نشر الامن والاستقرار في حضرموت ، وابنه السلطان عبدالله بن عمر القعيطي المشتهر بلقب "المصلي"، وابن اخيه السلطان غالب بن عوض القعيطي الاول المشهور في حضرموت بلقبي "ابونا ادم " او "ادم أبو البشر" و "غالب السادات" ، وكذا ابنه السلطان صالح بن غالب القعيطي، ومجموعة كبيرة من رجالات الدين.



المؤلف (آنذاك وليا العهد) يتفاجئ باستقبال ساخن في موقع غير متوقع (انظر راسه دون عمامة) من قبل قبائل الكرب وبلعبيد برأسهم المقدم عسكر بن سالم الكربي – مقدم آل مسفر الكرب.



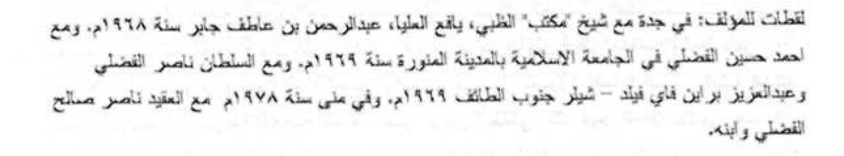
مارس ١٩٦٧م. يبدو في هذه الصورة حوالي المؤلف جميع شيوخ ورؤساء ومقادمة جميع قبائل حضرموت الموالية للاسرة القعيطية بما فيها الحكم يسلم باهيصمي وبعض آل عمرو والكرب (ومنهم أحمد بن بقصة وعسكر بن سالم) والصيعر ومانع باذياب والشيخ سعيد باحسين العمودي (الذي اختفى عن الوجود عند بداية الحكم الماركسي) وعيضه بالحريز المنهالي والمقدم علي بن حبريش الحمومي والمقدم سعيد بانهيم وغيره من مقادمة سيبان والعوابثة ونوح وآل كثير وحكمان نهد وغيرهم من رؤوس قبائل المشقاص وألوية حجر والمكلا والشحر ودوعن وشبام واللواء الغربي. وكما يبدو في يسار الصورة المساعد للشؤون القبلية عبدالله باحويرث ويليه قائد الشرطة القعيطية المسلحة ناصر عوض البطاطي وقائد جيش المكلا النظامي أحمد عبدالله اليزيدي وبالبرنيطة العسكرية على يمين الصورة قائد الشرطة المدنية أحمد بن منيف.











لقطات للمؤلف: في جدة مع شيخ "مكتب" الظبي، يافع العليا، عبدالرحمن بن عاطف جابر سنة ١٩٦٨م. ومع احمد حسين الفضلي في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٦٩م. ومع السلطان ناصر الفضلي وعبدالعزيز براين فاي فيلد – شيلر جنوب الطائف ١٩٦٩م. وفي ملى سنة ١٩٧٨م مع العقيد ناصر صالح الفضلي وابنه.



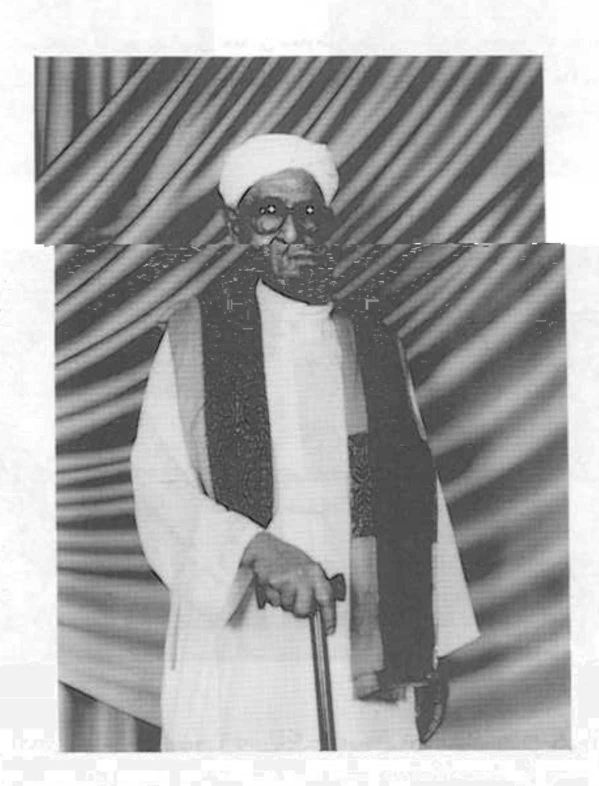
المؤلف وهو محاط بالشيخ المرحوم سالم بن احمد بن محفوظ وسعيد بن صالح بن محفوظ اثناء اجتماع له مع بعض الشخصيات من كبار التجار الحضارمة الاصل في المملكة العربية السعودية وذلك في جدة سنة ١٩٦٧م.



المؤلف مع احد فحول شعراء الجزيرة العربية المعاصرين الشيخ عبدالله بلخير والالماني محمود عبدالصمد هايتمان.



الشيخ عبدالله بلخير في زيارة للمؤلف ويقف بجانبه نجله صالح بن غالب

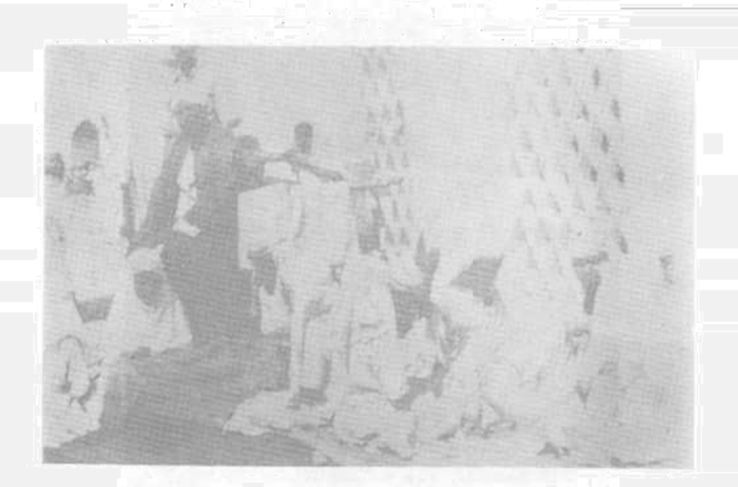


الشيخ عبدالله بن احمد بن محسن الناخبي الشاعر والاديب الذي يحفظ له دوره التنفيذي مع ابنته الفاضلة.
فاطمة في نهضة تعليم البنات في حضرموت وفقا للاسس والمناهج الحديثة



وهاتان صورتان من اوائل الاربعينات لانشطة كان للشيخ عبدالله الناخبي وابنته السيده الفاضلة فاطمة علاقة وثيقة بها – الاولى لتلاميذ مدرسة ابناء البادية بالمكلا، وبجوار المذكور (الثاني من اليمين في صف الجالسين) احد الضباط المسئولين عن النظام والتدريب في المدرسة ومدير المعارف الشيخ محمد سعيد القدال والضابط صالح بن يسلم بن سميدع.

[illegible]

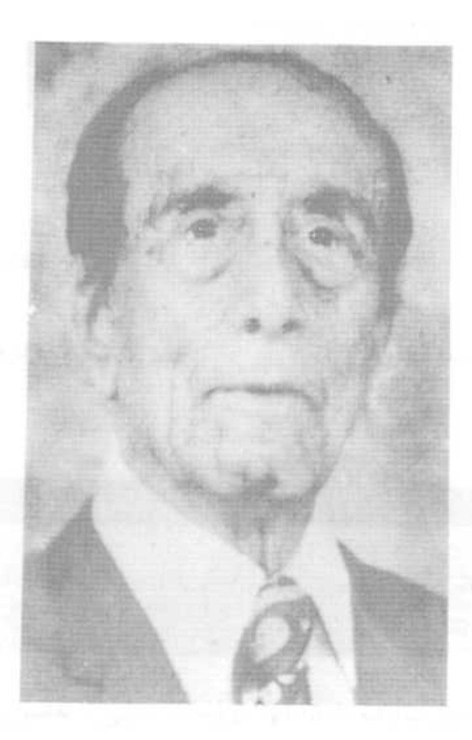




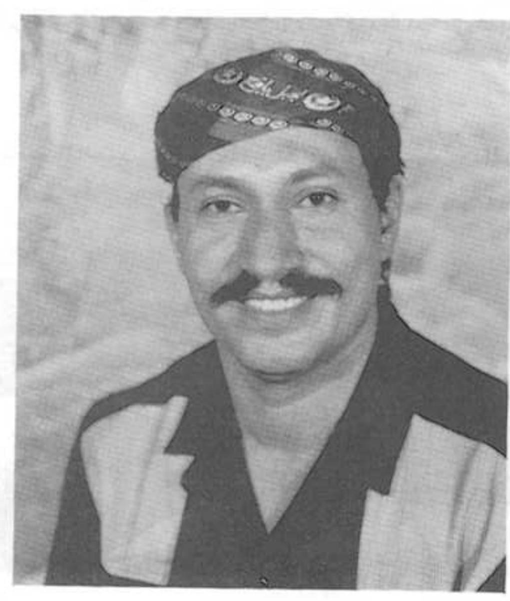
المؤلف عند الاهرامات مع المرحوم السلطان حسين بن علي الكثيري سنة ١٩٦٧م في زيارتهما لجامعة الدول العربية، ويقف بينهما محمد ابن العلامة والفقيه المرحوم السيد عبدالرحمن ابن عبيد الله.



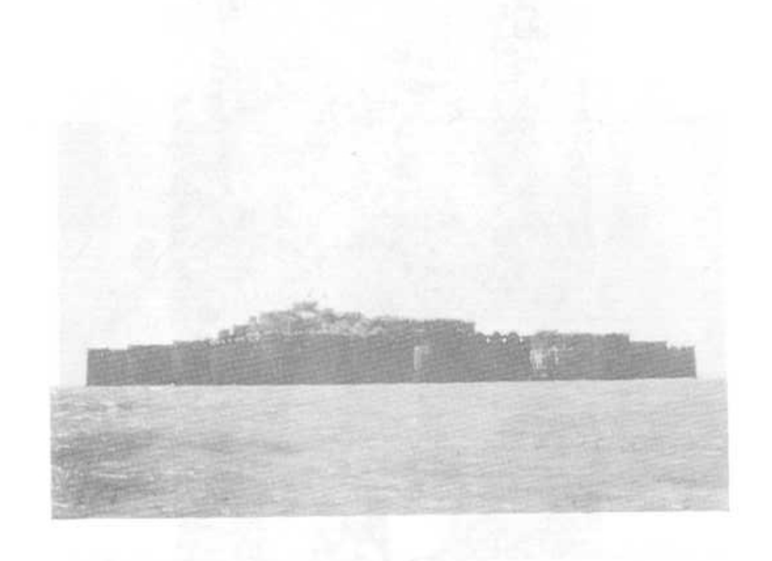
المؤلف مع نجله صالح بن غالب سنة ١٩٨١م



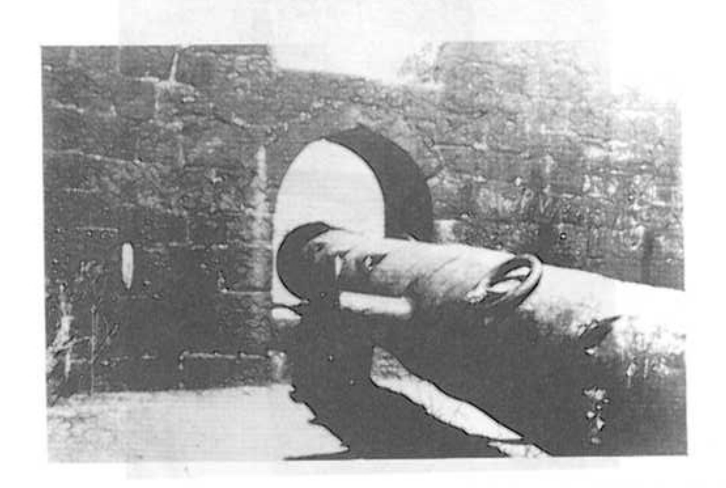
المرحوم الشيخ صلاح عبدالقادر البكري الذي له الفضل والاولوية في تدوين تاريخ جنوب الجزيرة العربية باسلوب حديث



الشيخ نصر صالح حسين هيثم سبعه من مشايخ مكتب يهر ، يافع، الذي الف مؤخرا كتابا قيما عن تاريخ وتقاليد يافع التي كانت بحاجة ماسة لمن يقوم **بتعريفها**.



صورة ل "كالنجر" أو "جزيرة الغراب" بالعربية وهي قلعة تليدة على سواحل الهند الغربية، يمتد تاريخها الى عدة قرون، وكانت تحت سيادة فرع من القبيلة القعيطية اليافعية على رئاسة عرب آخرون وأحباش وهنود خلال القرن الثامن عشر الميلادي، كما كانت محصنة ب ستمائة قطعة مدفعية مثل المدفع أدناه في الصورة.



بيان تصحيح أخطاء

الفقرة الخطأ	الفقرة الصواب
١- صفحة ج "ابن الحاشية الوفي"	"ابن الحاشية الوفي والمرحومة الراعية بركة البدوية"
٢- صفحة ١١٧ "بزائيره"	"بزئيره"

٣- صفحة ١٢٥ يغيرنص الفقرة إلى :- "وفي أعلى الوصية إمضاء الموصي، وفي آخرها توقيع مختار

الملك رئيس وزراء حيدرآباد مصادقة لها . وأيضاً مايلي : حضر وكتب بأمر الحاج الجمعدار عمر بن

عوض بن عبدالله القعيطي المذكور ناصر بن عبدالله محمد المسكي. " وأيضاً " شهد على ذلك جابر بن

سعيد بن علي النقيب القعيطي" و " شهد على ذلك محمد عبدالله سعيد بن علي النقيب القعيطي" .

الفقرة الخطأ	الفقرة الصواب
٤- صفحة ١٣٠ "الوثيقة المقدمة"	"نص المرسوم الصادر"
"الشبه القبلية"	"شبه القبلية"
"مجلس القضاء"	"مجلس القضاة"
٥- صفحة ١٣١ "الوثيقة المقدمة"	"نص المرسوم الصادر"